قصيدة البردة للبوصيري

و

أطيب النغم للشاه ولي الله

(دراسة مقارنة)

رسالة قدمت لنيل شهادة ماجستير الفلسفة في اللغة العربية

إعداد

حافظ محمد إسماعيل تابش

رقم الجلوس: ٦

إشراف

الدكتور حارث مبين

الأستاذ المساعد

القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور

القسم العربي، الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان

العام الدراسي: ٢٠٠٣م - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحیم

الإهـــــــداء

إلى اللذين ربياني صغيرا وتحملا كل مشقة في تربيتي وتعليمي وبذلا ما كان في وسعهما بهذا الصدد - والدي الكريم العطوف وأمي الكريمة الشفوق، مدّ الله ظلهما وجزاهما خيرا الجزاء وأحسنهما في الدارين.

كلمة الامتنان

انطلاقا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لا يشكر الناس لا يشكر الله أقدم خالص شكري وجزيل امتنائي للوالدين اللذين ربياني صغيرا - وجعلاني أشد الرحال إلى رحاب العلم وأرجو من الله تعالى أن يرحمهما ويعافيهما في الدارين .

وأري من واجبي أن اتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى حضرة الأستاذ الدكتور حارث مبين ، حفظه الله ، الذي تفضل بالإشراف على رسالتي هذه وأكرم علي بإرشاداته الثمينة وتوجيهاته الغالية الكريمة السخية .

وهو أيضاً من الواجب أن أقدم شكري وتقديري للأستاذ الفاضل الدكتور خالق داد ملك (رئيس القسم العربي ، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان) الذي بذل جهوده وأوقاته الثمينة في التعاون معي ، فإنه قد وجهني بتوجيهات سليمة، وإرشادات مفيدة حتى تم هذا البحث بهذه الصورة ، جزاه الله خير الجزاء في الدارين .

ولن يكون أداء الواجب حتى أقدم باقات الاحترام والإكرام والتقدير والإكبار وعرفان الجميل إلى أستاذي الكريم محقق العصر، العلامة المفتي محمدخان القادري ، (زاده الله علمه وفضله و مجده) الذي لولا إرشاده وعطفه الأبوي لما تمكنت الوصول إلى هذه المرحلة فجزاه الله أحسن الجزاء .

وفي نهاية هذا المطاف أقدم باقات الشكر إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة في إكمال هذا البحث وأخص بالذكر هنا الأستاذ الدكتور محمد أكرم جوهدرى ،والأستاذ

كلمة الامتنان

انطلاقا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لا يشكر الناس لا يشكر الله أقدم خالص شكري وجزيل امتنائي للوالدين اللذين ربياني صغيرا ـ وجعلاني أشد الرحال إلى رحاب العلم وأرجو من الله تعالى أن يرحمهما ويعافيهما في الدارين .

وأري من واجبي أن اتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى حضرة الأستاذ الدكتور حارث مبين ، حفظه الله ، الذي تفضل بالإشراف على رسالتي هذه وأكرم علي بإرشاداته الثمينة وتوجيهاته الغالية الكريمة السخية .

وهو أيضاً من الواجب أن أقدم شكري وتقديري للأستاذ الفاضل الدكتور خالق داد ملك (رئيس القسم العربي ، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان) الذي بذل جهوده وأوقاته الثمينة في التعاون معي ، فإنه قد وجهني بتوجيهات سليمة، وإرشادات مفيدة حتى تم هذا البحث بهذه الصورة ، جزاه الله خير الجزاء في الدارين .

ولن يكون أداء الواجب حتى أقدم باقات الاحترام والإكرام والتقدير والإكبار وعرفان الجميل إلى أستاذي الكريم محقق العصر، العلامة المفتي محمدخان القادري ، (زاده الله علمه وفضله و مجده) الذي لولا إرشاده وعطفه الأبوي لما تمكنت الوصول إلى هذه المرحلة فجزاه الله أحسن الجزاء .

وفي نهاية هذا المطاف أقدم باقات الشكر إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة في إكمال هذا البحث وأخص بالذكر هنا الأستاذ الدكتور محمد أكرم جوهدرى ،والأستاذ

الدكتور مظهر معين ، والأستاذ الدكتور دوست محمد شاكر ، والأستاذ الدكتور محمد قمر على زيدى ،والأخ الحافظ محمد رياض القصوري المحترم، والأخ محمد طاهر محمود المحترم ، والأخ حافظ منظور احمد المحترم ، والأخ بيرزاده طارق محمود النجمي القادري فلولا معونتهم وساعدتهم لما استطعت إنجاز هذا العمل الكبير فلهم الأجر عندالله المتعال فجزاهم الله عني خير الجزاء وأحسنه وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الباحث

حافظ محمد اسماعيل تابش

طالب ايم فل بالقسم العربي

جامعة بنجاب ، لاهور - باكستان

المقدمة

المقدمة تشتمل على الأمور الآتية

☆ـ تعارف الموضوع وأهميته وأسباب أختياره وأهدافه

☆ـ مفهوم الأدب المقارن ومناهجه ومجالاته

☆ـ مفهوم المدح والفرق بين المدح العام ومدح النبي صلى الله عليه وسلم .

تعارف الموضوع وأهميته
وأسباب أختياره وأهدافه

بسم الله الرحمن الرحيم

تعارف الموضوع وأهميته:

الحمد لله الذي ملأقلوب الشعراء بحكمته وزين نفوس العشاق بوصلته والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي مدحه الواصفون بالقصائدوالأشعار وعجزوا عن بيانه واعترفوا بالإقرار وعلى آله الذين هم أهل الهدى والاقتداء وأصحابه الذين من اهتدى بهم اهتدىٰ .... وبعد

فإن اللغة العربية كانت لغة وسيطة لتدريس العلوم والمعارف الإسلامية والفنون الآلية في المدارس العربية في شبه القارة الهندية خلال عصر أباطرة المغول وما زال المسلمون في الهند منذ العهد الأول يعتنون اعتناء كاملاً ويهتمون اهتماماً بالغاً باللغة العربية ويتعصبون لها ـ

والأدب العربي هو مجموعة الشعر والنثر ـ وقد كتب على هذين الموضوعين كثير من الشعراء والأدباء والفقهاء كتباً كثيرة ـولكن الشعر هو أهم من النثر لأنه يشتمل على كلمات قليلة ومعان كثيرة كما يقال : "الشعر ديوان العرب"

والمدائح النبوية هي من فنون الشعر ، وهي لون من التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من الأدب الرفيع ، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص ، ولا يراد بالمدائح النبوية إلا التقرب إلى الله ، لنشر محاسن الدين ، والثناء على شمائل الرسول ـ

كما قال الأعشى : ـ

متى مـا تـنـاخـي عند بـاب ابن هـاشم
تـرخـي وتـلـقـي مـن فـواضـلـه يـدا
نبـي يـري مـالا يـرون وذكـره
أغـار لـعـمـري فـي الـبـلاد وأنـجـدا (١)

وقد اتخذت موضوع الرسالة "قصيدة البردة للبوصيري وأطيب النغم للشاه ولي الله (دراسة مقارنة)"

أسباب اختيار الموضوع:

واخترت هذا الموضوع للأسباب التالية: ـ

إن ميمية الإمام البوصيري التي عرفت واشتهرت بقصيدة البردة قد شغلت أذهان الجهابذة الأعلام وأقلامهم عبر العصور ، وقد تركت تأثيرا بالغاً في نفوس الأجيال المتتاليةله من شعراء اللغة العربية في كل مكان ويرجع ذلك إلى ما امتازت به قصيدةالبوصيري من رقة اللفظ ورقة المعنى ومن الحب الصادق والإخلاص والإيمان مما يثير عواطف المؤمنين ومشاعر المحبين ، فمنهم من قام بشرح القصيدة وتفسير ها بشتى اللغات ومنهم من ترجمها إلى اللغات الإسلامية الأخرى شعراً ونثراً ومنهم من حاكاها فنظم على نهجها ومنوالها ـ

وهذه القصيدة كانت نموذجاً لهم ينسجون على منوالها ويحرصون مجراتها ومثالا لأصحاب البديعيات يحتذونها لكثرة ما تضمنت من المحسنات البديعية. وهذا الاهتمام البالغ لهذه القصيدة الرائعة التي مدح بها البوصيري النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال يزداد ويمتد وسيظل كذلك إلى آخر الدهر .

١- ديوان الأعشى ، ص :٤٦ .

شروح البردة:

وقصيدة البردة ، حفظتها الأجيال الإسلامية في أقطارها ، ورتلتها في مناسباتها الدينية، ونشرتها المطابع في الشرق والغرب وشرحها الشارحون منذ القرن السابع الهجري حتى اليوم شروحاً عدة يعيناً حصرها هنا ومن شروحها على سبيل المثال لا الحصر:-

١- أبو شامة عبدالرحمن بن إسماعيل القدسي الشافعي المقري النحوي المتوفي سنة ٦٩٥هـ .

٢- علي بن جابر بن موسى اليمني الشافعي المتوفى سنة ٧٢٥ هـ .

٣- جمال الدين عبدالله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦١هـ.

٤- وخمسها يوسف بن موسى الجذامي . المتوفى سنة ٧٦٧هـ.

٥- شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن الزمردي الشهير بابن الصائغ المتوفى سنة ٧٧٦هـ .

٦- أبو عبدالله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني المتوفى سنة ٧٩١هـ سماه "إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة" .

٧- جلا ل بن قوام بن الحكم وأتم شرحه في سنة ٧٩٢هـ .

٨- بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ.

٩- مسعود بن عمر المعروف بسعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٧ هـ.

١٠- جلا ل الدين محمد أحمد بن محمد بن محمد الخجندي المتوفى سنة ٨٠٣هـ.

١١- شهاب الدين بن العماد (ت ٨٠٨هـ).

١٢- أحمد بن محمد بن أبي بكر . لعله : المرعشي . اقتصر على : حل ألفاظها . وأتمه في : المحرم ، سنة ٧٩٧ ، سبع وتسعين وسبعمائة . ثم شرحها : شرحاً

مبسوطا . في : شعبان ، سنة ٨٠٩ ، تسع وثمانمائة . وسماه : (نزهة الطالبين ، وتحفة الراغبين) .

١٣- شرف الدين على اليزدي المتوفى سنة ٨٢٨هـ.

١٤- كمال الدين حسين الخوارزمي المتوفى سنة ٨٤٠هـ.

١٥- القاضي شهاب الدين الدولة آبادي المتوفى سنة ٨٤٩ هـ .

١٦- جلا ل الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي المتوفى ٨٦٤ هـ وسماه "الأنوار المضيئة في مدح خير البرية" .

١٧- وخمسها أبو الفضل : أحمد بن أبي بكر المرعشي . المتوفى سنة ٨٧٢هـ.

١٨- محمد البسطامي الشاهرودي المعروف بمصنفك المتوفى سنة ٨٧٥هـ.

١٩- علاء الدين البسطامي (ت ٨٧٥هـ).

٢٠- الإمام ، شهاب الدين : أحمد بن محمد الحجازي . المتوفى سنة ٨٧٥هـ.

٢١- الشيخ علي بن محمد البسطامي الشاهرودي المعروف : بمصنفك المتوفي سنة ٨٧٥ هجرية ، خمس وسبعين وثمانمائة .

٢٢- الشيخ ، نجم الدين : محمد بن أحمد بن عبدالله القلقشندي ، الشافعي . المتوفى سنة ٨٧٦هـ.

٢٣- علي بن محمد القلصالي ـ بفتحات (ت ٨٩١هـ).

٢٤- وخمسها محمد نبادكاني بن صافي . المتوفى : في حدود سنة ٩٠٠ هـ.

٢٥- زين الدين خالد بن عبدالله الأزهري المتوفى ٩٠٥ هـ وسماه "الزبدة في شرح البردة" .

٢٦- العمدة في شرح البردة . شيخ الإسلام احمد بن محمد بن حجر الهيتمي (٩٠٩-٩٧٣) تحقيق وتعليق بسام محمد بارود دار الفقيه. دبئى الإمارات

العربية المتحدة. ط:الأولى ٢٠٠٣م.

٢٧- شــرح قـصيـدة الـبردة للبوصيري للشيخ جمال بن نصير الجنابي(ت٩٠٩هـ)، تحقيق الدكتور خالق داد ملك ، قسم اللغه العربية ، جماعة بنجاب بلاهور ، ط: الأولى .

٢٨- شهـاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ وسماه "مشارق الأنوار المضيئة في شرح الكواكب الدرية".

٢٩- وخـمسهـا سـليمـان بـن علي القراماني . المتوفى سنة ٩٢٤هجرية وعارضها : بأخرى .

٣٠- الـقـاضي زكريا بن محمد الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦هـ وسماه "الزبدة الرائقة في شرح قصيدة البردة الفائقة" .

٣١- عبيدالله محمد بن يعقو ب المولى الفناري المتوفى سنة ٩٣٦هـ.

٣٢- محي الدين محمد بن مصطفى المعروف بشيخ زاده المتوفى سنة ٩٥١هـ.

٣٣- بدر الدين محمد بن محمد الغزى المتوفى سنة ٩٨٤هـ وسماه "الزبدة" .

٣٤- خير الدين خضر بن عمر العطوفى المتوفى نسنة ٩٨٤هـ.

٣٥- على بن سلطان المعروف بملا علي القاري المتوفى سنة ١٠١٤ هـ.

٣٦- وخـمسهـا أسـعد بن سعد الدين المفتي ، من آل حسن جان ، المشهور المتوفى سنة١٠٣٤هـ .

٣٧- عبـدالـواحـد بـن أحـمـد الأنصاري المتوفى سنة ١٠٤٠ هـ وسماه "شفاء القلب الجريح".

٣٨- وخـمسهـا عبـدالله بن محمود ، المعروف : بكجوك محمود زاده . المتوفى سنة ١٠٤٢هـ.

٣٩- القاضي عمر بن أحمد الخربوتي وسماه "عصيدة الشهدة "(شرحها: ١٢٤١هـ).

٤٠- محمد بن منلا أبي بكر بن محمد بن منلا سليمان الكردى الحنفى ، أتم شرحه في سنة ١٠٤٨هـ وسماه "الدرة المضيئة في شرح الكواكب الدرية " .

٤١ - شطرها احمد بن شرقاوي الخلفي(ت ١٢٥٠)-

٤٢ - شطرها احمد بن عبدالوهاب الجرجاوي (ت١٢٥٤هـ)

٤٣ - ابراهيم بن محمد الباجوري المتوفى سنة ١٢٧٦هـ .

٤٤ - البردة : شرحا و إعرابا وبلاغة . محمد يحيى الحلو ، راجع على حمد الله . دا البيروني .دمشق حلبوني ، تم شرحها ١٢ ربيع الأول ١٤٢٠هـ.

٤٥- العمدة في إعراب البردة قصيدة البوصيري (٦٩٦هـ) . شرح وتحقيق عبدالله احمد جاجة . م : اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق . بيروت ـ ط : الأولى ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢.

٤٦- الشرح الفريد في بردة النبي الحبيب . محمد عيد عبدالله يعقوب الحسيني مكتبة الفارابي دمشق . سورية . ط : الأولى ٢٠٠٤م .

وإذا تصفحنا أوراق المقررات والمناهج الدراسية العربية المتداولة في شبه القارة الهندية ، يتضح لنا أن قصيدة البردة التي نظمها محمد بن سعيد البوصيري المصري المتوفى سنة ٦٩٦هـ .

في مدح النبي صلى الله عليه وسلم كانت داخلة في هذه المناهج فكان العلماء يحفظونها ويدرسونها وينشدونها ويستمعون إليها في مجالسهم ومحافلهم الدينية وبدراسة هذه القصيدة المباركة وإنشاء ها والاستماع إليها كانوا يروون ظمأهم الأدبي ويزكون بها نار الحب التي تهيج في قلوبهم لحبيبهم وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم وتناول العلماء هذه القصيدة تعليقاً وترجمة وشرحاً فترجموها نثراً ونظماً إلى

لغاتهم المحلية كالفارسية والأردية والبنجابية والسندية والبشتوية وكذلك شطروها وخمسوها وسبعوها ونظموا القصائد على فهجها.

فالشعراء الذين قد اشتهروا بالمديح النبوي في تاريخ الشعر العربي قبل القرن الثاني عشر الهجري فأشهرهم البوصيري الذي نظم قصائد المديح كأنه لحظ أن الرسول صلى الله على وسلم موصول الحياة وأنه يخاطبه كما يخاطب الأحياء.

وإن شبه القارة الهنديةهى من المناطق التي هبت عليها نفحة من نفحات الإسلام منذ القرن الأول الهجري -فلم تزل محط الرجال من الدعاة والغزاة والفاتحين من العلماء والصلحاء -وقد ظهر في هذه الأرض عدد من خيرة العلماء والأدباء وخاصة في القرن الثاني عشر الهجري ومنهم **الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي** الذي كان مثل الشجرة الطوبى أهلها في بنيانه وفرعها في كل بيت من بيوت المسلمين ، وكان مفسراً بارعاً ، وفقيها ذكيا ، ومحدثا فحنميا ، ومجتهداً عظيماً ، وصوفياً كبيراً ، وشاعرا مجيدا، وله مهارة وبراعة في الشعر .

ويحتوي شعره على الحمد والمدح ويدور حول مدح سيد الرسول وسائر الأنبياء صلى الله عليه وسلم ولم يلوث قلمه بمدح أحد أخر من الأمراء وأصحاب الثروة والجاه ، وجعل نصب عينيه فقط مدح الحبيب سيد الكونين والثقلين صلى الله عليه وسلم ولذلك صنع القصيدة "**أطيب النغم** "لينال القبول لدي حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فيستشفع بها يوم القيامة وتشتمل هذه القصيدة على ١٠٧ بيتاً واختار لها "البحر الطويل" وقسمها فى أحد عشر فصلاً وذكر فيها مناقبة النبى صلى الله عليه وسلم بأسلوب بديع ، وطراز أخاذ واستخدم لها كلمات فصيحة ، كما وردت في هذه القصيدة المدحية ألفاظ غريبة وصعبة .

وإن وصف هاتين القصيدتين والمقارنة بينهما سيكون عملاً جديداً

ومفيداً في نفس الوقت لأن المقارنة أو الموازنة مصدر خصب من مصادر المعرفة الإنسانية ، فالإنسان في مختلف دراساته اتخذ المقارنة سبيلا للوصول إلى الحقائق الجوهرية المتعلقة بميادين بحثه ، فالأدب المقارن ثمرة لتصور الدراسات الأدبية في العصر الحديث ، وكان كل ذلك هو الدافع الأساسي لاختياري هذا الموضوع وسأحاول في هذا البحث المقارنة بين القصيدتين بردة البوصيري وأطيب النغم للشاه ولي الله .

مفهوم الأدب المقارن ومناهجه ومجالاته

الأدب المقارن : مفهومه وهدفه

إن الأدب ـ كأي ضرب من ضروب الإبداع الإنساني لا ينشأ من فراغ ، ولا يذهب إلى هباء .

فكل عمل أدبي إنما هو خلقة في سلسلة متصلة من الأعمال الأدبية الأخرى ، بعضها سابق عليها، مؤثر فيه ، وبعضها لاحق متأثر به .

ومن النادر أن نرى عملا فنيّا أو فكريا يكون قائما على نفسه فقط ومعزولا عن غيره ، ولهذا أصبح درس الأدب المقارن منهجا هاما من مناهج البحث الأدبي .

فالمقارنة أو الموازنة مصدر خصب من المصادر المعرفة الإنسانية . فالإنسان في مختلف دراساته اتخذ المقارنة سبيلا للوصول إلى الحقائق الجوهرية المتعلمة بميادين بحثه. فالأدب المقارن في صورته الحالية ثمرة لتصور الدراسات الأدبية في العصر الحديث .

ظهر الأدب المقارن نتيجة لتطور الدراسات والبحوث في النقد الأدبي ، وتاريخ الأدب في القرن التاسع عشر ، حيث قام هذا النوع من الدرس الأدبي في فرنسا على أساس فكرة اتصال الثقافات بعضها ببعض وتبادل التأثيرات فيما بينها وذلك لأن المناخ كان مواتيا لظهوره في تلك الفترة أكثر من أي وقت مضى لسيادة روح العالمية في أوروبا كلها منذ مطلع ذلك القرن . فذلك القرن (التاسع عشر ـ عصر الثورة الفرنسية) تميز باتساع الأفق الأدبي و نمو حركة الترجمة بين اللغات الأروبية فأصبح "الأدب المقارن " علما من العلوم التي لا غنى عنها لدراسي الآداب في العصر الحديث . فإن هذا العلم لم تكن له غاية عند نقاد الأدب الفرنسي سوي أنهم وجدوا فيه :

"السبيل الدائم إلى التقريب بين الآداب الخمسة الكبرى (الفرنسية ، الألمانية ، الإنجليزية ، الأسبانية ، الإيطالية) في أوروبا الحديثة " (١)

هذا العلم يدرس العلاقات المتبادلة بين الآداب المختلفة أو يدرس تأثير الآداب

١- الأدب المقارن ـ دراسات تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي د/محمد السيد جمال الدين، ص ١٣-

الأخرى في نشأة بعض الأجناس الأدبية من : رواية ومسرحية ومقال وقصة قصيرة و قصيدة وما إليها في أدبنا العربي الحديث والمعاصر .

ليس هناك مفهوم واحد اصطلح عليها الأدب المقارن بل إن هذا المفهوم يختلف بين الدارسين في القطر الواجد وهو أكثر تباينا بين الدارسين في مختلف الأقطار حيث قام هذا النوع على أساس فكرة اتصال الثقافات وتبادل التأثيرات .

تعريفات الأدب المقارن :

كي نقف على فحوى هذا العلم ، ينبغى لنا أن نشير بإيجاز إلى تعريفه من خلال ما ذهب إليه رواده على اختلاف اتجاهاتهم وميولهم ، حيث نجد أنفسنا أمام ثلاث مدارس بارزة ، أهمها وأقدمها :

المدرسة الفرنسية .

وأشهر أقطاب هذه المدرسة هو فان يتجم مؤلف كتاب الأدب المقارن ، والذي ضمنه نظريته في هذا العلم ، وهو يرى "أن غاية الأدب المقارن هي أساساً دراسة الآداب المختلفة في علاقاتها مع بعضها البعض " (١).

ويعرفه فرانسوا جويار فيقول :"إن الأدب المقارن هو تاريخ العلائق الأدبية الدولية فالباحث المقارن يقف عدن الحدود اللغوية والقومية ويراقب مبادلات الموضوعات والفكر والكتب والعواطف بين أدبين أو عدة آداب "(٢)

ويرى ج . م . كاريه أنه "دراسة العلاقات الروحية الدولية أو الصلات الحقيقية التي وجدت بين با يرون و يوشكين ، بين جوته وكارلايل ، بين ولتر سكوت وفيننى ، بين أعمال الكتاب الذين ينتمون إلى آداب عدة وحيواتهم ومصادر إلهامهم "(٣).

١- مفاهيم نقدية ، رينيه ويليك ،ترجمة محمد عصفور ، ص٣١٥ .

٢- الأدب المقارن ، ماربوس فرانسوا جويار، ترجمة محمد غلاب ، ١٩٥٦، ص ٥ .

٣- مفاهيم نقدية ، رينيه ويليك ،ترجمة محمد عصفور ، ص٣١٥ .

كـمـا تـعـرفه آنا سابينا ريفينياس Revignasبـأنـه "عـلـم حديث يهتم بالبحث في المشكلات المتعلقة بالتأثيرات المتبادلة بين الآداب المختلفة " (١).

وتأتى "**الثـورة الأمريكية**" عـلـى الـمـفهوم الفرنسي للأدب المقارن ممثلة في رأى رينيـه ويليك الذي يرى ضرورة أن يدرس الأدب المقارن الأدب كله من منظور عالمى ومن خـلال الـوعى بوحدة كل التجارب الأدبية والعمليات الخلاقة وبذا يكون الأدب المقارن في رأيه "هو الدراسة الأدبية المستقلة عن الحدود اللغوية والعنصرية والسياسية ."

وجـوهـر الاخـتـلاف الأمـريـكـي ـ الـفـرنسي في هذا المقام يرجع إلى أن الفرنسيين يـركـزون اهتـمـامهم على الجانب التاريخي ومن ثم يضعون على الأدب المقارن في صفوف التـاريخ الأدبي ويستبعدون عناصر النقد الأدبي من دائرة اهتمامهم ، بينما يرى الأمريكيون أن الـنـقـد لا يـنفصل عن التاريخ ، إذ ليست في الأدب حقائق محايدة . فعملية اختيار كاتب ما لـلـدراسة واختيـار عـناصر معينة لمناقشة الكتاب في ضوئها هي عمل نقدي بحث ، كما أن الوصف والتشخيص والتفسير والتقويم هي عناصر هامة ومن الصعوبة حصر المقارنة في إطار الـعـلاقـات التاريخية ، فقد تكون مقارنة اللغات والأنواع الأدبية ذات قيمة تضارع قيمة تلك العلاقات التاريخية .

إذن فـجـوهـر الاخـتـلاف بيـن الـمدرستين يتمثل في حصر الفرنسيين لمفهوم الأدب الـمـقـارن فـي الـمـنهـج التـاريخي ، بينما تتسع الرؤية الامريكية لتربط بين المنهج التاريخي والمنهج النقدي باعتبارهما عاملان ضروريان في الدراسة المقارنة .

ومـن تـعـريـفـات الأدب القارن أيضاً ما ذهب إليه هـ . ريماك من أنه "دراسة الأدب بـحيـث تتـعـدى حـدود الـقـطر الواحد ، ودراسة العلاقات القائمة بين الأدب من ناحية وبين مـجـالـي الـمـعرفة والمعتقدات كالفنون والفلسفة والتاريخ والعلوم الاجتماعية والعلوم البحتة

١- مفاهيم نقدية ، رينيه ويليك ، ترجمة محمد عصفور ، ١٩٨٧ ،ص٣١٨. ٣١٨.

والأديان ...... الخ من الناحية الأخرى .(١)

فيعرف هنرى رمال و هوائرز الباحثين الأمريكيين الأدب المقارن بأنه : مقارنة ادب معين مع أدب آخر أو آداب أخرى ومقارنة الأدب لمناطق اخرى من التعبير الإنسان .(٢)

كان المقارنون الأوائل - وهم أوربيون - أسرى النظرة الاستعمارية الأوروبية ، واعتبروا آداب العالم كلها إما منبثقة عن أو منصبة في بحر الآداب الأوروبية ، ولم يعطوا الآداب الآسيوية والإفريقية والأمريكية الجنوبية حقها من البحث والاستقصاء ، وإنما تركوا أنفسهم يغرفون في دوامه العلاقات فقط ، وأما أصحاب المدرسة الحديثة فيطالبون :-

"بأن تتوسع نظرة الأدب المقارن لتشمل عن المتشابهات في الأفكار الأدبية وفي الذوق الجمالي ، لأنه بغير ذلك لا يكون يشترطون وجود علاقة تاريخية أو تأثرا أو تأثيرا في منطقة الأدب المقارن ، وإنما يعتبرون تلك المشابهات الجمالية والذوقية أساسا للبحث و وسيلة لاكتشاف العنصر المشترك على مستوى الإنسانية " .(٣).

الأدب المقارن يهدف إلى بيان نواحي التلاقي بين الأدب القومي لإحدى الأمم ، وغيره من آداب الأمم الأخرى ، مبينا التأثير والتأثر مستعينا في كل ذلك بما تؤيده وثائق التاريخ من تلاق بين الأمم مكن لها من أن نتبادل فيما بينها هذا التأثر والتأثير .

فنظرية الأدب المقارن تقوم على أساس فكرة التأثر والتأثير . وليس عيبا أن يأثر أدب من الآداب أو كاتب من الكتاب بأدب آخر غير أدبه القومي بل ميزة الأديب وعبقرية أن تتغذي لهذا المؤثرات وتتمثلها ثم تخرجها في صورة أخرى متشابهة بالأديب المؤثر.

١- الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسى والأمريكى ،عبدالحكيم حسان ،مجلة فصول ، المجلد الثالث، العدد الثالث ، أبريل - يونيه ١٩٨٣ ، ص : ١٦.

٢- آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا ، د/ حسام الخطيب ص ٣ .

٣- آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا ، د/ حسام الخطيب ص ٢٩-٣٠.

أهمية الأدب المقارن

مـمـالا شك فـى أن الأدب المقارن اليوم يتميز عن غيره من الدراسات الأدبية بأهمية خـاصة لـمـا فيـه مـن مـرونة تسـمـح بـالتـطور ، ولما يدعوا إليه من نبذ كل أنواع التعصب و الاستعلاء ، فليس هناك أدب مؤثر وآخر متأثر بصفة مستمرة ، ولا يمكن لأي أدب قومي أن يعيش منعزلا عن آداب العالم .

ونستـطيـع أن نتـلـمـس أهـمية الأدب الـمقارن التي لا تقتصر على أسهامها في تنمية الدراسات الأدبة بل تتصل أيضا بالنواحي الإنسانية والاجتماعية فيما يلي :-

١ـ الأدب الـمـقـارن يـكشف عن العناصر التي تغذي بها ذو و المواهب الأدبية وعن الـعـوامـل التـي سـاعدت على تكوين المواهب بفضل ما وصل إليهم من الآداب الأخرى ، و كيف مثلوا تلك الثقافات ليخرجوها للناس خلقا آخر ذا طابع جديد . (١)

٢- ولـلأدب الـمقارن أهمية إنسانية جليلة الخطر حيث من شأنها أن تدفع الشعوب إلى التـفـاهـم بـعـضها مع بعض وأن تحول دون تحكم الغرور القومي في اتجاهاتها وتساعد على نشر النواحي الإنسانية لتسير الشعوب وراء ه إخوانا .(٢)

٣- وتبـرز أهـمية الأدب المقارن حين يكشف عن التيارات الأدبية العامة التي توجه الناس في جـمـيـع أنـحـاء الـعـالـم وهو حين يفعل ذلك يضرب صفحا عن الحدود الدولية واللغوية ضوء ا على الإنسـانية في تطورها والعبقرية في تكوينها، والمدنية في علاقاتها مع غيرها ، و الآداب في وحدتها العالمية ...... وبذا تتهيأ خير السبيل للتعاون الحق والتفاهم الصادق بين الشعوب ، عن طريق التعرف على الاتجاهات العامة والميول المشتركة للعقل البشري . (٣)

٤- ويسـاهـم الأدب المقارن أيضا في الولوج إلى الجوهر الخفي للعمليات الأدبية بصورة

١- الأدب المقارن ، د/غنيمي هلال ، ص ٤٣٦ .

٢- المصدر السابق ، ص٤٣٦ .

٣- المصدر السابق ، ص٤٣٧ .

أعمق ، وإغناء البحث في الجوانب النفسية للنتاج الأدبي ، ويحدد الدور الطليعي لبعض الأدباء ويتابع تأثيراتهم العالمية ويدفع عجلة التقارب بين الشعوب عن طريق تسهيل عجلة التفاهم المتبادل . (١)

٥- ومما لا شك فيه أن الإطلاع على آداب أجنبية ومقارنتها بالأدب القومي يؤدى إلى التخفيف من حدة التعصب للغة والأدب القومي الذي كثيراً ما ينتج عنه العزلة عن التيارات الفكرية والثقافية المفيدة التي تساهم في إثراء الأدب .

٦- كما تنعكس إحدى فوائد الأدب المقارن على الدارس ذاته ، إذ تكون فيه دربة خاصة تساعد على تمييز ما هو قومي أصيل وما هو أجنبي ودخيل من تيارات الفكر والثقافة(٢)، ولا يخفى ما لذلك من أهمية في تحصين الفرد من التيارات الضالة في الفكر عامة .

٧- ومن ناحية أخرى، ساهم استخدام الأدب المقارن كمنهج يسهل البحث عن المبادي ، العامة المكونة لنظرية الأدب في إنجاز بعض المهام حددتها أمينة رشيد فيما يلي :

(أ) دراسة القواميس والمعاجم وتأثير اللغات بعضها على بعض في حالة وجود ألفاظ أو أبنية مستعارة من الخارج.

(ب) فن الترجمة ، والترجمة من أهم وسائل النقل للآداب والثقافات ، وإن توجيهاتها مؤشر هام يطلبه أدب من أدب أخر ، وهي طريقة لفهم أعمق للثقافات الأخرى ولآدابها ، لما أنها تتطلب معرفة جيدة باللّغتين ، وتعليماً دقيقاً لتراث اللغتين ولتراكم التجربة الإنسانية والثقافية الكامنة فيهما ، وهي أخيراً إمكانية لإظهار الثابت والمتحول أو العام والخاص في الآداب.

١- دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر ،محمد غنيمى هلال ، ص ١٧ .

٢- الأدب المقارن والدراسات المعاصر لنظرية الأدب،آمينة رشيد ، مجلة فصول ، المجلد الثالث، العدد الثالث ، إبريل - مايو - يونيه ١٩٨٣ ، ص ٥٦ .

(جـ) القيام بدارسات مقارنة في علم الشعر والوزن.

(د) القيام بدارسات مقارنة للصور الأدبية مثل دراسة صورة الحب الإلهى والحب الإنساني لاستخراج الثوابت والمتغيرات .

(هـ) ازدهار الدراسات الأسلوبية المقارنة.

(و) دراسة الأنواع الأدبية وما لها من أهمية خاصة في مجالات النقد الأدبي .

كما يرى الدكتور الطاهر مكى أن غاية الأدب المقارن يشيء بها منهجه ، فهو يفسر لنا ظاهرة أدبية بواسطة ظاهرة أخرى شبيهه ويوضحها وفي هذا تحقيق للمتعة والفائدة .

إن أهمية الأدب المقارن تكمن كذلك في إضافة معارف جديدة للعمل الأدبي ، بالإضافة إلى إيقاظ الفضول الأدبي أو إشباعه في أنفسنا ، وإثارة الاهتمام بجوانب لا يعرض لها تاريخ الأدب متعمقاً .

الأدب المقارن : مجالاته ومناهج دراسته :

أن الأدب المقارن يعني بدراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب. و نعرض فيما يلي لأهم المبادي التي تقوم عليها الدراسة المقارنة:ـ

١ـ مظاهر التأثير والتأثر : ـ

الأدب المقارن يقف في مركز وسط بين الآداب ليركب حركة التيارات العالمي وتأثيرها على الأدب القومي ، والتأثير هذا الأدب القومي في غيره من الآداب . وتتمثل مظاهر هذا التأثير في الاستعارات الصريحة ، وانتقال الأفكار ، والموضوعات والنماذج الأدبية للشخصيات من أدب إلى آخر .

إن اهتمامات الأدب المقارن تمتد إلى دراسة نوع التأثر الذي غلب على الكاتب في لغته التي يكتب بها أن استفاد من أدب آخر ، وهو ما يطلق عليه في مصطلح هذا العلم "تأويل الكاتب" لما قرأه من الآدب الأخرى .

وهناك نوع آخر من التأثير يلقي عناية الأدب المقارن وهو ما يسمي "بالتأثير العكس"

فربما قاوم كاتب أثر كاتب آخر في أدب أمة أخرى ، ونتج عن هذه المقاومة أثرها في تأليفه .

٢ـ موضوعات تخرج من دائرة الأدب المقارن : ـ

تخرج من دائرة الأدب المقارن الموضوعات التالية :

١ـ الدراسات التي تعتقد بين كتاب من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية يمكن القول معها بأن أحدهم قد تأثر بالأخر . وإذا فرضنا أن الشاعر عربيا عرض لفكرة من الأفكار تناولها شاعر في فرنسا ولم يثبت التاريخ أن أحدهما وقف على فكرة الأخر أو اتصل بإنتاجه بأي شكل من أشكال الاتصال فإن هذا لا يدخل في دائرة الأدب المقارن . ومن ثم فإن للتاريخ دورا هاما في الدراسات المقارنة لإثبات الصلات بين الأدباء أو نفيها .

٢ـ يخرج من دائرة الأدب المقارن أيضا ما يجري من موازنات في نطاق الأدب القومي الواحد ، حتى ولو كانت هناك صلات تاريخية من الكتاب.

فالموازنة بين أبي تمام والبحتري أو بين حافظ وشوقي في الأدب العربي ، إنما يتركها دارس الأدب المقارن لدارس الأدب القومي . لأن هذه المقارنات لا تتعدى نطاق الأدب الواحد ، أما ميدان الأدب المقارن فميدان دولي يتسع للربط بين أدبين مختلفين أو أكثر .

٣ـ مجالات الدراسة في الأدب المقارن : ـ

إن الأدب المقارن يمكن أن يتناول الدرس أحد المجالات الآتية :

١- تحقيق التاريخ الأدبي لأمة من الأمم ، وذلك ببيان عوامل التأثير والتأثر التي قامت بين أدب تلك الأمة وغيرها من الأمم .

٢- دراسة أحد الشعراء أو الكتاب دراسة نقدية تبين نواحي التأثير و التأثير بالآداب الأجنبية عند هذا الشاعر أو الكاتب ذلك لأن الأدب المقارن يؤدي إلى اكتشاف المصادر التي تأثر بها أو نقل عنها ، كما أنه في الوقت نفسه يبين أثره على من قرؤوه وتأثروا بفنه .

٣- دراسة نوع أدبي دراسة تاريخية محققة ، تهدف إلى بيان الإصالة و التقليد وتكشف

عن تطور النوع الأدبي في مختلف الآداب تطورا تاريخيا يتبع انتقال هذا النوع الأدبي من أمة إلى أخرى ، خلال العصور .

٤- تتبع قصة إنسانية أو أسطورة عولجت في آداب مختلفة ، فمن قصص اليونان ما عولج في عدد من الآداب الأوروبية ، ومن الأساطير ما لقي اهتماما خارج بيئته الأصلية. ومن حوادث التاريخ ما اهتم به أدباء يكتبون بلغات مختلفة في أزمان متباينة .

٥- دراسة مذهب أدبي ظهر في عدد من الآداب المختلفة . فمن الممكن دراسة المذهب الرومانسي وأثره على آداب أوروبا.

٦- دراسة شاعر أو أديب تجاوزت آثاره حدود أدبه القومي، وبيان ما كان لهذه الآثار من فاعلية في آداب الأمم الأخرى . وقد ظهر في أوروبا في العصر الحديث شعراء وأدباء تجاوزت تأثيراتهم حدود آدابهم القومية . هذه الحالات التي ذكرت إنما هي على سبيل التمثيل لا الحصر .(١)

٣-منهج الدراسة المقارنة :

نورد فيما يلي عرضا مجملا لخطوات المنهج الذي يتعين على الباحث أن يتبعه في الدراسة المقارنة بين موضوعين .

١- يضع الباحث الموضوعين اللذين يقارن بينهما أمامه بادئا بالموضوع الأول (الذي يعد الأصل المؤثر) فيخصه بعرض شامل يستوفى جوانبه الفكرية والفنية ، ثم يقدم ملخصا وافيا للموضوع الثاني ، محددا خصائصه الموضوعية الفنية .

٢- يشرح الباحث في متابعة الكاتب المتأثر ليحدد أوجه التشابه ثم أوجه الخلاف من الناحية الموضوعية مع الإشارة إلى الجانب الإبداعي الذي اضفاه المتأثر على الموضوع.

٣- يخلص الكاتب في النهاية إلى فكرة جامعة يستخلصها من خلال دراسة للموضوعين.

١- في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي ،د/ محمد عبدالسلام كفافي ، ص٣٠ - ٣١ .

مفهوم المدح والفرق بين المدح العام ومدح النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

مفهوم المدح

مدحه كمنعه ، يمدحه مدحا ومدحة بالكسر . هذا قول بعضهم . والصحيح المدح مصدر والمدحة الاسم ، والجمع مدح ، أحسن الثناء عليه ، ونقيضه الهجاء .

قال علماء الاشتقاق وفقهاء اللغة المدح بمعني الوصف الجميل ، ويقابله الذم ......، وفي المصباح مدحته مدحا كنفع أثنيت عليه بما فيه من الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية ولهذا كان المدح أعم من الحمد قال الخطيب التبريزي : المدح من قولهم المدحت الارض إذا اتسعت فكأن معني مدحته وسعت شكره ...... نقله شيخنا المديح والمدحة بالكسر والأمدوحة بالضم ما يمدح به من الشعر ، جمع مديح مدائح و جمع الأمدوحة أماديح .(١)

منذ فجر التاريخ أحس الإنسان بالفوارق الاجتماعية بينه وبين أخيه الإنسان ، وشعر باختلاف المواهب والقيم عند الناس ، ورأى الأقدار تضع وترفع ، وتعطي وتمنع، لذلك سعي إلى تجمل خيالهم بالقول ، فوقف منهم موقف الاحترام . فكانت أقواله تعبر عن المديح، سواء كان هذا المديح صادرا عن قرارة نفسه أم من أطراف لسانه ، فهو يقر بالرياسة والزعامة ، لمن يتصور أنهم سبقوه بالغنى والشجاعة والكرم والقوة والفهم و الذكاء فهو يشترك مع الناس جميعا في النظر إلى الزعيم والقائد والوجيه والعالم والغني و السيد والأمير نظرة خاصة . ويشترك معهم كذلك في مديح هؤلاء ، حين يعرض له القول أو يتصدى الحديث والبيان شعرا ونثرا.

فكذلك تعود العرب منذ العصر الجاهلي أن ينوهوا في أشعارهم بأشرافهم من الكرم والشجاعة والحلم والوفاء وحماية الجار ، وكان لا يعد السيد فيهم كاملا إلا إذا تفني بنباهته ومناقبه (٢).

١- تاج العروس ـ محمد مرتضى الزبيدي ، تحت المادة : م، د ، ح .

٢- العصر الإسلامي ـ د/ شوقي ضيف ، ص ٢١٥ .

والمديح باعتباره غرضا من أغراض الشعر ، شاع في نتاج كثير منالشعراء العرب ، منذ العصر الجاهلي ، حينما أعجب شعراء الجاهلية بالرجال المتفوقين من الملوك والوزراء والوجهاء والأغنياء من حيث الخلق والرأي والشجاعة و الكرم والجود ، فحركوا ألسنتهم بالثناء والإعجاب وأمتدحوا المثل العليا التي رأوها عندهم .

فأهم الشعراء الذين اشتهروا بهذا الغرض في الشعر الجاهلي ، النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى .

والنابغة الذبياني ، لما أراد أن يصف جود النعمان فامتدحه بأنه أشد من سيل الفرات وقال:

فما الفرات إذا هي الرياح له ترمي غواربه العنبرين بالزبد
يمده كل واد متسرح لجب فيه ركام من الينبوت والحضد
يظل من خوفه الملاح معتصما بالخيز رانة بعد الأين والنجد
يوما بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون الغد (١)

هذه الصورة التي صنعها النابغة ، ليرسم أن كرم النعمان وجوده كنهر الفرات ، بل أشد وأكثر منه .

وكذلك استعار النابغة صورة أخرى المديح ملكه ، فشبهه بالشمس بين الكواكب مكانة بين الملوك وارتفاع قدره على أقدارهم ، فقال :

ألم تر أن الله أعطاك صورة تري كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدو منهن كوكب (٢)

هكذا سن النابغة للشعراء سنن المديح ، حينما يتطلعون إلى الملوك فأصبح المديح حرفة للإكتساب المال.

قال النقاد : انه أول الاحتراف في المديح ، ورأي بعضهم في شعر المديح صحافيا

١- المديح من فنون الأدب العربي - سامي الدهان ، ص ١٥ .
٢- المرجع السابق ، ص ١٦ .

لعصره يعير قلمه من يجود عليه أو يحمي حماه أو يظله بجناحه ، فيرفع من قدره بمديحه ، ويصوره في احترام وحب وخوف ، ويجعله فوق الناس وأعلى الملوك . فبذلك يختلف من زملائله الجاهليين كامرائ القيس ......، حيث قالوا : المديح هو حب عميق وشعور صادق ، واعتراف بالواقع ولم يحترف بالمديح (١).

وكذلك مدح زهير بن أبي سلمى كل من قام بإصلاح ذات البين ، أو عمل عملا كريما، كما فعل مع هرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، إذا صلحا بين عبس وذبيان ، ودفعا الديات من مالهما الخاص ، وكان مدحه لهما ولغيرهما يقتصر على ذكر الصفات البدوية من شجاعة ورأي كريم وأصل عريق وتقوي خالصة .

وكان زهير مخلصا في المديح ، يسعي وراء المعروف والفضل ويشيد بهما . ولكنه يفتتح المديح بالغزل التقليدي ثم ينتقل إلى صفات الممدوح ، فيقول في هرم بن سنان والحارث بن عوف :

يمينا لنعم السيدان وجدتما   على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما   تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً   بمال ومعروف من الأمر نسلم
فأصبح يجري فيهم من تلادكم   مغانم شتى من إفال المزتم (٢)

ومن المعروف أن العرب يعيشون في أطراف الأرض على نظام عجيب ، و أسلوب غريب، لا تجمعهم دولة ، ولا يلمهم سلطان ، ولا ينظمهم قانون واحد، كأنما تنتظر زعيما يجمع شملها ، وقائدا يفيد من شجاعتها وإماما يوحد بين آرائها .

فلما ظهر سيدنا محمد صلى الله عليه سلم في قريش ، ودعا إلى وحدة العرب واتحادهم واجتماعهم تحت دين واحد وراية واحدة ، لينقذهم من فوض تشل حياتهم وحروب تستنفر قواهم.

١- المديح من فنون الأدب العربي - سامي الدهان ، ص ١٧ .
٢- تاريخ الأدب العربي - أحمد حسن الزيات ، ص ٥٤ .

فهزت دعوته القبائل ورؤساؤهم ، وبلغت الممالك المجاورة وملوكها ، فوقفت بين مصدقة ومكذبة ، حتى إذا بلغها ما كان عليه هذا الرسول صلى الله عليه وسلم من تعلق بالحق والوفاء والقناعة والتواضع ، ومن مقدرة في البلاغة والفصاحة والبيان والسياسة ، ومن مكانة في الشجاعة وقيادة الجيوش ها لها أمره ، وأدخلها خطرة، فانصرف بعضهم إليه، وبعضهم عنه ، فوقف له شعراء يتصدون للهجاء عليه ، كما وقف معه آخرون يجدون عن الدفاع عنه وامتداحه .

وقد كان هذا المديح أول الأمر يقتصر على امتداح خصاله وشمائله ورسالته و هو حي . فلما قضي ، انصرف الشعراء إلى الثناء على وتعداد صفاته والإشارة بالإسلام .

ونحن ، إنما نعد هذا من المديح ، لأنه يتوجه بكلامه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كأنه موجود حي ، يناديه ويناجيه ، فيسمعه ويلبيه (١).

فحصيلة الكلام السالف ، أن المدح هو بيان الشمائل الطبية والصفات الجميلة التي يكون الممدوح متصفا به ، سواء كان يصدر عن قرارة نفسه ، أو من أطراف لسانه .

ودوافعه التقدير لشخصية الممدوح ، أو الإعجاب بفضائله وخصاله أو الطموح إلى نيل عطائه.

الفرق بين المدح العام والمدح النبوي ﷺ

المدائح النبوية فنون الشعر ، وهي لون من التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من الأدب الرفيع، لأنهما لا تصدر إلا عن قلوب مفحمة بالصدق والإخلاص ......، ولا يراد بالمدائح النبوية إلا التقريب إلى الله ، لنشر محاسن الدين ، والثناء على شمائل الرسول . كما قال الأعشى :ـ

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم ... ترخي وتلقي من فواضله يدا
نبي يري مالا يرون وذكره ... أعار لعمري في البلاد وأنجدا

١- المديح في فنون العرب العربي ، سامي الدهان ، ص ٧١ ـ ٧٢.

لـه صدقـات مـا تـغـب ونـائل   وليـس عـطـاء اليـوم يـمنعـه غدا (١)

ولـكـن هـذا ليس مـن المدائح النبوية لأن الأعشى لم يقل هذه الأشعار ، وهو صادق النية في مدح آل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما كانت محاولة أراد بها التقرب إلى نبي الإسلام ، وآية ذلك أنه انصرف حين صرفته قريش ولو كان صادق ما تحول.

فـقـد حـدثـوا أن قـريشـا رصـدوه عـلى طريقة حين بلغهم خبره و سألوه ، أين تريد ؟ فـأخبـرهـم أنـه يريد محمدا ليسلم ، فافهموه أنه ينهي عن الزنا والقمار والربا والخمر. فقال: لـقـد تـركني الزنا وما تركت ، وأبدى زهادته في القمار ، رجاء أن يصيب من النبي صلى الله عـليـه وسـلم ، عونا منه ، وقال عن الربا، ما دنت ولا أدنت . وأبدي جزعه عند ذكر الخمر ، وقال أرجع إلى صبابة قد بقيت لي من المهراس فأشربها .

فـقـال لـه سليمان : هل لك في خير مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن الآن في هـدنة ، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدتك سنتك هذه ، وتنظر ما يصير اليه أمرنا فإن ظهرنا عليه ، كنت قد أخذت خلفا وإن ظهر علينا أتينه ، فقال : ما أكره ذلك.

فـجـمـع له أبو سفيان من قريش مائة ناقة ، فأخذها وانطلق إلى بلده ، فلما كان بقاع منفوخة ، رمى به بعير فقتله .

وهذه القصة تدل أن مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يكن إلا محاولة كسائر محاولات الشعراء الذين يكتبون بالمدائح .(٢)

وكـذلك أكثر المدائح النبوية قيل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وما يقال بعد الـوفـاة يسـمـى رثـاء ، ولـكـنـه ، فـي الـرسول صلى الله عليه وسلم ، موصول الحياة ، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء .(٣)

والمدح أنواع كثيرة ، منها مدح الأنبياء والملوك ، والعظماء وأصحاب الجاه والمكانة

١- ديوان الأعشى ، ص ٤٦، المؤسسة العربية .

٢- المدائح النبوية - زكي مبارك ، ص ١٤-١٧-١٨ .

٣- المصدر السابق ، ص ١٤ .

والوزراء ، وقواد الحرب ورجال السياسة والكرماء والعلماء .

فمدح الأنبياء وخاصة مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، أن الدافع له هو الحب الصادق . فهو لا يصدر إلا عن قلوب مفحمة بالصدق والخلوص ، ولا يراد به إلا التقرب إلى الله عزوجل.

والمدح بألوانه الأخرى ، لا يكون كذلك ، بل يكون لغرض اكتساب المال وغيره، فهو يصدر من أطراف اللسان.

وما قيل قبل الوفاة يسمى مدحا ، وما قيل بعدها يسمى رثاء . ولكن بالنسبة إلى المدائح النبوية فالأمر ليس كذلك ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، كالأحياء سواء كان قبل الوفاة أو بعدها ، يسمى مدحا في كلتا الصورتين .

والشعراء الذين قد اشتهروا بالمديح النبوي في تاريخ الشعر العربي قبل القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، فأشهرهم البوصيري الذي نظم قصائد المديح كأنه لحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، موصول الحياة ، وأنه يخاطبه صلى الله عليه وسلم كما يخاطب الأحياء .

وشبه القارة الهندية من المناطق التي هبت عليها نفحة من نفحات الإسلام منذ القرن الأول الهجري . فلم تزل محط الرجال المسلمين من الدعاة والغزاة والفاتحين من العلماء والصلحاء .

وقد ظهر في هذه الأرض عدد من خيرة العلماء والأدباء في العالم الإسلامي وخاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين . فإن موضعهما من القرون السالفة موضع الرأس من الإنسان . لأنهما قد أنجبا عددا من كبار العلماء والأدباء أمثال الشاه ولي الله الدهلوي والعلامة فضل حق الخير آبادي والشيخ أحمدرضا البريلوي والشيخ غلام علي آزاد البلكرامي الذين ألفوا كتبا عديدة في موضوعات لم يسبقهم إليها أحد.

وهؤلاء العلماء الكبار كانوا شعراء في العربية كذلك حيث نظموا أشعارا كثيرة

بالعربية في مختلف الأغراض من مدح هجاء ورثاء وفخر . وكان معظم هؤلاء الشعراء من الصوفية لأن أكثر الأغراض الشعرية شيوعا عندهم هو المدائح النبوي.

وأكثر الشعراء انتاجا في المدح الرسول صلى الله عليه وسلم هو الشيخ غلام علي آزاد البلكرامي . وله الدواوين السبعة التي اشتهرت باسم "السبعة السيارة" هي مجموعة من القصائد في مختلف الأغراض العربية التقليدية من مدح وهجاء ورثاء ووصف وغزل وتصوف.

البـــــاب الأول

دراسة قصيدة البُردة للبوصيري

فيه أربعة فصول

الفصل الأول: ترجمة صاحب البردة

الفصل الثاني: نص البردة

الفصل الثالث: تعارف وتحليل موضوعات البردة

الفصل الرابع: الخصائص الفنية للبردة

الفصل الأول

ترجمة صاحب البردة :

الإمام شرف الدين البوصيري

(٦٠٨هـ ـ ٦٩٦هـ)

أصول البوصيري ونشأته:

أبـو عبدالله شرف الدين محمد بن حماد بن محسن بن عبدالله بن صنهاج بن هلال الـصنهـاج الـدلاصـي الـمـولد ـ نسبة إلى دلاص بصعيد مصر ـ المغرب الأصلي ، البوصيري الـمنشـأ نسبة إلى بوصير ، من أعمال بني سيوف بمصر ، كان أحد أبويه من دلاص والآخر مـن بـوصيـر ، وهما قريتان من قرى صعيد مصر ، ولكنه شهر بعد بالبوصيري، وكان مولده في الأول ومرباه في الثانية .

ولـد البوصيري بدلاص يوم الثلاثاء أول شوال سنة ثمان وستمائة (٦٠٨هـ ١١٢١م) أي في أوائل القرن السابع الهجري .(١)

وقيـل هـو أبـو عبدالله شرف الدين محمد بن سعيد بن حما د بن محسن بن عبدالله بـن صنهاج المغربي الأصيل الدلاصي المولد ببري المنشأ ولقب بالصفهاجي البوصيري وهو شـاعـر مـصـر في الدرجة الأولى ، وله في المدائح النبوية جهد ومقام لا يبارى . وقد حاز فيها قـصب السبق بلا منازع ، والسبب في تسميته بالبوصيري نسبة إلى بوصير والآخر من دلاص فسماه بعضهم الدلاصيري وقد أشار البوصيري إلى أصله المغربي معتزا به في قوله :

فـقـل لـنـا مـن ذا الأديـب الـذي ... زاد بـــه حبـي و وســواس
إن كــان مثـلـي مـغـربيـا فـمـا ... فـي صـحبتـه الأجناس من بأس
وإن يــكـذب نسبتـي جـئتـه ... بـجبتـي الـصـوف ودفـاس (٢)

وقـد أشـار الشـاعـر أن يـخلـع على نفسه لقب الدلاصيري ، وهي كلمة منحوتة من

١- انظر: حسن المحاضرة ، السيوطي ، ج١، ص٥٧٠.
- وفوات الوفيات ، ابن شاكر الكتبي ، ج٣، ص٣٦٢ ـ ٣٦٩.
- والوافى بالوفيات ، ج٣، ص١٠٥، ١١٣.
- وشذرات الذهب ، ابن العماد الحنبلي، ج٧ ، ص٧٥٣ ـ ٧٥٤ .
٢- ديوان البوصيري ـ تحقيق محمد سيد كيلاني ، ص ٥.

لفظي دلاص وبوصير. قال ابن تغري بردي :

"وكانت له - البوصيري - أشياء مثل هذا يركبها من لفظتين ، مثل قوله في كساء له : كساط . فقيل له : لماذا تسمية بذلك ؟ فقال : لأني تارة أجلس عليه وتارة أرتديه فهو كساء وبساط " . (١)

وقد ذكر المقريزي أن البوصيري ولد بناحية دلاص ، في حين أن ابن تغري بردي ذكر أن مولده ببهشيم من أعمال البهنسا. واتفق هذان المؤرخان على أنه ولد في يوم الثلاثاء أول شوال . ولم يقطع المقريزي بالسنة التي ولد فيها الشاعر ، فذكر ما قيل من أنه ولد سنة٦٠٧ أو ٦٠٨أو ٦١٠ هـ .

أما ابن تغري بردي فذكر أن ميلاده كان في سنة ٦٠٨ هـ وتبعه في ذلك صاحب شذرات الذهب وابن حجر الهيتمي .(٢)

وإذا صح ما قيل من أنه ولد سنة ٦٠٨ هجرية فإن ذلك التاريخ كان يوافق ٧ مارس ١٢١٣ ميلاديه .(٣)

حياته العلمية :

يُعد البوصيري من أشهر علماء عصره وأبلغ فصحاء دهره ، و تلقى علومه على أكابر مشيخة عصره في مصر، وذاع صيته وأشتهر أمره ، وقصده الناس الأخذ عنه والإستفتاء في مختلف العلوم وله ديوان شعر .

قضى زمن طفولته كما يقضية أترابه في تعلم القرآن والكتابة وحفظ القرآن ، وتلقى مبادى العلوم في قريته "بوصير" .

١- ديوان البوصيري - تحقيق محمد سيد كيلاني ، ص ٦.

٢- شذرات الذهب ، ابن العماد الحنبلي ، ج٧ ، ص٧٥٣ - ٧٥٤ .

٣- ولمزيد التفصيل : حسن المحاضرة ، السيوطي ، ج١ ، ص٥٧٠.

- وفوات الوفيات ، ابن شاكر الكتبي: ج ٣ ، ص٣٦٢ - ٣٦٩.

- والوافي بالوفيات ، ج٣، ص١٠٥- ١١٣.

ثم انتقل الإمام رضي الله عنه بعد ذلك إلى القاهرة حيث تلقى علوم العربية والأدب . منذ نعومة أظفاره ؛ فحفظ القرآن في طفولته ، وتتلمذ على عدد من أعلام عصره، كما تتلمذ عليه نخبة طيبة وعدد كبيرمن العلماء المعروفين ، منهم : أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي ، وفتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد العمري الأندلسي الإشبيلي المصري، المعروف بابن سيد .

وما زال مكبا على الدرس حتى اتسعت معارفه وأتقن العلوم على أنواعها سواء العلوم العقلية والعلوم النقلية برع في صفوف الآداب فأحاد صناعته المنظوم و المنثور ، وبذ قرأته في فنون الشعر وكتب الرسائل الأنيفة .

واتخذ كتابة الدواوين صناعة له ، وتصرف في مناصب كثيرة بالقاهرة والأقاليم مما يدل على إلمامه بالأعمال الحسابية التي يجب أن تتوفر فيمن يعين في مثل هذه الوظائف . وقد عرضت عليه وظيفة الحسبة فرفضها ، وقد قال الشعر البليغ في جده و هزله . وقد اتخذ من مدينة بلبيس مقاما له فترة من الزمن حين عين مباشر المديرية الشرقية في عهد السلطان الظاهر بيبرس الذي كان يحبه ويجله ويقربه منه لما وثق من صلاحه وتقواه وصراحته وجرأته في قول الحق . وكان يكتب عن الحكام في الأغراض المختلفة التي لا تحتاج إلى براعة وترسل ، وظل في وظيفته إلى أن رأى من بعض زملائه ما لم يطمئن إليه مما لا تفق مع التعفف والأمانة فذهدت نفسه في هذه الوطنيفة .

استمع إليه حين ينقد النظار والمستخدمين في الدواوين :ـ

نقدت طوائف المستخدمينا فلم أر فيهم رجلا أمينا

فكتاب الشمال همو جميعا فلا صحبت شمائلهم ليمينا

فكم سرقوا الغلال وما عرفنا بهم كأنما سرقوا العيونا (١)

نظم الإمام البوصيري الشعر منذ حداثة سنة ، وله قصائد كثيرة ، ويمتاز شعره

١- المدائح النبوية في الأدب العربي ، زكي مبارك ، ص ١٨٩ .

بالرصانة والجزالة ، وجمال التعبير ، والحس المرهف ، وقوة العاطفة ، وأكثر ما اشتهر بمدائحه النبوية التي أجاد استعمال البديع فيها ، كما برع في استخدام البيان ، ولكن غلبت عليه المحسنات البديعية في غير تكلف ؛ وهو ما أكسب شعره ومدائحه قوة ورصانة وشاعرية متميزة لم تتوفر لكثير ممن خاضوا غمار المدائح النبوية والشعر الصوفي . ثم أكرم الله إمامنا أن يجتمع بقطب العارفين وقدوة السالكين القطب الغوث سيدي الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنابه ، وهو الذي تلقى علوم الأستاذ الجليل القطب الواصل سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، فانتفع الإمام البوصيري بصحبته كثيراً ، ثم تنسك وتصوف ، وأخذ عنه كثير من الرجال ، وتربوا على يديه الكريمتين .(١)

شعره :

برع البوصيري في النظم ، وله عدة قصائد في مدح خير البرية منها: "المخرج والمردود على النصارى واليهود " التي هي قصيدة مستقلة في مائتين و سبعين بيتاً ، ومنها "الكواكب الدرية" المشهورة بالبردة ، ومنها قصيدة المضرية و منها قصيدة المحمدية .

أجمع الأدباء على أنه لم يكثر أحد من الشعر في المديح النبوي سوى البوصيري فهو فارس هذه الحلبة بلا منازع .

ومن قصائد من هذا الصدد: ـ

١ـ قصيدة ميمية سماها "الكواكب الدرية في مدح خير البرية " واشتهرت بالبردة .

أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

٢ـ قصيدة دالية سماها " تقديس الحرم ، من تدنيس الضرم " وكناها بأم نارين .

١- حسن المحاضرة ، السيوطي ، ج١ ، ص٥٧٠.
- وفوات الوفيات ، ابن شاكر الكتبي: ج ٣ ، ص٣٦٢ ـ ٣٦٩.
- والوافي بالوفيات ، ج٣، ص١٠٥ـ ١١٣.
- والبدر السافر، ص٩٧.

وكـان سبب نـظـم هـذه الـقـصيدة : ما ذكره المقريزي من ظهور نار في المدينة ، نتيجة لهزات أرضية عنيفة وبعد أن خمدت ، اشتعلت نار أخرى في مسجد الرسول عليه السلام ، نتيجة لسقـوط مسـرجة القيم . فلما طارت هذه الأخبار في جميع إنحاء العالم الإسلامي ، أحدثت ألما شديدا في النفوس ، انعكس صداه على ألسنة الشعراء ومنهم البوصيري نظم قصيدة مطلعها:-

إلهي عـلـى كل الأمور لك الحمد　　　فـلـيـس لـم أوليـت مـن نـعم حد

٣- قصيدة همزية سماها "أم القرى في مدح خير الورى" ومطلعها : -

كيف تـــرقـــي رقيك الأنبيـــاء　　　يـاسـمـاء مـا طـاولتهـا سـمـاء

٤- الـلامية التـي عـارضـهـا بها قصيدة بانت سعاد . وقد سمي هذه القصيدة "ذخر المعاد في معارضة بانت سعاد" . ومطلعها: -

إلى متى أنـت بـالـلذات مشغول　　　وأنـت عـن كل ما قدمت مسئول

إلى أن تخلص إلى مدح الرسول فقال:

والـمـصـطفى خير خلق الله كلهم　　　لـه عـلـى الـرسل ترجيح وتفضيل

٥- القصيديه الجائية التي مطلعها :

مـــدائـــح لـــي فيك أم تسبيـــح　　　لـولاك مـا غـفـر الـذنوب صفوح

أسلوب البوصيري في الشعر :

إن أسـلـوب الـبـوصيـري أخـاذ جذاب ونجد في كلامه ما يدل على حسن الانسجام وانتقـاء الألـفـاظ وتسلسـل الـمـعـاني وخفة الروح. و شعره قد امتاز في مدائحه النبوية بقوة الأسلوب وحسن الصياغة وجودة المعاني وجمال التشبيه وروعة الصور .

وامتـاز البـوصيري في مدائحه النبوية بحسن اختيار الألفاظ والمناسبة للمقام . ويذكر ابن حجر الهيشمي : أن البوصيري كان بارعا في النثر والنظم .

وقال ابن شاكر : شعره في غاية الحسن واللطافة وعذب الألفاظ ومنسجم التراكيب(١).

١- وفوات الوفيات ، محمد شاكر الكتبي ، ص ٣١٤، ج٢ .

وقال ابن العماد : أن البوصيري برع في النظم.

وقال فيه ابن سيدالناس : هو أحس من الجزار والوراق (١).

ويبدو على شعره طابع الرقة وخفة الروح والميل إلى الدعابة في غير الموضوعات الدينية وهو قريب في غير شعره الديني من شعراء المصرين في عصره ممن عرفوا بالظرف و خفة الروح أمثال البهاء وزهير وابن مطروح .

وذكر شيخ محمود مصطفى أن شعره يختلف نسجه وترى فيه السخف والرصانة ، وسخفه خلوة من المعاني مع عامية العبارة وهذا الوصف لا يستثنى منه إلا البردة .

ويظهر من هذا بأن أكبر في شعره السهولة والعذوبة ويسهل الشعر مما شاع في عصره ومن هذه النواحي أثر قصائده كبير وعظيم في اللغة العربية .

وفاة البوصيري :

ارتفع مقام البوصيري بالأقطار الإسلامية . وقد اقترن اسمه بالصلاح والزهد والتقوى. وكان مرجع الناس في مختلف البلاد حتى مات سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وستمائة ٦٩٦ أو ٦٩٧ هـ الموافق ١٢٩٦ أو ١٢٩٧ م .

وقال السيوطي : أن البوصيري مات سنة ٦٩٥هـ الموافق ١٢٩٥م بالمارستان المنصوري بالقاهرة ودفن بجوار مقبرة الإمام الشافعي .(٢)

وروى العياشي الرحالة المغربي الذي جاء إلى القاهرة سنة ١٠٧٣ هـ وزار قبر شرف البوصيري بناحية الشافعي .

ويقول ابن شاكر انه توفى سنة ٦٩٦هـ . (٣)

وبينما يقول حاجى خليفه أنه توفى سنة ٦٩٤ هـ .(٤)

١- شذرات الذهب ، ابن العماد الحنبلي، ص٤٣٢،ج :٥.

٢- اردو دائره معارف إسلامية ، ص ٥٢.

٣- وفوات الوفيات ،محمد شاكر الكتبى: ص ٢٠٥.

٤- كشف الظنون ، حاجي خليفة ، ص١٠.

ويظهر من هذا الاختلاف في تاريخ وفاة البوصيري أن المؤرخين يختلفون في تاريخ وفاته الأصلي كما يختلفون في مقام قبره . فبعضهم يقولون أنه مات بالقاهرة ودفن بجوار مقبرة الإمام الشافعي . وبعضهم يقولون أنه توفى بالإسكندرية ودفن بها . والأغلب بأنه مات بالإسكندرية ودفن بها بالجامع المنسوب إليه .

وتوفى البوصيري وعمره تسعون سنة .

وكتب على قبره الأبيات التالية :

محمد بن سعيد حاز منزلة — في صادق الشعر أعيت كل نحرير
والناسجون على منوال بردته — باؤوا بعجز وأبدوا كل تقصير
أبياتها كالرقى أضحت مكررة — فيشتفي كل منفوس ومصدور
تتلى بكل بقاع الأرض ينشدها — فم الزمان بإجلال وتوقير
وفي سماء الهدى الهمزية اشتهرت — كأنها رقمت في اللوح بالنور
ميلاده بدلاص ثم غادرها — باليمن والأمن تنفيذاً لمقدور
وقد ترعرع في بوصير بلدته — ومنهما جاء تركيب الدلاصيري
تحية الله لا تنفك هامية — عليه حتى يحين النفخ في الصور
هواتف الحق نادته مؤرخة — وحي القبول على لحد الأباصيري

رضي الله عن الإمام البوصيري وروح روحه ، وأفسح ضريحه ، وقدس سره ، وأنار رمسه ، وأدخله الجنة في عليين مع الأنبياء والشهداء والصالحين ، وجمعنا به مع سيدنا النبي ﷺ تحت ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله .

الفصل الثاني

نص قصيدة البردة

الفصل الأول :
في الغزل وشكوى الغرام

١ أمنْ تذكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمٍ — مزجْتَ دمْعاً جرَى منْ مُقْلَةٍ بدَمِ
٢ أمْ هبَّتْ الريحُ منْ تلْقاءِ كاظمَةٍ — وأومَضَ البرْقُ في الظلْماءِ منْ إضَمِ
٣ فما لعيْنيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفا همَتا — فَما لقَلْبكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفقْ يَهِمِ
٤ أيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكتمٌ — ما بيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومُضْطَرِمِ
٥ لولاَ الهوَى لَمْ تُرقْ دمْعاً علَى طَلَلٍ — ولا أرقْتَ لذكرِ البَانِ والعَلَمِ
٦ فكيفَ تُنْكرُ حُبّاً بعدَ ما شَهِدَتْ — به عليكَ عدولُ الدَّمْعِ والسَّقَمِ
٧ وأثْبتَ الوجدُ خطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنىً — مثْلَ البَهارِ علَى خدَّيْكَ والعَنَمِ
٨ نَعَمْ سَرَى طَيفُ مَنْ أهوَى فأرَّقَني — والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذاتِ بالألَمِ
٩ يا لائمي في الهَوَى العُذْريِّ مَعْذرَةً — منِّي إليكَ ولو أنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ
١٠ عَدَتْكَ حالي لا سرِّي بمُسْتَتِرٍ — عَنِ الوُشاةِ ولا دائي بمُنْحَسِمِ
١١ مَحَّضْتَني النُّصحَ لكنْ لَستُ أسْمَعُهُ — إنَّ المُحبَّ عَنْ العُذَّالِ في صَمَمِ
١٢ إنِّي اتهَمْتُ نَصيحَ الشَّيْبِ في عَذَلي — والشَّيْبُ أبْعَدُ في نُصحٍ عَنْ التُّهَمِ

الفصل الثاني:
في التحذير من هوى النَّفس

١٣ فَـإنَّ أمَّـارَتي بالسُّـوءِ مَـا اتَّعَظَتْ   مِنْ جَـهْلِهَـا بنذيرِ الشَّيْبِ وَالهَـرَمِ

١٤ ولا أَعَـدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَى   ضَيفٍ ألَمَّ برأسِي غيرَ مُحْتَشِمِ

١٥ لو كنت أعلم أني مـا أوقِّـره   كـتـمت سراً بدا لي منه بالكتمِ

١٦ مَنْ لي بِرَدِّ جِمـاحٍ مِنْ غَـوايَتِـهـا   كـمـا يُرَدُّ جِمـاحُ الخَيْلِ باللُّجُمِ

١٧ فـلا تَرُمْ بالمعـاصي كَسْرَ شَهْوَتِها   إنَّ الطعـامَ يُقَـوِّي شَـهْـوَةَ النَّهِمِ

١٨ والنَّفْسُ كـالطِّفْلِ إنْ تُهْـمِلْهُ شَبَّ   عَلَى حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

١٩ فـاصْـرِفْ هَواها وَحـاذِرْ أنْ تُوَلِّيَـهُ   إنَّ الهَـوَى مـا تَوَلَّى يُصْمِ أوْ يَصِمِ

٢٠ وَرَاعِـهـا وهيَ في الأعـمـالِ سائمَةً   وإنْ هيَ اسْتَحلَتِ المَرعَى فـلا تُسِمِ

٢١ كَمْ حَـسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَـرْءِ قـاتِلَةً   مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أنَّ السُّمَّ في الدَّسَمِ

٢٢ وَاخْشَ الدَّسائسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ   فَـرُبَّ مَخْـمَـصَـةٍ شَرٌّ مِنَ التُّـخَمِ

٢٣ واسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قد امْتَلأَتْ   مِنَ المَحـارِمِ وَالْزَمْ حِـمْـيَـةَ النَّدَمِ

٢٤ وخالفِ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهِما   وإنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فـاتَّهِمِ

٢٥ ولا تُطِعْ منهمـا خَصْماً وَلا حَكَماً   فـأنْتَ تَعرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ

٢٦ أسْتَغْفِـرُ اللهَ مِنْ قَـوْلٍ بلاَ عَـمَلٍ   لقـد نَسَبْتُ به نَسْلاً لذي عُـقُمِ

٢٧ أمَرْتُكَ الخَيْرَ لكنْ ما ائْتَمَرْتُ به وما اسْتَقَمْتُ فما قَوْلي لَكَ اسْتَقِمِ
٢٨ ولا تَزَوَّدْتُ قبلَ المَوْتِ نافلةً ولَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ ولَمْ أصُمِ

الفصل الثالث:
في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم

٢٩ ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أحْيا الظَّلامَ إلَى أن اشْتَكَتْ قَدَماهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ
٣٠ وشَدَّ من سَغَبٍ أحشاءَهُ وطَوى تحتَ الحجَارة كَشحاً مترَفَ الأدَمِ
٣١ ورَاودَتهُ الجبالُ الشُّمُّ من ذهبٍ عن نفسه فَأراها أيَّما شَمَمِ
٣٢ وأكَّدتْ زُهدَهُ فيها ضرورتُهُ إنَّ الضَّرورةَ لا تعدو على العِصَمِ
٣٣ وكيف تدعو إلى الدُّنيا ضَرورةُ من لولاه لم تخرجِ الدُّنيا من العَدَمِ
٣٤ محمدٌ سيدُ الكونينِ والثَّقَلين والفَريقين من عُربٍ ومن عَجَمِ
٣٥ نبيُّنا الآمرُ النَّاهي فلا أحدٌ أبرَّ في قول "لا" منه ولا "نعمِ"
٣٦ هُوَ الحَبيبُ الذي تُرْجَى شَفاعَتُهُ لكلِّ هَوْلٍ منَ الأهوالِ مُقْتَحِمِ
٣٧ دَعا إلى الله فالمُسْتَمْسِكُونَ به مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غيرِ مُنْفَصِمِ
٣٨ فاقَ النَّبيِّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ولَمْ يُدانُوهُ في عِلْمٍ ولا كَرَمِ
٣٩ وكلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ الله مُلْتَمِسٌ غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

٤٠ وواقِفُونَ لَدَيْه عندَ حَدِّهِمِ من نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ منْ شَكْلَةِ الحِكَمِ
٤١ فَهْوَ الذي تَمَّ مَعناهُ وصُورَتُه ثمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بارِئُ النَّسَمِ
٤٢ مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ في مَحاسِنِه فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فيه غيرُ مُنْقَسِمِ
٤٣ دَعْ ما ادَّعَتْهُ النَّصارَى في نَبِيِّهِمِ وَاحْكُمْ بما شِئْتَ مَدْحاً فيه واحْتَكِمِ
٤٤ وانْسُبْ إلى ذاتِه ما شِئْتَ منْ شَرَفٍ وَانْسُبْ إلى قَدْرِه ما شِئْتَ منْ عِظَمِ
٤٥ فإنَّ فَضْلَ رسولِ الله ليسَ لَهُ حَدٌّ فيُعْرِبَ عنه ناطِقٌ بفَمِ
٤٦ لو ناسَبَتْ قَدْرَهُ آياتُهُ عِظَماً أَحْيا اسمُهُ حينَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ
٤٧ لَمْ يَمْتَحِنَّا بما تَعْيا العُقولُ به حِرْصاً علينا فلمْ نرْتَبْ ولَمْ نَهِمِ
٤٨ أَعْيا الوَرَى فَهْمُ مَعْناهُ فليس يُرَى في القُرْبِ والبُعْدِ فيه غيرُ مُنْفَحِمِ
٤٩ كالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ منْ بُعُدٍ صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ منْ أَمَمِ
٥٠ وَكيفَ يُدْرِكُ في الدُّنيا حَقِيقَتَهُ قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عنهُ بالحُلُمِ
٥١ فَمَبْلَغُ العِلْمِ فيهِ أنهُ بَشَرٌ وأنهُ خَيْرُ خَلْقِ الله كلِّهِمِ
٥٢ وَكلُّ آيٍ أتَى الرُّسْلُ الكِرامُ بها فإنما اتَّصَلَتْ منْ نُورِه بِهِمِ
٥٣ فإنَّه شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَواكِبُها يُظْهِرْنَ أَنْوارَها للناسِ في الظُّلَمِ
٥٤ أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زانَهُ خُلُقٌ بالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالبِشْرِ مُتَّسِمِ
٥٥ كالزَّهْرِ في تَرَفٍ والبَدْرِ في شَرَفٍ والبَحْرِ في كَرَمٍ والدَّهْرِ في هِمَمِ

٥٦ كـأنَّهُ وَهْوَ فَـرْدٌ منْ جـلالَتِـه ... في عَسْكَرٍ حينَ تَلْقَاهُ وفي حَشَمِ

٥٧ كَـأنَّمـا اللُّؤلُؤُ المَكْنُونُ في صَدَفٍ ... منْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ منهُ ومَبْتَسَمِ

٥٨ لا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أعظُمَهُ ... طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ منهُ ومُلْتَثِمِ

الفصل الرابع :
في مولده عليه أفضل الصلاة والسلام

٥٩ أبانَ مَولِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِه ... يا طِيبَ مُبْتَدَإٍ منه ومُخْتَتَمِ

٦٠ يَوْمٌ تَفَرَّسَ فيه الفُرْسُ أنَّهمُ ... قد أُنْذِروا بِحُلولِ البُؤْسِ والنِّقَمِ

٦١ وباتَ إيوانُ كِسْرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ ... كَشَمْلِ أصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

٦٢ والنَّارُ خامِدَةُ الأنفاسِ منْ أسَفٍ ... عليه والنَّهْرُ ساهي العَيْنِ منْ سَدَمِ

٦٣ وساءَ ساوَةَ أنْ غاضَتْ بُحَيْرَتُها ... ورُدَّ وارِدُها بالغَيْظِ حينَ ظَمِي

٦٤ كأنَّ بالنارِ ما بالماءِ منْ بَلَلٍ ... حُزْناً وبالماءِ ما بالنَّارِ منْ ضَرَمِ

٦٥ والجِنُّ تَهْتِفُ والأنوارُ ساطِعَةٌ ... والحَقُّ يَظْهَرُ منْ مَعْنًى ومنْ كَلِمِ

٦٦ عَمُوا وصَمُّوا فإعْلانُ البَشائِرِ لَمْ ... تُسْمَعْ وبارِقَةُ الإنْذارِ لَمْ تُشَمِ

٦٧ منْ بَعْدِ ما أخْبَرَ الأقْوامَ كاهِنُهُمْ ... بأنَّ دينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

٦٨ وبَعْدَ ما عايَنُوا في الأُفْقِ منْ شُهُبٍ ... مُنْقَضَّةٍ وفْقَ ما في الأرْضِ منْ صَنَمِ

٦٩ حَتى غدا عَنْ طَريقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ ... من الشيـاطينِ يَقْـفُـو إثْرَ مَنْهَـزِمِ
٧٠ كـأنَّهُـمْ هَـرَباً أبطالُ أَبْرَهـةٍ ... أوْ عَسْكَرٌ بالحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي
٧١ نَبْـذاً به بَعْـدَ تَسْبيحٍ بِبَطْنِهِـما ... نَبْـذَ المُسَـبِّحِ مِنْ أحشاءِ مُلْتَـقِمِ

الفصل الخامس:
في معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ووالى عليه وأنعم

٧٢ جاءتْ لدَعْوَته الأشْجارُ ساجِدَةً ... تَمْـشي إليـه عَلَى سـاقٍ بلا قَـدَمِ
٧٣ كـأنَّمـا سَطَرَتْ سَطْراً لِمَا كَتَـبَتْ ... فُـرُوعُـهـا مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ باللَّقَمِ
٧٤ مِـثْلُ الغَـمَـامَـةِ أنَّى سَـارَ سـائِرَةٌ ... تَقِيـهِ حَرَّ وطِيسٍ لِلْهَـجِيرِ حَـمِي
٧٥ أقْـسَـمْتُ بالقَـمَـرِ المُنْشَقِّ إنَّ لَهُ ... مِنْ قَلْبِـهِ نِسْبَـةً مَـبْرُورَةَ القَسَمِ
٧٦ ومَا حَوَى الغارُ مِنْ خَيرٍ وَمِنْ كَرَمٍ ... وكلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّـارِ عنه عَـمِي
٧٧ فالصِّدْقُ في الغارِ والصِّدِّيقُ لَمْ يَرِما ... وَهُمْ يقـولونَ مـا بالغـارِ مِنْ أرِمِ
٧٨ ظَنُّوا الحَمامَ وظَنُّوا العَنْكَبُوتَ على ... خَيْـرِ البَـرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ ولمْ تَحُمِ
٧٩ وقـايةُ اللهِ أغنَتْ عَنْ مُـضَـاعَـفَـةٍ ... مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عـالٍ مِنَ الأُطُمِ
٨٠ ما سامَنِي الدَّهْرُ ضَيماً وَاسْتَجَرْتُ به ... إلاَّ اسْتَلَمتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

٨١ ولا التمستُ غنى الدارين من يده | إلا استلمت الندى من خير مستلمِ
٨٢ لا تُنْكرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إنَّ لهُ | قَلْباً إذا نامت العَيْنان لَمْ يَنَمِ
٨٣ فذاكَ حينَ بُلوغ منْ نُبُوَّته | فليسَ يُنْكَرُ فيه حالُ مُحْتَلِمِ
٨٤ تَبَارَكَ اللهُ ما وحْيٌ بمُكتَسَبٍ | ولا نبيٌّ عَلَى غَيْبٍ بمُتَّهَمِ
٨٥ كَمْ أبْرَأتْ وَصِباً باللَّمْسِ راحَتُهُ | وأطْلَقَتْ أرِباً منْ ربْقَةِ اللَّمَمِ
٨٦ وأحْيَت السنَةَ الشَهْبَاءُ دَعْوتُهُ | حتى حكتْ غُرَّةً في الأعْصُرِ الدُّهُمِ
٨٧ بعارضٍ جادَ أوْ خِلْتَ البطاحَ بها | سَيْباً مِنَ اليَمِّ أوْ سَيْلاً منَ العَرِمِ

الفصل السادس:
في شرف القرآن الكريم ومدحه

٨٨ دَعْني وَوَصْفي آيات لهُ ظَهَرتْ | ظُهورَ نارِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ
٨٩ فالدُّرُّ يَزدادُ حُسْناً وَهْوَ مُنْتَظِمٌ | ولَيس يَنْقُصُ قَدْراً غيرَ مُنْتَظِمِ
٩٠ فما تَطَاوَلُ آمالُ المَديحِ إلى | ما فيه منْ كَرَمِ الأخلاق والشِّيَمِ
٩١ آياتُ حَقٍّ منَ الرَّحْمنِ مُحْدَثَةٌ | قَديمَةٌ صِفَةُ المَوصوفِ بالقِدَمِ
٩٢ لَمْ تَقْتَرِنْ بزمانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنا | عَنِ المعادِ وعَنْ عادٍ وعَنْ إرَمِ
٩٣ دامَتْ لَدَيْنا فَفاقَتْ كلَّ مُعْجِزَةٍ | منَ النَّبِيِّينَ إذْ جاءَتْ ولَمْ تَدُمِ
٩٤ مُحكَّماتٌ فما تُبْقِينَ منْ شُبَهٍ | لذي شِقاقٍ وما تَبْغِينَ منْ حَكَمِ

٩٥ ما حُورِبَتْ قَطُّ إلاَّ عادَ مِنْ حَرَبٍ ... أعدى الأعادي إليها مُلْقِيَ السَّلَمِ
٩٦ رَدَّتْ بَلاغَتُها دَعْوَى مُعارِضِها ... رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنِ الحُرَمِ
٩٧ لها مَعانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ في مَدَدٍ ... وفَوْقَ جَوْهَرِهِ في الحُسْنِ والقِيَمِ
٩٨ فما تُعَدُّ ولا تُحْصى عَجَائِبُها ... ولا تُسَامُ عَلَى الإكْثارِ بالسَّأَمِ
٩٩ قَرَّتْ بها عَيْنُ قارِيها فَقُلْتُ لهُ ... لقد ظَفِرتَ بِحَبْلِ الله فاعْتَصِمِ
١٠٠ إنْ تَتْلُها خِيفَةً مِنْ حَرِّ نارِ لَظَى ... أطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ
١٠١ كَأنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجوهُ به ... مِنَ العُصاةِ وقد جاءُوهُ كَالحُمَمِ
١٠٢ وكَالصِّراطِ وكالمِيزانِ مَعْدَلَةً ... فالقِسْطُ مِنْ غَيرِها في الناسِ لَمْ يَقُمِ
١٠٣ لا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ راحَ يُنْكِرُها ... تَجاهُلاً وهْوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِمِ
١٠٤ قد تُنْكِرُ العينُ ضَوْءَ الشَّمْسِ من رَمَدٍ ... ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ من سَقَمِ

الفصل السابع :

في إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ووالى عليه وأنعم

١٠٥ يا خيرَ مَنْ يَمَّمَ العافُونَ ساحَتَهُ ... سَعْياً وفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

١٠٦ وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ ... وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِمِ

١٠٧ سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمٍ ... كما سَرَى البَدْرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ

١٠٨ وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً ... مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

١٠٩ وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا ... والرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

١١٠ وأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ ... في مَوْكِبٍ كُنْتَ فيه صاحِبَ العَلَمِ

١١١ حتى إذا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقٍ ... مِنَ الدُّنُوِّ ولا مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ

١١٢ خَفَضْتَ كُلَّ مَقامٍ بالإِضافَةِ إِذْ ... نُودِيتَ بالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ

١١٣ كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ ... عَنِ العُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَمِ

١١٤ فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ ... وَجُزْتَ كُلَّ مَقامٍ غيرَ مُزْدَحَمِ

١١٥ وَجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ ... وعَزَّ إِدْرَاكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ

١١٦ بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسلامِ إِنَّ لنا ... مِنَ العِنَايَةِ رُكْناً غيرَ مُنْهَدِمِ

١١٧ لَمَّا دَعَا اللهُ داعِينا لِطَاعَتِهِ ... بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ

الفصل الثامن:
في جهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وعظم ومجد وكرّم ووالى عليه وأنعم

١١٨ راعتْ قلوبَ العِدا أنباءُ بِعْثَتِهِ ... كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً منَ الغَنَمِ

١١٩ ما زالَ يَلْقاهُمُ في كلِّ مُعْتَرَكٍ ... حتى حكَوْا بالقَنا لَحْماً على وَضَمِ

١٢٠ وَدُّوا الفِرارَ فكادُوا يَغْبِطُونَ به ... أَشْلاءَ شالَتْ مَعَ العِقْبانِ والرَّخَمِ

١٢١ تَمْضي اللَّيالي ولا يَدْرُونَ عِدَّتَها ... ما لَمْ تكُنْ منْ لَيالي الأشْهُرِ الحُرُمِ

١٢٢ كأنَّما الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ ساحَتَهُمْ ... بكلِّ قَرْمٍ إلَى لَحْمِ العِدا قَرِمِ

١٢٣ يَجُرُّ بَحْرَ خَميسٍ فوقَ سابِحَةٍ ... يَرْمي بِمَوْجٍ منَ الأبطالِ مُلْتَطِمِ

١٢٤ منْ كلِّ مُنْتَدِبٍ لله مُحْتَسِبٍ ... يَسْطو بمُسْتَأْصِلٍ للْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

١٢٥ حتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإسلامِ وهيَ بِهِمْ ... منْ بَعْدِ غُرْبَتِها مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

١٢٦ مَكْفُولَةً أبَداً منهمْ بِخَيْرِ أبٍ ... وخيرِ بَعلٍ فلَمْ تَيْتَمْ ولَمْ تَئِمِ

١٢٧ همُ الجبالُ فَسَلْ عنهمْ مُصادِمَهُمْ ... ماذا رأى منْهُمُ في كلِّ مُصطَدَمِ

١٢٨ وسَلْ حُنَيْناً وسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً ... فُصُولَ حَتْفٍ لهُمْ أدْهَى منَ الوَخَمِ

١٢٩ المُصْدِري البِيضِ حُمْراً بعدَ ما وَرَدَتْ ... منَ العِدا كُلَّ مُسْوَدٍّ منَ اللِّمَمِ

١٣٠ وَالكاتبينَ بسُمْرِ الخَطِّ مَا تَرَكَتْ ... أقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

١٣١ شاكي السِّلاحِ لهمْ سِيمَا تُميِّزُهُم ... والوَرْدُ يَمْتازُ بالسيما عَنِ السَّلَمِ

١٣٢ تُهْدي إليكَ رياحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ ... فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ في الأكمامِ كلَّ كَمي

١٣٣ كأنَّهمْ في ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُباً ... منْ شَدَّةِ الحَزْمِ لاَ منْ شِدَّةِ الحُزُمِ

١٣٤ طارَتْ قلوبُ العدا منْ بأسهمْ فَرَقاً ... فما تُفَرِّقُ بينَ البَهْمِ والبُهَمِ

١٣٥ ومَنْ تكُنْ برَسُولِ الله نُصْرَتُهُ ... إنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها تَجِمِ

١٣٦ ولَنْ تَرَى منْ وَليٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرِ ... به ولا منْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمِ

١٣٧ أحَلَّ أُمَّتَهُ في حِرزِ مِلَّتِهِ ... كاللَّيْث حَلَّ مَعَ الأشبالِ في أَجَمِ

١٣٨ كَمْ جَدَّلَتْ كلماتُ الله منْ جَدِلٍ ... فيه وكم خَصَمَ البُرْهانُ منْ خَصِمِ

١٣٩ كفاكَ بالعِلْمِ في الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... في الجاهليَّةِ وَالتَّأديبِ في اليُتُمِ

الفصل التاسع :
في التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ووالى عليه وأنعم

١٤ خَـدَمْـتُـهُ بِمَـدِيحٍ أسْتَـقِـيلُ به ... ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى في الشِّعْرِ والخِدَمِ

١٤ إذْ قَلَّداني مَـا تُخْـشَى عَـواقِـبُـهُ ... كـأَنَّني بِهِـمَـا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ

١٤ أطعتُ غيَّ الصِّبَا في الحَالَتين وَمَا ... حَـصَلْتُ إلاَّ عَلَى الآثَامِ والنَّدَمِ

١٤ فـيـا خَسَـارَةَ نَفْسٍ في تِجَارَتِهَا ... لَمْ تَشْتَـرِ الدِّينَ بالدُّنيـا ولَمْ تَسُمِ

١٤ وَمَنْ يَبعْ آجِـلاً منهُ بِعَـاجِله ... يَبْنَ لهُ الغَـبْنُ في بَيْعٍ وَفي سَلَمِ

١٤ إنْ آتِ ذَنْباً فما عَهْدي بِمُنْتَقِضٍ ... مِنَ النبيِّ ولا حَبْلي بِمُنْصَرِمِ

١٤ فَإنَّ لِي ذِمَّـةً منهُ بِتَسْـمِـيَـتي ... مُحمداً" ، وَهْوَ أوْفَى الخَلْقِ بالذِّمَمِ

١٤ إنْ لَمْ يكُنْ في مَعادي آخِذاً بِيَدي ... فَضْلاً ، وإلاَّ فَقُلْ : يا زَلَّةَ القَدَمِ

١٤ حـاشاهُ أنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مكارمَهُ ... أوْ يرْجِعُ الجارُ منهُ غيرَ مُحْتَرَمِ

١ وَمُنْذُ ألزَمْتُ أفكاري مَـدائِحَـهُ ... وَجَدْتُهُ لِخَلاَصي خيرَ مُلْتَزِمِ

١ ولَن يَفُـوتَ الغنَى منْهُ يَداً تَرِبَتْ ... إنَّ الحَيـا يُنْبِتُ الأزهارَ في الأكَمِ

١ ولَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنيـا التي اقتطَفَتْ ... يَدَا زُهَيـرٍ بمـا أثْنَى عَلَى هَرَمِ

الفصل العاشر:
في المناجاة وعرض الحاجات

١٥ يا أكْـرَمَ الرُّسْلِ مـالِي مَنْ ألوذُ به — سِـواكَ عندَ حلولِ الحـادثِ العَـمِمِ

١٥ ولَنْ يَضِيقَ رَسولَ اللهِ جاهُكَ بي — إذا الكريمُ تَحَلَّى باسْمِ مُنْتَـقِمِ

١٥ فـإنَّ مِنْ جُـودِكَ الدنيـا وضَـرَّتَهـا — وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

١٥ يا نَفْسُ لا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ — إنَّ الكَبَـائِرَ في الغُـفْـرانِ كـاللَّمَمِ

١٥ لَعَلَّ رَحْـمَـةَ رَبِّي حينَ يَقْـسِـمُـهـا — تأتي عَلَى حَسَبِ العصْيانِ في القِسَمِ

١٥ يا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجائي غَيرَ مُنْعَكِسٍ — لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حسابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

١٥ وَالْطُفْ بِعَبْـدِكَ في الدَّارَيْنِ إنَّ لَهُ — صَـبْـراً مَتى تَدْعُـهُ الأهوالُ يَنْهَـزِمِ

١٥ وَأْذَنْ لِسُحْبِ صَـلاةٍ منكَ دائِمَـةٍ — عَلَى النَّبيِّ بِمُنْهَلٍّ ومُنْسَـجِمِ

١٦ مـا رَنَّحَتْ عَـذَبات البـانِ ريحُ صَـباً — وأطْرَبَ العيسَ حادي العِيسِ بِالنَّغَمِ

زاد بعض الصالحين هذه الأبيات

١٦١ ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر   وعن علي وعن عثمان ذي الكرم

١٦٢ والآل والصّحب ثم التابعين فهم   هل التقى والنقا والحلم والكرم

١٦٣ يا رب بالمصطفى بلِّغ مقاصدنا   واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

١٦٤ واغفر إلهي لكل المسلمين بما   يتلون في المسجد الأقصى وفي الحرم

١٦٥ بجاه من بيته في طيبة حرمٌ   وإسمه قسمٌ من أعظم القسم

١٦٦ وهذه بردة المختار قد ختمت   والحمد لله في بدء وفي ختمِ

١٦٧ أبياتها قد أتت ستين مع مائة   فرج بها كربنا يا واسع الكرم

الفصل الثالث

تعارف البردة

و

تحليل موضوعات البردة

تعارف البردة

إن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين جاء هداية للبشرية جمعاء حيث يقول الله سبحانه وتعالى:-

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (١)

﴿وإنك لعلى خلق عظيم ﴾(٢)

ولذلك وجدنا كثيرا من المسلمين يصورون هذه الشخصية العظيمة التي لا تكون إلا فيه نفسه ، وهذا التصوير يتمثل بعدة صور في الأدب العربي. وليس لأصحابه منال أو مطمع إلا حبه ـ عليه الصلوة والسلام ـ والتقرب إليه .

ولعل الشعر هو أشهر فنون الأدب وأسيرها وأهمها ، لسيرورة الشعر في الناس حتى يبلغ ما يريده صاحبه ، لذلك وجدنا الشعراء ما انفكوا يمدحون نبيهم صلى الله عليه وسلم في قصائدهم هذه الوصول إلى شئ من صفاته الكريمة صلوات الله وسلامه عليه. ومن أشهر هؤلاء :ـ كعب بن زهير وحسان بن ثابت والبوصيري .

وقصيدة البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم التي عرفت واشتهرت بالبردة قد شغلت أذهان الجهابذة الأعلام وأقلامهم عبرالعصور ، وقد تركت تأثيرا بالغا في نفوس الأجيال القادمة من شعراء اللغة العربية في كل مكان ، ويرجع ذلك إلى ما إمتازت به قصيدة البوصيري هذه من دقة اللفظ ورقة المعنى ومن الحب الصادق والإخلاص و الإيمان مما يثير عواطف المؤمنين ومشاعر المحبين ، فمنهم من قام بشرح القصيدة وتفسيرها بشتى اللغات ومنهم من ترجمها إلى اللغات الإسلامية الأخرى شعرا ونثرا ومنهم نظم على نهجها ومنوالها . وهذا الإهتمام البالغ بهذه القصيدة الرائعة التي مدح بها البوصيري النبي صلى الله

١- سورة الأنبياء ، الآية :١٠٧.

٢- سورة القلم ، الآية: ١٤١.

عليه وسلم لا يزال ويمتد وسيظل كذلك إلى آخر الدهر .

تعد قصيدة البردة أهم القصائد بين المدائح النبوية لعدة أسباب فهي :

أولا : قصيدة رائعة .

ثانيا:أسير قصيدة في هذا الباب .

ثـالثا: مصدر الوحي لكثير من القصائد التي أنشئت بعد البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولهذا كله الآن نعرض لقصيدة البردة بشئ من التفصيل .

البردة : لغة :

كسـاء يـلتحف به ، وقيل : إذا جعل الصوف شقة وله هدب ، فهي بردة؛ وفي حديث ابـن عمر: أن كان عليه يوم الفتح بردة فلوت قصيرة ؛ قال شمر: رأيت إعرابيا بخُزَيْمِيَّةَ وعليه شبـه مـنـديـل مـن صوف قد اتّزر به فقلت: ما تسميه ؟ قال بردة قال الأزهري:وجمعها بُرَد : وهي الشملة المخططة . والبردة: كساء مربع أسود فيه صغر تلبسه الأعراب .(١)

قال صاحب عطر الوردة:

"إن البـردة الثـوب المخطط كما في القاموس والناظم قدس سره يذكر فيها المضامين المختلفة ، فتارة يذكر الصبابة ولوازمها من الأشواق والأحزان ، ومرة يتجرد من نفسه مخاطبا ويـحـاوره عتـابـا ويـخاطبه سوالاً وجواباً وطوراً يتعرف بالتقصير ويعتذر عنه وحينا يحذر عن مـكـائد النفس ، ويعظ الناس وساعة يتشبت بالرجاء ويستغيث به و يستشفع به صلى الله عليه وسـلـم ، و وقتاً يمدحه صلى الله عليه وسلم ويشرح كمالاته الذاتية والمكتسبة ويبين معجزاته الظاهرة الباهرة ويذكر فضائل أصحابه بأتم بيان إلى غيرذلك فكأنه لكل مضمون لون عجيب فائق يشبه كل مضمون بخط حسن الهيئة الرائق فشابهت القصيدة ببردة مخططة فسميت بها" .(٢)

١- لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ،تحت المادة : ب –ر–د.

٢- طيب الوردة شرح قصيدة البردة – علامه أبو الحسنات محمد أحمد قادري ، ص ٢٥ .

سبب تسمية البردة :

هناك آراء كثيرة في تسمية هذه القصيدة . ولما ذا نظمه الشاعر؟ وما غايته من نظم هذه القصيدة ؟

وقد أطلق البوصيري على القصيدة التي نحن بصددها إسم "كواكب الدرية في مدح خير البرية " وكناها بالبردة ، لاشتمالها على مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم. وعرفنا من التاريخ بأن كعب بن زهير حين أسلم وآمن على النبي صلى الله عليه وسلم وتأثير بتعاليم الإسلام وبأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله فأنشد قصيدة رائعة بإسم "بانت سعاد" ومدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم مدحا رائعا وذكر محاسنة و صفاته الحسية والخلقية ومطلع هذه القصيدة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   ميتم أثرها لم يجز مكبول

فلما بلغ إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به   والسيف من سيوف الله مسلول

فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بردته التي يلبسها الخلفاء في العيدين ولما كسا النبي صلى الله عليه وسلم بردته فسمي قصيدته بالبردة.

والبوصيري كأن يشبه بكعب فمن الراجع أن البوصيري أراد أن تكون له قصيدة تحمل اسم قصيدة كعب وذلك من باب التبرك.

وهذا هو السبب بأن البوصيري قد شبه مدائحه النبوية بالبردة لأنها حوت محاسن الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول:

حاك من صنعة القريض برودا   لك لم تحك وشيها صنعاء

وللبردة اسم آخر وهو البروة وذلك لأن البوصيري كما يزعمون برئ بها من علته و قد سميت كذلك بقصيدة الشدائد . وذلك لأنها تقرأ لتفريج الشدائد وتيسير أمر عسير.(١)

١- ديوان البوصيري ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، ص٢٩.

ويقول البوصيري في وجه تسمية هذه القصيدة بالبردة :

"كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اتفق بعد ذلك أنه أصابني فالج أبطل نصفي ، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة فعملتها واستشفت به إلى الله عزوجل ، في أن يعافيني وكررت إنشادها ، وبكيت وتوسلت به ونمت ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فمسح وجهي بيده الكريمة ، وألقى على بردة فانتبهت وجدت في نهضة ، فخرجت من بيتي ولم أكن أعلمت بذلك أحدا ، حتى لقيني بعض الفقراء فقال: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أيها؟ فقال : التي أنشأتها في مرضك وذكر أولها وقال : والله لقد سمعناها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيته صلى الله عليه وسلم يتمايل وأعجبته وألقي علي من أنشدها بردة فأعطيته وذكر الفقير ، ذلك فشا ع المنام إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين بن جنا وزير الملك الزاهر ببيرس ، فبعث إلى داستنسخها ونذر أن لا يسمعها إلا قائما حافيا مكشوف الرأس ، وكان يحب سماعها هو أهل بيته ، ثم بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقاني الموقع رمد، أشرف منه على العمى فرأى في المنام قائلا يقول له : إذهب إلى الصاحب ، وخذ البردة واجعلها على عينيك ، تعافي بإذن الله تعالى وذكر منامه . فقال الصاحب ما عندي من أثر النبي صلى الله عليه وسلم شئ يقال له البردة . ثم قال : لعل المراد قصيدة البوصيري . يا ياقوت ! قل للخادم يفتح صندوق الآثار ، ويخرج القصيدة من حق العنبر ويأت بها ، فأخذها فوضعها على عينيه فعوفيت ومن ثم سميت البردة ". (١)

وقال بعضهم : الأولى أن يقال لهذه القصيدة "برءة " لأن المؤلف برئ بها.(٢) منذ أن أرسل النبي صلى الله عليه وسلم يرى كل مسلم فيه المثل الأعلى للإنسان الكامل، مثلا أعلى في رسالته الربانية وما تقدم للناس من سعادة في الدارين : العاجلة والآجلة أو الفانية

١- ديوان البوصيري ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، ص ٢٤٣.

٢- المرجع السابق، ص٢٩.

والخالدة ، ومثلا أعلى في الشمائل العاطرة من مثل التواضع والحلم والوفاء والكرم والشجاعة والعفو عند المقدرة والبر والرحمة والشفقة والإيثار والصبر في البأساء والضراء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوجه بكل الأعمال والأقوال إلى الخير للفرد والجماعة ابتغاء رضوان الله ومحبته مع تقواه وعبادته .

وكان طبيعيا أن يتعلق المسلمون برسولهم وأن يجدوا في هذا التعلق فرحتهم و سعادتهم الغامرة ، إذ هو صاحب هذا الدين الحنيف ، وأن يتبعوا كل ما قاله الرسول الكريم أو فعله أو أقره أو اتصف به من خلال وشيم ليترسموا شخصه العظيم في حياته و ليصدعوا عن كل ما جاء به من أوامر ونواه شرعية ، وليحتذوه في حياتهم وسلوكهم وليتخذوا منه القدوة المثالية . وشغفوا منذ العهد الأول شغفاً شديدا، فمضوا منذ وجوده بين ظهرانيهم يروون أحاديثه ويحكون سننه ، ولم يكد ينتهي القرن الأول للهجرة حتى أكبوا على تدوين السنة والأحاديث إكبابا منقطع النظير واصلين ذلك بما تناقلوه و تداولوه شفاها بحيث حل التدوين محل الرواية مع بقاء طوابعها ومع الإحتفاظ بسند الرواة ، وأكبو على السيرة الذكية يتدارسونها ويروونها ويدونها .

واتخذ ذلك كله شكل نزوع عام عند جميع الأفراد في الأمة ، فالعلماء يجمعون مادة الحديث النبوي والسيرة العاطرة. والناس حولهم في كل بقاع العالم الإسلامي يستمعون إلى ما يرون عن شخصية الرسول حتى يقتدوا به في حياتهم ، ولم يتركوا شيئا من أقواله وأفعاله وصفاته إلا وضعوه تحت أبصارهم . وبذلك ظلت شخصيته عليه السلام ماثله أما الأجيال التعاقبة ، أو قل ظلت حية بنفس صورتها وظل المسلمون يبهرون بها و بفضائلها التي بهرت جيلهم الأول وجعلته بشمائلها يتقدمه حسان بن ثابت و كعب بن زهير في قصيدته المشهورة باسم البردة إشارة إلى ما حدث حين إنشدها بين يدي الرسول من خلعه عليه بردته أو حلته استحسانا .(١)

١- فصول في الشعر و نقده ، د/شوقي ضيف، ص٢٣١.

وفي القرن السادس للهجرة نشبت المعركة مع الصليبيين ومن آزرهم من اليهود أخذوا يلوحون جميعا بأيديهم في وجه الدين الحنيف وصاحبه ، ومضوا يؤلفون الرسائل المنكرة في دحض رسالته ونبوته . كانت أوربا بقضها وقضيضها من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها تحاد الله ورسوله ، ومضت الأمة العربية تجاهدهم جهادا عنيفا ، حتى قيض لها صلاح الدين فبث الحمية في نفوس المجاهدين ، ولم يلبثوا أن سحقوا جموعهم في معارك متعاقبة أشهرها معركة حطين ، وتتابعت الفتوح ، ففتح بيت المقدس وفتحت أكثر البلدان والحصون ، واستسلم الصليبيون خانعين ورحلت كثرتهم إلى غير مآب.

وفي هذه الأثناء كان علماء الدين يحمسون الشباب في دروسهم ومواعظهم . وكانوا يردون أقوى رد على ما يكتبه شياطينهم ضد الإسلام ورسوله ناقضين له نقضا. كما كانوا يكتبون رسائل كثيرة في فريضة الجهاد تتلى على المجاهدين في صفوف القتال، تستثير حميتهم وتستنهض عزائمهم في جهاد أعداء الإسلام جهادا لا يبقى منهم ولا يذر. ونظم الشعراء ما لا يحصى من القصائد حاثين على الجهاد محرضين واتخذوا من مديح المصطفى صلى الله عليه وسلم أواة لهذا التحريض. وبسطوه ليناقشوا الصليبيين و اليهود في ديانتها وما دخل عليهما من فساد وتحريف . وأطالوا في وصف نضاله هو و أصحابه ضد الشرك وطوغيته، كي يشعلوا الحماسة في قلوب المسلمين لجهاد أعداء الدين الحنيف . كما أطالوا في بيان سيرته العطرة التي تعد بنفسها معجزة المعجزات عارضين ما تخللها من آياتها الكبرى كإسراء والمعراج وكأنما أرادوا أن يتخذوا من شخصيته الطاهرة ألوية يحارب المسلمون من ورائها وقد امتلأت صدورهم حفيظة وحقدا على أعدائه وأعداء الإسلام ، ومنهم الشاعر البوصيري الذي حارب الصليبيين و الكفار بقصائده المديحية في عصره.

تحليل موضوعات البردة

إن قصيدة البردة مشتملة على مائة وستين بيتاً ، وقد جمع البوصيري فيها كلما قاله القدماء من الممدوحين ، فصور جمال خلقه صلى الله عليه وسلم وكرم أخلاقه في حسن بشر ، وشبهه بالزهر والشمس والبحر و الدهر وصور هيبته كأنه وجيش عرمرم ، وتحدث بعد ذلك عن معجزاته مثل انكسار ايوان كسرى وحمود نار فارس و غاضت بحيرة ساوة و تساقط الشهب وسجود الأشجار ، وسير الغمام وصنع الحمام ، ثم تكلم عن القرآن وإعجازه، و وصف الإسراء والمعراج ، وعدد الغزوات وختم بالرجاء والتوسل والدعاء والتماس الشفاعة .

قسمها العلماء القصيدة عادة إلى عشرة فصول :

الفصل الأول : في الغزل وشكوى الغرام

والفصل الثاني : في تحذير من هوى النفس

والفصل الثالث: في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

والفصل الرابع : في مولده صلى الله عليه وسلم

والفصل الخامس: في معجزاته صلى الله عليه وسلم

والفصل السادس : في شرف القرآن ومدحه

والفصل السابع : في معراجه وإسرائه صلى الله عليه وسلم

والفصل الثامن : في جهاده صلى الله عليه وسلم

والفصل التاسع : في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

والفصل العاشر : في المناجات وعرض الحاجات

وفي الفصل الأول المسمى بـ "الغزل وشكوى الغرام " مايريد البوصيري التعريب عنه

من أحاديث كثيرة من عمق قلبه ومشاعر جياشة تتدفق في عروق جسده ، وفي شرابين بدنه، يعجز كبحها والسكوت عنها ،لو ما قال ما في قلبه من أقوال يعرب بها عن حبه للمدوح النبي صلى الله عليه وسلم وحنينه إليه واشتياقه إليه آناء الليل وأطراف النهار ، لاتفجر قلبه لشدة ضغط الحب والشوق. ولذا وجدنا عادة العاشق كثير الشكوى والكلام يقوله للمعشوق غائباً.

بدأ البوصيري قصيدته بالنسيب وأحاديث الهوى وذكريات الصبابة والعشق متأثرا في هذا الإفتتاح بكعب بن زهير في قصيدته المسماة بالبردة التي جاء مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متيم إثرها لم يفد مكبول (١)

والشاعر البوصيري علشق أنهكه الوجد ، وأصناه الشوق وأهزله الحنين ، وأسقمه أرق الليالى ، وذاق من العشق ألا ما مبرحة ، فلم تزده إلا شغفا عليه وإنكارا للنصيحة والعذل

.

وضح البوصيري لنفسه وللقراء أسباب شكوى الغرام ، حيث أتى بعدة استفهامات سأل بها نفسه والتلقين حيث يقول :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم
فما لعينيك إن قلت اكففا همتا وما لقلبك إن قلت استفق يهم
أيحسب الصب أن الحب منكتم ما بين منسجم منه ومضطرم

وإذا نظرنا إلى البردة نجد أن البوصيري قد ابتدأ بمطلع جميل وهو الغزل على ما ابتدأ به شعراء العرب عادة في نظم الشعر، وسلك البوصيري مسلكهم القديم. فذكر أن دمعه جرى ممزرجا بدم ، لأنه تذكر الجيران الأحباء الذين كانوا بذي سلم ، وزاده وجد الريح التي تهب من تلقاء كاظمة يعيش فيها المجاورون الأحباء ، وتلامس هذه الريح وجهه بأيد خفية ، وهو واقف في الليل محدقا إلى آفاق السماء التي يؤمض البرق في ظلمائها ، و تصل إلى النفحات

١- السيرة النبوية - ابن هشام - تحقيق مصطفى الشقا، ص ٥٠٣ .

مع الريح من الأرض يقطن فيها المعشوق . وذكر أيضا أنه كلما طلب من عينيه أن تكفا عن الدمع كان هذا الطلب مدعاه لإنهمار الدمع، وكلما طلب من قلبه أن يطمئن استبد به الشوق، وهام في حبه و وقع أسيرا له . وزاد الدمع مع الدمع و كثر الهيام مع الهيام . ولا يفيده شيئا كتمان الحب وإنكاره حيث إن له علامات تدل الناس إلى معرفة الحب المكتوم في قلبه بصورة واضحة ، كما له آثار تفضح من انهمار الدمع ، وأرق الليل ، وسقام الجسم .

ثم ينتقل البوصيري في الفصل الثاني في المسمى بـ " تحذير الهوى والنفس " شئ من إلى الحكمة وفلسفة النفس، فيخاطب نفسه مترفقا له ، ويعظها وينصحها في هوادة ولطف ، والنفس هي التي تغر الإنسان ، وتدبج له الباطل والفسق ، وتزين له الشر والعصيان ، فيهيم به ويله في طلبه ، والعاقل هو الذي يعود نفسه على الشمائل الحميدة .

يلوم الشاعر نفسه في عدم استفادة من شبابه وجهالة عن قيمتها ، إذ لم تسمع إلى وصايا الشيب ، ولم تتعظ بنصائحه ، ولم يزود لنفسه كفاية من زاد السفر للآخرة ، ولهذا يروم معينا على نفسه يساعده على رد جماحها وكبع غوايتها. ويذكر في القصيدة حكما لطيفة ، إذ يقول إن المعصي والإكثار منها لا يمكن أن تشبع النفس ولا أن تكسر شهواتها ، بل تزيدها ميلاً إلى الفساد والمعاصى، ثم يوضح أن لا تكون معالجة نفسه إلا بكفلها ، وردها عن غوايتها ، وفيها شطرات تجرى مجرى الأمثال فهي كما يقول في أبياته الخالدة :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

يعني أن النفس في التعود بالشئ والانفطام منه كالأطفال فلا تهلها فيما تشتهيه كالأهمال، فإن اهمل شب على حب الرضاع ، واشتد التذاذة بألوان الأطعمة ، وان فصل عن الرضاع رضي بالإنفصال ، وبلغ بالتدريج مبلغ الكمال . فالنفس إن تصرفها عن المألوفات الطبيعة واللذات الكاذبة الوهمية إلى إدراك الحقائق ، وذوق اللذات الروحانية تفوز بالسعادة ، وإن ألقت حبلها على غاربها و تركت سدى دامت خسرتها ، و يرجى نجاتها ، إذ يشبه النفس بالرضيع ، إن أهملته على ما شب عليه ، ثم يحذر من اتباع الهوى لأن اتباعه يهلك

الحياة ، أو يلحق بصاحبه العار ، ويطلب الناس مخالفة النفس والشيطان لأنها خصمه الذي يريده الكيد والضرر . وإلى هذا يشير الشاعر بقوله في الأبيات :

والشيب أبعد في نصح من التهم

وقوله : إن الطعام يقوي شهوة النهم

وقوله : إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

وقوله : فرب مخمصة شر من التخم

وقوله: وما استقمت فما قولي لك استقم

وله نظرات في سياسة النفس على جانب من الدقة، كالتحذير من وسائس الشبع والجوع ، وتشبيه النفس بالطفل وهو يرى أداء الفرائض رتبة صغيرة لا تصل به إلى درجات الأصفياء ويقول :

ولا تزودت قبل الموت نافلة ولم أصل سوى فرض ولم اصم

قال الشيخ الخربوتي في شرح البردة :

"لما فرغ من الكلام السابق الذي كان في العشق والهوى ، انتقل إلى الكلام الذي هو داء النفس ودواء ها بانتقال حسن ، إذ جعل قوله فإن أمارتي إلى آخرة علة لما سبق أي لقوله إن اتهمت إلى آخره ، وبين العلة والمعلول مناسبة تامة " . (١)

ذكر الهوى والنفس بعد انتهاء من الغزل وشكوى الغرام مناسب جد ، حسب سياق الفكرة ، يمشى مع مقتضى الحال ، وفيه جمال وحسن .

ثم ينتقل البوصيري إلى الفصل الثالث الذي يدور فيه الكلام حول قلب القصيدة وهو مدح النبي صلى الله عليه وسلم الذي يستحق كل حمد وثناء .

المدح تصوير محاسن المملوح تصويرا يوضح شخصيته ، ويبين الخصائص النفسية للمدوح، وليس ثناء يكال بغير حساب وإلا اعتبر تملقا وخداعا من الكلام ، وغفلة و حمقا من الممدوح .

١- عصيدة الشهدة ، عمر بن أحمد الخربوتي ، ص ٣٢.

ولذلك كان المدح بمعناه الأصيل ضروري لمن يستق به من العظماء وخاصة الأنبياء، وقد صور البوصيري الرسول وصحابته أحسن التصوير .

فقد بدأ البوصيري هذا الفن في قصيدته بوصف حالة الرسول وحياته وعمله وأدبه وسلوكه وسنته ، وبين فيها صفات النبي الجليلة وشمائله الطيبة ، وأنه اختاره الله من أكرم العناصر العربية والعجمية وأرسله الله إلى الناس رحمة لهم . وصور أيضا أبوة الرسول ، وأشاد بفضله الذي لا يعد ولا يحصى .

قال البوصيري للنبي صلى الله عليه وسلم مدحاً :

ظلمت سنة من احي الظلام إلى ... أن اشتكت قدماه الضر من ورم
وشد من سغب احشآئه وطوى ... تحت الحجارة كشحا مترف الأدم
وراودته الجبال الشم من ذهب ... عن نفسه فاراها ايما شمم
نبينا الآمر الناهي فلا أحد ... أبر في قول لامنه ولا نعم
فاق النبيين في خلق وفي خلق ... ولم يدانوه في علم ولا كرم
كالزهر في ترف والبدر في شرف ... والبحر في كرم والدهر في همم

يتحدث البوصيري عن تهجده ، فيذكر أنه أدام قيام الليل ، حتى تورمت قدماه و يتكلم أيضا عن إيثاره الجوع ، فيذكر أنه يشد أحشائه من السغب ، وعن زهده فيذكر أن جبال الذهب راودته عن نفسه فاستعصم . ثم يذكر أنه سيد الكونين والثقلين و الفريقين من عرب ومن عجم . وأنه الآمر الناهي وأنه لا أحد أبر منه في قول "لا " و في "نعم " . وأنه مرجو الشفاعة ، ومن يتمسك به فقد يتمسك بحبل غير منفصم ، و أنه فاق النبيين في الخلق والخلق ولم يدانواه في علم ولا كرم . وأنه شبيه بالزهر في الشرف والبدر في الشرف والبحر في الكرم والدهر في الهمم .

ثم ينتقل إلى الفصل الرابع المسمى بـ " مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن ميلاده لشئ عظيم ، وبمجيئه ظهر الحق وزهق الباطل ، وبوجوده كثر الخير والنعمة ، و بدعوته قل

الشر والفساد ــ وفر من هيبته الشيطان ، وذهب بنوره الظلام ، واحتفى بهدايته الضلال والبدعة، واتعش الكفار من قوته و شجاعته وخمدت نار المجوس التي أوقدت منذ ألف سنة لأن شمس الحق نورت آفاق السماء ، ونور النبي صلى الله عليه وسلم أضاء العالم ، ودلهم إلى الصراط مستقيم ومسلك سعيد وعاضت بحيرة ساوة و انفضت الشهب فوق الأصنام وارتجفت الأوثان مخافة من الشهب التي رمى بها الشيطان و ولت الشياطين الشر منهزمة قفا بعضها ببعض ، وتزعزع قصير إيوان كسرى وتصدع لشدة زعزعة ، وهتف الجن مستبشرا بقدومه ، وصفقت غصون الشجر في الريح تهنئية بميلاده .

قال البوصيري :

ابان مولده عن طيب عنصره ... يا طيب مبتدأ منه ومختتم
وبات ايوان كسرى وهو منصدع ... كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم
والجن تهتف والأنوار ساطعة ... والحق يظهر من معنى ومن كلم
وبعدما عاينوا فيا لأفق من شهب ... منقضة وفق ما في الأرض من صنم

ثم ينتقل البوصيري إلى الفصل الخامس الذي يدور فيه الكلام حول " معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الكبرى " فيذكر سجود الأشجار للرسول ، وسير الغمامة أنى سار لتقيه حر الهجير ، وما صنع الحمام والعنكبوت بالغار وكيف لمس راحته ببرئ المريض، ويشفى من الجنون وكيف كانت دعوته ترسل الأمطار في السنة الشهباء .

وبتلك المعجزات الخارقة للعادة في قصيدة البردة كانت بمثابة نار على علم أوجذوة على جبل ، تشتعل في الليل الحالك ، من له عين يراها ، ومن له عقل يفهم أنه نبي وصدق رسالته ، ومن له قلب أن ما دعا إليه الناس من دين الإسلام دين الحق ، فيؤمن به .

قال الشاعر :

جآءت لدعوته الأشجار ساجدة ... تمشى إليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطراً لما كتبت ... فروعها من بديع الخط في اللقم

فـالـصدق في الغار والصديق لم يرما — وهـم يـقـولـون مـا بـالـغـار من ارم
وقـاية الله أغـنـت عـن مـضـاعـفـة — مـن الـدروع وعـن عـال مـن الأطم
واحيـت السـنة الشهبـآء دعـوتـه — حتـى حـكـت غرة في الأعصر الدهم
بـعـارض جـاد اوخلت البطـاح بهـا — سيبـا مـن اليـم او سيلاً مـن الـعـرم

وهـذه الـمـعـجـزات يـذكـرها المسلمون جيلا بعد جيل ، وما في القرآن من آيات و معـجـزات أصبـحـت أكثر وضـوحـا في تصديق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم مع مرور الزمان، وأقوى حجة في إدخاض من لا يؤمن برسالته .

ثـم ينتقل البوصيري إلى الفصل السادس الذي يدور الكلام فيه حول "شرف القرآن" فيتـكـلـم الشـاعـر عـن الـقـرآن الـكريم حيث يقول إنه ظهر ظهور نار القرى على علم ، وأن الـمـديـح لا يتـطـاول إلـى وصف مـا فيه من حكم وإشراف ، لأنه يعجز عن وصفه مهما بذل جهودا جليلة في محاولة نظم أحسن القصائد وأروع الأبيات .

والقرآن كلام الله ، وهي معجزة كبرى خالدة ، وهي معجزة صريحة يعتزبها العقل ، ويـدعـوالله المسلمين بهذا الكتاب المبين إلى ان يواجهوا الحياة غير مترددين . وهو يبقى مع الزمان كمعجزة إلى يوم الآجلة .

قال البوصيري :

دامـت لـديـنـا ففاقت كل معجزة — مـن الـنـبيين اذ جـآء ت ولـم تـدم
مـا حوربت قط الا عاد من حرب — أعـدى الأعـادي إليهـا مـلقى السلم
ردت بـلاغتهـا دعـوى مـعـارضـها — رد الـغـيـور يـد الـجـانـي عن الحرم
لهـا مـعـان كـمـوج البحر في مدد — وفـوق جـوهـره فـي الـحسن والقيم
وكـالـصـراط وكـالـميزان معدلة — فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

فـذكر في هذه الأبيات شيئا عن القرآن أنه كلام الله تعالى المنزل على رسوله لهداية البشرية المحتدى بأقصر آية من آياته .

وبيـن خـلود القرآن جدته على مدى الأيام ، و وضح فصاحته ، وسر إعجازه و بلاغته وجزالة تعبيره وحسن سبكه .

وبيـن أنـه مـعـجزة كبرى شملت تشريعاً سماويا خالدا ودستورا يجعل من يسير عليه ينال الصدارة في قيادة الأمم ورعاية الشعوب .

ولـقـد كان للقرآن الأثر البالغ في العرب وحدهم بل في العالم كله ، فأوجد الحضارة الإسـلامية . وافتتـح صـفـحة جـديـرة في التاريخ الإنساني مشرقة بالخير والنور ، لم تر الدنيا أفضل منها ولا أسد .

ثـم انتـقـل الشـاعـر إلى الفصل السابع الذي يدور فيه الكلام حول " إسرائه ومعراجه عـليـه السـلام " ويتحدث عن معجزة الرسول الكبرى المعجزة الخالدة وهي معجزة "الإسراء والمعراج " .

ويـرد بالإسراء سير الرسول عليه السلا م ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. أما المعراج فهو طلوع النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماوات السبع على براق .

وفـي هـذه الـرحـلة إلى السماوات السبع سمع النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يسمع مـن أقـوال طيبة وعلم ما لا يعلم من أسرار الكون . و وصل إلى ما لا يصل إليه أحد من أقصى الـجـوزاء ، شـرح الله صـدره ، وكشف لـه عـن غشاء عينه ، فكثر علمه ونضج عقله، وذهب شجنه ، وانفرج كربه ، وانكشف غمه وتبدوهمه ، وهو واسع العلم و الأفق بعيد الإطلا ع ، قد بلغ من مختلف المعارف مالم يدرك أحد مداه ، و وصل إلى درجة من الفضل لا تتفق لسواه. قال البوصيري :

ومـن هـو الآية الـكبـرى لمعتبر ومـن هـو الـنـعـمة الـعـظمى لمغتنم
سـريـت مـن حـرم ليـلا إلى حرم كـمـا سرى البدر في داج من الظلم
وبـت تـرقـى إلـى أن نـلـت منزلة مـن قـاب قـوسيـن لـم تدرك ولم ترم
كيـمـا تـفـوز بـوصل أي مستتر عـن الـعيـون وســر أي مـكتتم

فحزت كل فخار غير مشترك   وجزت كل مقام غير مزدحم

وسير الإسراء والمعراج سير مبارك معطر نرى فيه هيبة الرسول صلى الله عليه وسلم وشرفه وعظمته وله فطرة سمية مميزات خاصة و مشخصات فذة ومقومات ثمينة يرسله الله كالغيث يحي بها مواتا وينبت به نباتا .

ثم ينتقل البوصيري إلى الفصل الثامن الذي يدور فيه الكلام حول "جهاد النبي صلى الله عليه وسلم" حيث يصف فيه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بالبأس والقوة، ويبين أن الأعداء سقطوا من صدمة الرعب والفزع .

قال البوصيري :

راعت قلوب العدا أنبآء بعثته   كنبأة أجفلت غفلاً من الغنم

ودوا الفرار فكادوا يغبطون به   اشلاء شالت مع العقبان والرخم

كأنما الدين ضيف حل ساحتهم   بكل قرم إلى لحم العدى قرم

يجر بحر خميس فوق سابحة   يرمي بموج من الأبطال ملتطم

من كل منتدب لله محتسب   يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم   من بعد غربتها موصولة الرحم

يصف البوصيري شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وما يقوده في كل معركة من عدد هائل من الجيش ، وهم كجبال قائمة بين السماء والأرض ، ويحاربن المشركين بيد واحد وقلب واحد ، إذا أمرهم فاعملوا بأمره ، وإذا نهاهم فابتعدوا عن نهيه ، وما يحاربون إلا أن يقيموا القسط والعدل ، ويبدؤ الحق والصواب ويزيلوا الشر والفساد، وينشروا الأخاء والصداقة ويثبو حبوب الخير والسعادة .

ثم ينتقل البوصيري إلى الفصل التاسع الذي يدور فيه الكلام حول "التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم" .

وقد ظهرت نفحات التصوف ظهورا قويا في هذا الفصل من البردة وهو التوسل

بالرسول صلى الله عليه وسلم إذ ردد توبته النصوح آملا في غفران الله وفي شفيع له عند ربه في محو ذنوبه وفي تضاعيف ذلك يدعوا إلى حب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو حب يستمد عنده كما يستمد عند الصوفية وعلى نحو من فنائه في حب الذات العلية كما يفني في حب النبي صلى الله عليه وسلم فناء دفع نفسه إلى الرغبة الشديدة في دوام حضوره مع أصحاب الطرق حين يتعمقون في حقيقته في النوم حين يحلمون . وبذلك نستطيع فهم إعلان البوصيري لحب الرسول الله صلى الله عليه وسلم وتلهفه على رؤيته في النوم حتى ليظن احتجاجه عنه قصورا في الحلب والفناء فيه ، وإنه ليتوسل إليه أن يعينه ملمته وأن ينيله السعادة والخير وأن يسأل الله أن يغفر لذنوبه بما قدم من أقوال طيبة أعمال مجيدة و مدائح صادقة .

قال البوصيري :

خدمته بمديح استقيل به — ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم
فيا خسارة نفسي في تجارتها — لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم
فإن لى ذمة منه بتسميتي — محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادي آخذا بيدي — فضلا وإلا فقل يازلة القدم
حاشاه ان يحرم الراجي مكارمه — او يرجع الجار منه غير محترم
ومنذ الزمت افكاري مدائحه — وجدته لخلاصي خير ملتزم

ثم ينتقل الشاعر إلى الفصل العاشر الذي يدور الكلام فيه حول " المناجاة وعرض الحاجة "

ويختم القصيدة بأبيات فيها حسن الختام فيصلى على الرسول وعلى آله و أصحابه اجمعين .

قال البوصيري :

يآ أكرم الخلق مالي من ألوذ به — سواك عند حلول الحادث العمم

يـا نـفـس لا تـقـنطي من زلة عظمت ... إن الـكـبـائـر فـي الـغـفـران كـاللمم

يـا رب فـاجعل رجائي غير منعكس ... لـديك واجـعـل حسـابـي غير منخرم

والـطف بـعبـدك فـي الـدارين إن لـه ... صبـرًا متـى تـدعـه الأهـوال يـنهـزم

وائـذن يسـحـب صـلـوة منك دآئمة ... عـلـى الـنبـي بـمـنهـل ومـنسـجـم

مـا رنـحـت عـذبـات البان ريح صبا ... واطـرب الـعيـس حادي العيس بالنغم

وفـي نهـاية الـمطاف ينهي البوصيري قصيدته بأبيات في مناجاة الله عزوجل وابتهال إليـه يـلـطف بـالـمسلمين وأن يكشف عنهم ما نزل بهم من ضرٍ و بأس ، وما حل أبنائهم من أزراء ومحن وما نزل بهم من ألوان الخسر والجور .

الفصل الرابع

الخصائص الفنية لبردة البوصيري

الخصائص الفنية

يشتمل على :

١ـ الموسيقي الشعرية

أ- وزن القصيدة

ب- شكل القصيدة وبناؤها

ج- التلميح

٢ـ الصور والأخيلة

أ- ظاهرة التجسيد والتشخيص

ب- الصورة والحركة

ج- الصورة واللون

د- الصورة والصوت

٣ـ الأسلوب والآداء التعبيري (الألفاظ والعبارات)

١ - استخدام جمل إنشائية

٢ - كثرة استخدام "الفاء"

٣ـ كثرة استخدام " الأسماء"

٤ـ تكرار الفعل والاسم

٥ - كثرة استعمال اسم مفعول

٢ـ الألوان البلاغية

أ ـ الأسلوب الرمزى

ب ـ أسلوب التشبيه

ج ـ أسلوب الاستعارة والمجاز

د ـ أسلوب القصر

٥ـ المحسنات البديعية

٦ـ الاشارات التاريخية

أ ـ الأماكن التاريخية

ب ـ الحوادث التاريخية

١- الموسيقي الشعرية :-

الموسيقي من أهم مميزات الشعر من أصناف البيان الأخرى ، وهي التي تزينة وتبعث إليه إنتباه السامعين . والمراد بها نواحيه الجمالية من جرس الألفاظ والتراكيب القطيعة التي يتألف بها الشعر ، والإنسجام في تواليها و تردد بعضها بقدر معين منها .

أ- وزن القصيدة :

نظم البوصيري قصيدته على بحر البسيط . وهو ثمان تفعيلات :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن   مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

امن تذكر جيران بذى سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

مفاعلن فعلن مستفعلن فعلن   مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن

فوزن هذا النوع من البسيط التام الذي يدخل الخبن على عروضه وضربه فيصير "فعلن" أي : حذف ثانيهما الساكن .

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن   مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

والتفعيلة "مستفعلن " يصير " مفاعلن " بعض الأحيان .

أما القافية فهي الميمية ، وهو حرف مجهور وكثير الإستعمال في الشعر الغنائى الذي يميل إلى الرفق واللطف والشوق والحنين والشكوى عن الحب والغرام والتغريب **من صميم** القلب عن العواطف والمشاعر وآلالام والشجون .

موسيقا الأبيات في البردة حلوة وإيقاعها متوازن أو متقارب ، وألفاظ عذبة وأنها تنساب في ائتلاف متسق يمضى في إيقاع موسيقى جذاب ، تسيطر عليه أذن شديدة الحس بأدق الأصوات والأنغام .

يدبج الشاعر القصيدة بمحسنات لفظية ومحسنات معنوية ، ويوازنها و قافية حيث يسرى في القصيدة نغم موسيقى ساحر ينبعث من ائتلاف الكلمات في جرس عذب. حيث يقول :

قـد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينـكـر الـفـم طعم المآء من سقم (١)

ومـن هـو الآية الـكبـرى لـمعتبر ... ومـن هـو الـنعـمة العظمى لمغتنم (٢)

فـحـزت كـل فخـار غيـر مشتـرك ... وجـزت كـل مـقـام غيـر مـزدحـم (٣)

وجـل مـقـدار مـا وليـت من رتـب ... وعـز ادراك مـآ اوليـت مـن نـعـم (٤)

فـالـدر يـزداد حسنـا وهو منتظم ... وليـس ينـقـص قـدرا غيـر منتظم (٥)

آيـات حـق مـن الـرحـمن محدثة ... قـديـمة صـفة الـموصـوف بـالقدم (٦)

إن تتلهـا خيـفة مـن حر نـار لظى ... أطـفـأت حر لظى من وردها الشبم (٧)

كـأنهـا الـحـوض تبيـض الوجوه به ... مـن الـعـصـاة وقد جآء وه كالحمم (٨)

وفي الأبيات حسن الإنسجام والموازنة والمطابقة :

ضـوء الشـمس من رمد ـ طعم الماء من سقم ، فحزت كل فخار غير مشترك ـ وجزت كل مقام غير مزدحم ، ـ منتظم ـ غير منتظم ، محدثة ـ قديمة ، حرّ ـ شبم ، تبيض ـ حمم .

فهـذه الأبيات تجرى على اللسان بمجرى الماء بسلامة وعذوبة ، ونسق الكلام فيهـا جيـــدة ، وديـباجة الـشـعر مـتـينة ، لألفاظها حلاوة وطلاوة ، ولكلماتها جزالة ، وهي قرب الـمـأتـى، رقة الـحـواش الكلام ، متانة الأسر ،سب الكلام، محكمة الصياغة ، قوية النسج ، كثيرة الـمـاء والـرونق . وهي تثير التغور وتطرب السماع بإيقاع متردد وموسيقي فاتن ، وتلذذ العقل والقلب .

ب ـ شكل القصيدة و بناؤها :

سـلك الشـاعـر في قصيدته نهج الغزل العذرى الذي يترجم عن لواعج الحب ترجمة صادقة ، ويعبر عن مواجده وأشواقه وما يحسه إزاء الدين من مجاهدات تنقى نفسه وروحه ، و

١- انظر : البيت رقم : ١٠٤ .

٢- انظر: البيت رقم : ١٠٦ .

٣- انظر : البيت رقم : ١١٤ .

٤- انظر : البيت رقم : ١١٥ .

٥- انظر : البيت رقم : ٧٩ .

٦- انظر : البيت رقم : ٩١ .

٧- انظر : البيت رقم : ١٠٠ .

٨- انظر : البيت رقم : ١٠١ .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم المآء من سقم (١)
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ... ومن هو النعمة العظمى لمغتنم (٢)
فحزت كل فخار غير مشترك ... وجزت كل مقام غير مزدحم (٣)
وجل مقدار ما وليت من رتب ... وعز ادراك مآ اوليت من نعم (٤)
فالدر يزداد حسنا وهو منتظم ... وليس ينقص قدرا غير منتظم (٥)
آيات حق من الرحمن محدثة ... قديمة صفة الموصوف بالقدم (٦)
إن تتلها خيفة من حر نار لظى ... أطفأت حر لظى من وردها الشبم (٧)
كأنها الحوض تبيض الوجوه به ... من العصاة وقد جآءوه كالحمم (٨)

وفي الأبيات حسن الإنسجام والموازنة والمطابقة :

ضوء الشمس من رمد ـ طعم الماء من سقم ، فحزت كل فخار غير مشترك ـ وجزت كل مقام غير مزدحم ، ـ منتظم ـ غير منتظم ، محدثة ـ قديمة ، حرّ ـ شبم ، تبيض ـ حمم .

فهذه الأبيات تجرى على اللسان بمجرى الماء بسلامة وعذوبة ، ونسق الكلام فيها جيدة ، وديباجة الشعر متينة ، لألفاظها حلاوة وطلاوة ، ولكلماتها جزالة ، وهي قرب المأتى، رقة الحواش الكلام ، متانة الأسر ،سب الكلام، محكمة الصياغة ، قوية النسج ، كثيرة الماء والرونق . وهي تثير التغور وتطرب السماع بإيقاع متردد وموسيقي فاتن ، وتلذذ العقل والقلب .

ب ـ شكل القصيدة و بناؤها :

سلك الشاعر في قصيدته نهج الغزل العذرى الذي يترجم عن لواعج الحب ترجمة صادقة ، ويعبر عن مواجده وأشواقه وما يحسه إزاء الدين من مجاهدات تنقى نفسه وروحه ، و

١- انظر : البيت رقم : ١٠٤ .
٢- انظر : البيت رقم : ١٠٦ .
٣- انظر : البيت رقم : ١١٤ .
٤- انظر : البيت رقم : ١١٥ .
٥- انظر : البيت رقم : ٧٩ .
٦- انظر : البيت رقم : ٩١ .
٧- انظر : البيت رقم : ١٠٠ .
٨- انظر : البيت رقم : ١٠١ .

يشعر بكثرة الأثام فيشجن ، ويقرض هذا لشعر الغزلى الحزين الذي يجد قراؤه أغذية روحية لا يقدر . ويغوص في بحر الشعور ، لا يستطيع الظفر به والخروج منه ، فيفتح به من قلبه أبواب الحنين والبكاء والشوق .

معظم القصاء العربية في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي لا تخلو عن المراحل الأربعة :-

المرحلة الأولى : وصف الأطلال والأحباء والبكاء عليهما -

المرحلة الثانية : وصف الصحراء وما يركبه الشاعر من فرس أو ناقة ومن يجرى في ذلك من وحشي أو حيوان -

هاتان المرحلتان توجدان في أكثر قصائد عصور ثلاثة ، الجاهلي والإسلامي والأموي(١)

وفي المرحلة الثالثة : ينتقل الشاعر إلى المقصود ، فيمدح .

وفي المرحلة الرابعة : يقدم الشاعر شيئا من الحكمة أو الموعظة أو الحديث القصير عن نفسه. فعلى هذا المنوال تنتهى قصائدهم .

بين الشاعر البوصيري منهجه على خطوات ، وافتتح قصيدته بما جرت به عادة الشعر بذكر لوازم العشق من ذكر الحبيب و داره ومقاساة الأحزان والأشواق .

وقد ترجم لها - الكواكب الدرية - صاحب كشف الظنون فقال :

" .... وهي مائة بيت و إثنان وستون بيتاً ، منها :اثنتا عشر في المطلع ، وستة عشر في النفس وهواها ، وثلاثون في مدائح الرسول عليه الصلاة والسلام ، وثلاثة عشرفي مولده ، وعشرة في من دعا به ، وسبعة عشر في شرف القرآن ،وثلاثة عشر في ذكر معراجه ، وإثنان وعشرون في جهاده ، واثنتا عشر في الاستغفار ، وبقيتها في المناجاة".(٢)

١- العصر العباسي الأول - شوقي ضيف ، ص ١٣٨ .

٢- شرح البردة لإمام البوصيري ، شيخ الأزهر إبراهيم الباجوري ، ص ٣ .

ج- التلميح :

هو أن يشير الناثر أو الناظم في قرينة سجع أو بيت أو شعر إلى قصة معلومة أو نكتة مشهورة .

قال البوصيري :

أمن تذكر جيران بذي سلم	مزجت دمعا جرى من مقلة بدم (١)
أم هبت الريح من تلقآء كاظمة	أو أومض البرق في الظلمآء من اضم (٢)
لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل	ولآ ارقت لذكر البان والعلم (٣)
وأثبت الوجد على خطي عبرة وضنى	مثل البهار على خديك والعنم (٤)

استخدم البوصيري في هذا المطلع أسماء بعض المواضع التي تقع في الحجاز كأنه يريد أن يبين حنينه إلى ديار الممدوح عليه السلام .

سلم : شجر من العضاه و ورقها القرظ الذي يدبغ به الأديم (٥) .

ذي سلم والسلم بفتح اللام اسم شجر وبكسرها ، اسم جنس للسلمة كما في كلم و كلمة وهي أيضا اسم شجرة في الوادى بين مكة والمدينة .

فالمراد ههنا هذه الشجرة لها مناسبة بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه عليه السلام كان كلما ذهب إلى مكة وسلك ينزل هذه الشجرة و يستريح فيه فالمعنى أمن تذكر المحبوب الكائن والملابس في مروره بمكان ذي شجرة معهود .

وقيل المراد من السلم دار السلام من الجنان فيكون فيه استعارة بأن شبه روضة النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة المسماة بدار السلام في كونهما شريفتين وكونهما خير مكان وأدعى أن الروضة جنس دار السلام ثم استعير دار السلام للروضة فذكر اللفظ الدال على دار السلام . (٦)

١- انظر : البيت رقم : ١ .
٢- انظر : البيت رقم : ٢ .
٣- انظر : البيت رقم : ٥ .
٤- انظر : البيت رقم : ٧ .
٥- انظر : تاج العروس ، تحت المادة : س ل م .
٦- عصيدة الشهدة - العلامة الخربوتي ، ص٧.

وكاظمة: اسم من أسماء المدينة نورها الله تعالى إلى يوم القيامة وهي اسم فاعل من الكظم وهو تسكين الغضب كما في قوله تعالى (والكاظمين الغيظ) فإسناد الكاظمة إلى المدينة مجازي مصل جرى النهر لأن المدينة غير كاظمة الغضب بل من خواصها أن من سكن فيها يسكن غضبه وقيل المراد كاظمة روضة الرسول الله صلى الله عليه وسلم مجازاً من ذكر العام وإرادة الخاص (١).

وإضم: هو الوادي الذي فيه المدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام (٢).

وقال الشيخ الخربوتي هو اسم جبل قريب من المدينة وهو محله عليه السلام اذ في أكثر أوقاته كان يسكن فيه فهو إما على حققيته وأما أن يراد به المحبوب من ذكر المحل و إرادة الحال .(٣)

هذه الأسماء تحرك خيال المتلقى وتثير شعوره بأن يتساير معه إلى تلك المواضع البعيدة ، ويستعيد الذكريات الجميلة التي تلذذ العقل و تونس القلب .

استخدم البوصيري "رياح النصر" كتلميح إلى نصرت بالصبا في البيت التالى :-

تهدي إليك رياح النصر نشرهم　　　فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي (٤)

يعنى تحسب أنت كل شجاع في سلاحه النور في أكمامه فكما أن النور فيها يكون في غاية الصفاء والبهاء ونهاية الحسن والضياء لا يمكن أن يشم منه رائحة كريهة كذلك الجيش في سلاحه يكون في غاية الحسن و البهجة والبهاء ونهاية الطراوة والنضارة و الضياء وكمال الثبات والاستقامة والتمكين و حسن اليقين لدي المحاربة لا يتصور أن يسمع منهم خبر غير مرضى من الهزيمة والقلق والإضطراب .

١- عصيدة الشهدة - العلامة الخربوتي ، ص ١٠ .

٢- تاج العروس ،تحت المادة إ ض م .

٣- عصيدة الشهدة ، الشيخ الخربوتي ، ص ١١ .

٤- انظر: البيت رقم :١٣٢ .

وفي هذا البيت " رياح النصر " تلميح إلى نصرت بالصبا والمراد من رياح النصر التأيدات بالنصر كما في قوله عليه الصلوة والسلام :

"نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور " (١)

كذلك استخدام البوصيري كلمة " غربتها " كتلميح إلى قوله عليه السلام في البيت التالي :

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم　　　من بعد غربتها موصولة الرحم (٢)

فكلمة "غربتها " تلميح إلى الحديث النبوي :ـ

بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريباً فطوبىٰ للغرباء. (٣)

١- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري : الحديث رقم : ٩٨٨، كتاب الاستسقاء.

- وصحيح مسلم ، مسلم بن حجاج القشيري: الحديث رقم : ٩٠٠ ، كتاب صلاة الاستسقاء.

٢- انظر: البيت رقم :١٢٥.

٣- صحيح مسلم ، مسلم بن حجاج القشيري : الحديث رقم : ٢٣٢، كتاب الإيمان.

- وكشف الخفاء ، الإمام العجلوني : الحديث رقم : ٨٧٨.

٢ـ الصور والأخيله

١ـ ظاهرة التجسيد والتشخيص

٢ـ الصورة والحركة

٣ـ الصورة واللون

٤ـ الصورة والصوت

مفهوم الصور الفنية ، لغة واصطلاحا:ـ

قبل دخول صلب الموضوع ، يحلو لى تقديم بعض المعلومات التي تتعلق بمفهوم "الصور الفنية " لغة واصطلاحا ، إذا رجعنا إلى القاموس العربي وجدنا " الصورة" من: ص و ر"، وهي كلمة قابلة للتصرف ، ولها صيغ الاشتقاق اللفظية المستعملة كاسم الفاعل والمفعول وغيرها .

فالمصور هو الله سبحانه وتعالى الذي صور جميع الموجودات ، ورتبها ، فأعطى كل شئ منها صورة خاصة ، وهيئة مفردة تتميز بها على اختلافها وكثرتها .

وصور الشئ جعله صورة وشكلا ، ورسمه ونقشه ...... (١)

والتصاوير : هي التماثيل ، وكانت قديما تصنع من الأحجار وبعض المعادن .

والتصوير : فن تمثيل الأشخاص والأشياء بالألوان ...... (٢)

والتصوير الشمسى : فن إثبات صور الأشخاص والأشياء الحاصلة ، بواسطة غريفة سوداء مظلمة على صحيفة سريعة التأثر بالنور ، ويعرف أيضا بالتصوير الفوتو غرافى (٣).

وتأتى كلمة التصور بمعنى التوهم ، تقول : تصورت الشئ : توهمت صورته فتصور لى . وتأتى بمعنى التخيل ، تقول: تخيلته فتخيل لى ، كما تقول تصورته فتصور لى . والخيال كما جاء في اللسان : ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صوره .(٤).

والصورة : مفرد ، جمعها صور بفتح الواو وضم الصاد ، وتجمع أيضا على صور بكسر الصاد وفتح الواو . (٥)

وفي الكشاف اصطلاحات الفنون ، نجد كلمة " صورة " أنها تطلق على عند

١ـ انظر : لسان العرب لابن منظور ، تحت المادة :ص و ر .

٢ـ المنجد، لويس معلوف ،تحت المادة ص و ر .

٣ـ المرجع السابق .

٤ـ انظر: لسان العرب لابن منظور ، تحت المادة: ص و ر ، و مادة : خ ي ل.

٥ـ انظر:لسان العرب ابن منظور ، تحت المادة : ص ور.

الحكماء وفي عرفهم على معان ، منها : أنها كيفية تحصل في العقل ، هي آلة ومرآة لمشاهدة ، وهي الصورة في الخارج ، ويسمى صورة خارجية . أو في الذهن ، ويسمى صورة ذهنية كما يطلق ذلك في الجثة ، يطلق في المعانى ، أي المحسوسات والمعنويات .

ومنها : الصورة الذهنية : أي المعلوم المتميز في الذهن ، وحاصلة الماهية الموجود بوجود ظلي . والصورة : ما به يتميز الشئ في الذهن ، فإن الأشياء في الخارج أعيان ، وفي الذهن صور .

بالرغم من كثرة التعريفات الاصطلاحية للصورة الفنية ، ولكن ليس بين المعاني الاصطلاحية واللغوية فجوة كبيرة ، ويوجد معناها الاصطلاحى ممتدا طبيعيا متناسبا مع المعنى اللغوى ، ويعتمد كثير من تلك التعريفات على معنى الصورة الأساسية ، ولا يختلف بكثير عن كونه : فن الرسم بالكلمات .

يعرف الأستاذ أحمد الشايب الصورة بأنها وسيلة يحاول من خلالها الأديب ، أن ينقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه وسامعيه ......(١) ، وهي عنده أيضا تمثل العبارة الخارجية للحالة الداخلية للفنان ، وكل ما نصفها به من جمال وروعة وقوة . إنما مرجعه إلى هذا التناسب بينها وبين تصويره من عقل الكاتب ومزاجه تصويرا دقيقا خاليا من الجفوة والتعقيد ، فيه روح الأديب وقلبه ، بحيث نقرأه كأننا نحادثه ، ونسمعه كأننا نعامله (٢).

وتستعمل الصورة أيضا : للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسى ، وتطلق في بعض الأحيان مرادفة للاستعارى للكلمات (٣).

والصورة أيضا تشكيل لغوى يكونها خيال الفنان من مقتضيات متعددة ، يصف من خلالها العالم المحسوس ...... ويدخل في تكوين الصورة بهذا المعنى ما يعرف بالصورة

١- أصول النقد العربي ـ أحمد الشايب ، ص :٢٤٢.

٢- المرجع السابق.

٣- مقدمة الصورة الأدبية ـ مصطفى ناصف ، ص ٥.

البلاغية ، من تشبيه ومجاز ، الى جانب التقابل والظلال والألوان . وهذا التشكيل يستغرق اللحظة الشعرية والمشهد الخارجى (١).

والصورة الأدبية : ما اشتملت على مجموعة من الأسس ، منها : صدق الشعور ، وصحة التفكير ، والرغبة الصادقة في نقلها إلى القراء كما هي ، والقدرة البيانية المتجلية في الصورة الأدبية (٢).

أما الفن فهو واحد "الفنان" ، وهي الأنواع . والأفانين الأساليب ، وهي أجناس الكلام وطرقه .(٣).

وفي "المنجد" يقول : الفن ج: أفنان و فنون وجج: أفانين : الحال أو الضرب من الشئ أو نوع .هو تطبيق الفنان معارفه على ما يتناوله من صورة الطبيعة ، فيرتفع إلى مثل أعلى تحقيقا لفكرة أو عاطفة يقصد بها التعبير عن الجمال لأكمل تلذيذا للعقل والقلب (٤).

وفي " المعجم الوسيط " يعرف بأنه التطبيق العملى للنظريات بالوسائل التي تحققها ، ويكتسب بالدراسة والمرانة . والفن جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة . والفن جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف ، وبخاصة عاطفة الجمال كالتصوير والموسيقى والشعر . والفن يحكمها الذوق والمواهب . (٥)

ا- ظاهرة التجسيد والتشخيص

عاش الإنسان في الأرض كصاحبها ، ومن طبيعته أن يعرف هذا العالم حوله ، كى يدرك حقيقة الحياة وسر الكون ، كما يرغب في معرفة العجائب لهذا العالم و يتعمق في فهم عجائبها ، و في إدراك كنهها وماهيتها .

١- الصورة في الشعر العربي حتى القرن الثامن الهجري - الدكتور على البطل ، ص٣.
٢- المرجع السابق .
٣- مختار الصحاح - الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، تحت المادة: ف ن ن.
٤- المنجد الأبجدي - أحمدي ،تحت المادة: ف ن ن .
٥- المعجم الوسيط - ابراهيم انيس ، ج ٢ ، ص ٧٠٣

والإنسان بعلمه وخياله يستطيع أن يرحل من الأرض إلى البحر الرحيب ، ويتجول في عمق البحر مرة ، ويرتقى إلى الفضاء الشاسع المنور مرة أخرى ، ويصور لغيره ما رآه من صور جميلة ، وما سمعه من نوادر وعجائب في رحلته ، ويصف لأخيه ما شعر به في حياته من ألم أو سدم أو فرح أو سعادة .

والشاعر هو طليعة في تصوير ذلك العالم العظيم ، وفي وصف مشاعره في تلك الرحلة الطويلة ، ويرسم للمتلقيين لوحات ملموسة، وصورا حيوية بألفاظ جميلة، وألحان مطربة ، وتعابير ساحرة ، يجسم ما لا يرى وما لا يلمس في صورة مريئة وملموسة .

إن فكرة تقديم الحسى للمعانى في التصوير فكرة قديمة ، سبقت شاعرنا البوصيري ، وهي متواجدة في كل الأشعار . فالتصوير بالكلمات وإخراج المعنويات بصور ة مجسمة، أو إضفاء الحياة وبثها في الجمادات فكرة واكبت البشرية منذ القديم(١).

يقول د . نصرت عبدالرحمان واكبت البشرية من الإعتقاد بأن كل ما في الكون ذو حياة ، فالشجرة تغنى ، والشمس تبتسم ، والسماء تبكى ، والصبح يتنفس (٢) .

كان النقاد يعدون التشبيه الأقوى عندهم ما أخرج المعنوى مخرج الحسى ، بمعنى أضفى الحياة على الجوامد ، وجسم المعنويات ، ومن أمثلة على ذلك قولهم:

اصبر على مضض الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله (٣)

فقوة التشبيه في البيت السابق ، إستمرت من تمثيل المعنوى وتحويله إلى حسية مجسمة حية ، فالحسد أمر معنوى ، أما نار في أمر حسى ، فقد جسد الحسد ، وأضيفت عليه صفة الحياة ، كأنه من المشخصات الحية ، وهذا التشخيص أعطى الحيوية لهذا الصورة ، وبث في النفس راحة لا توجدك بقى المعنى على حاله دون هذا التمثيل الحسى

١- أنظر : الصورة الفنية ، جابر عصفور ، ص : ٢٩٤ .

٢- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي - د. نصرت عبدالرحمان ، ص١٦ .

٣- الإيضاح – الخطيب القزويني ، ص ٢٤٩ .

للمعنى المتمثل في "مضض الحاسد وقاتل الصبر".

لا يخرج التجسيد عن دائرة الاستعارة التمثيلية ، فقولك للرجل المتردد على سبيل المثال : " أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى " ، وفيه ظاهرة التجسيد والتشخيص ، مع أنه ليس هناك تقديم رجل ولا تأخير أخرى ، وإنما العزيمة في حالة ترددها تضفى على النفس راحة بإخراج المعنوى بصورة حسية ، وإضفاء نوع من التجسيد عليه ، فالتقديم والتأخير بمعنى التردد، وهو أمر معنوى . وتقديم الرجل وتأخيرها ، وهو أمر حسى . وهذا تجسيد لمعنى التردد.

والمراد بظاهرة التجسيد ، هي إظهار المعنوى بصورة حسية . وكقولك : "العين نافذة الضمير" ، فالضمير في هذه العبارة أمر معنوى ، أصبح قابلا للروية ، كأنه مبنى من المباني ، وله نافذة أو نوافذ ، فيرى منها كل ما في داخله من مختلفة الأشياء . وفي الحقيقة ليست العين نافذة ، وإنما هي علامة أو وسيلة يعرف بها غضبان الإنسان وفرحه ، والضمير لا يقول ولا يتكلم ، ولكن العين تقول بلا لسان ، ويعرف منها ما يضمنه الضمير من شر أو خير .

أما التشخيص ـــ كما هو معلوم ـ فهو إضفاء المظاهر الإنسانية البشرية على غير العاقل، كقولك: " يحكى سور الصين العظيم الطرائف والعجائب " على سبيل المثال ، فهذه العبارة تضفى الحياة والحركة والقدرة على النطق على أمر مادى جامد لا حياة فيه، فيتحول إلى ناطق حي يروى الأخبار بفعل هذه الظاهرة التشخيص .

وغالبا ما تمتزج هاتان الظاهرتان (التشخيص والتجسيد) ، وقد استخدم الشاعر هذه الظاهرة في صوره ، وفي الحياة على الجوامد في كثير من الأبيات التي تحدث عنها من خلال شعره ، وقد أتى في هذا استخدام بطريقة تنم عن قدرة فائقة في استخدام هذا اللون التصويرى، وتمكن في حقل اللغة ، والتصوير بطريقة تتكون فيها هذه المشخصات والمجسمات متمكنة في مواقعها التركيبية ، بحيث لا يحل مكانة أسلوب آخر أبدع منها أو أنسب للمقام ، فمن تشخصاته الجميلة قوله :

والنـــار خـــامـدة الأنفـاس من أسف   عـليـه والـنهـر سـاهـى العين من سدم (١)

والنار شئ مادى لا عقل لها ، والشاعر جعلها عاقلة ذات نفس وشعور ، وهي ماتت ، ووقفـت مـن التـنـفـس لشدة الحزن والألم والنهر شئ مادى أيضا غير عاقل ، وجعله الشاعر عاقلا ساكن العين ، لا يعرف أين يمشى لكثرة السدم وشدة الشجن ، ويضل الطريق .

صـور لـنـا الشـاعـر صـورـة النار التي يعبدها المجوس ، وهي منيرة طوال ألف عام ، وطـفـأت هـذه الـنار المعبودة ، وخمدت لهوبها لطلوع شمس الإسلام ــ محمد عليه الصلاة والسلام ــ كل نور إختفى من نوره .

ومن تشخيصاته قوله:

جـاء ت لـدعـوتـه الأشجار ساجدة   تـمشـــى إليــه عـلــى ســاق بلا قدم

كـأنـمـا سـطـرت سطراً لما كتبت   فـروعهـا مـن بـديـع الخط باللقم(٢)

حيـنـمـا دعـا النبى عليه الصلاة الأشجار ، تحركت، واستخرجت جذورها من عمق الأرض ، ومشـت إلـى الـنبـي الـكـريم متواضعة كمشئ الإنسان ، لم يكن في مشيها ميل ولا عـوج ، سـطـرت بـفـروعهـا سـطـرا مستقيما ، وكتبت في الطريق حروفا جميلة بديع، كأنها خطاطة . (٣)

ومن تشخيصاته قوله :

كـأنـمـا الـديـن ضيفاً حل ساحتهم   بـكـل قـرم إلـى لـحـم العدا قـرم (٤)

جـعـل الشـاعـر الـدنيـا ضيفا منور الوجه ، جديد اللباس ، ساكن القلب ، حل ساحة الـكـفـار بـدون خـوف ، وأراد أن يزورهم ، والضيف عادة يقدم له طعام لذيذ ، ويكرمه بلحم إكـراما حسنا، يعنى كأنما دين الإسلام ضيف حل ساحته مع كل شجاع ، شديد الرغبة في

١- شـرح البـردة ونهـج البـردة للإمـام البـوصيري حققه فتحى عثمان ، ص ١٠٠ .

٢- المرجع السابق ، ص١١٣ .

٣- المرجع السابق ، ص١١٣

٤- المرجع السابق ، ص١١٣ .

أكل لحوم أعداء المسلمين ، أو يراد به المعنى الرمزى أي ألإسلام نور يزيل ظلمة الدنيا، وظلمة القلوب من الأشقياء .

والدين شئ معنوى، والضيف شيئ محسوس مرئى ،حقق الشاعر اللنجاح في رسم صورة الإسلام بصورة الضيف ، وشبه المعقول بالمحسوس ، وصور تلك الصورة الجميلة للمتلقين بالكلمات .

ومن تشخيصاته أيضا قوله :

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا فما تفرق بين البهم والبهم (١)

جعل الشاعر قلوب العدا طيرا ذا جناحين ،طار من المعركة لشدة الأذى والخوف إلى مكان بعيد ، يعنى طارت قلوب العدا مع ترك أصحابها بلا قلوب ، وقلوبهم في السماء ، وأبدانهم في الأرض ، وانفصلت إحداهما عن الأخرى ، ولذا كلاهما في حالة المرض والغفلة والفزع ، زالت عقولهم ، وفسدت أبدانهم ، وفقدت قدرتهم في تمييزهم بين المحارب والخروف ، وفقدت حركاتهم كأنهم دميات متجمدة .

ومن تشخيصاته قول الشاعر :

فما لعينين إن قلت اكففا همتا وما لقلبك إن قلت استفق يهم (٢)

يتكلم الشاعر مع عينه وقلبه ويسألهما : "إن كنت ـ يا شاعر ـ تنكر فرط الوجد في المحبة والوداد ، وتظهر السلو عن كتمان لواعج الفؤاد ، فقلت للعين أن تمسكا عن البكاء ، ولكنهما سالتا أشد السيلان ؛ وللقلب أن يستفق من الإغماء والشجون ، ولكنه يهم في أودية التحير غاية الهيمان . والعين ترى ولا تسمع ، والقلب يتأمل ولا يسمع ، يحتمل أن الشاعر يجعل العين والقلب الإنسان الذي يسمع ويفهم ، ولكنه يخالف أمره بعد أن يسمع كلامه ويصر على ما كان عليه .

١- شرح البردة ونهج البردة للبوصيري ـ حقه فتحى عثمان ، ص١٢٤ .

٢- المرجع السابق،ص٩٧.

ومن تشخيصاته الجميلة قول الشاعر :

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني والحب يعترض اللذات بالألم (١)

الفعل " سرى " : بمعنى سار ليلا لأن السرى (٢) هو السير ليلا . وقوله طيف من أهوى : أى خيال من أحب ، فالطيف خيال المحبوب . وأهوى مضارع هوى بكسر الواو ، بمعنى أحب ، بخلاف بفتح الواو، فإنه بمعنى سقط ،وسبب ذلك الخيال ان النفس إذا ولعت بشيء حصلت صورته في القوة المتخيلة ، فترى خياله فى المنام كثيرا .

وقوله " فأرقنى " أى أسهرنى لأنه لما تذكر الحب ، ثارت عليه الحرارة ، انتفت عنه الرطوبة ، فارتفع عنه النوم ، وقوله " والحب يعترض اللذات بالألم " أي يدفعها بالألم ، يقال اعترضه بالسهم إذا دفعه به فالألم هنا بمنزلة السهم ، واللذات بمنزلة الشخص الرامى .(٣)

سرى يسرى أى ذهب بالليل ، والطيف الخيال من أهواء أى أحبه . أرقه أسهره ، يعترض من اعترض له بالسهم اقبل به قبله فرماه ، فقتله ، فالألم يكون استعارة عن السهم واللذات عن الشخص المرمى ...... (٤)

الحب يعترض اللذات ...... يعنى الحب سالب النوم و دافعه ينتج الحب ، سالب النوم ودافعه ويعترض من اعترض له بسهم أقبل به قبله ، فرماه ، فقتله ، فيعترض بمعنى يقتل (٥).

بعد العرض اليسير ، نعرف أنالطيف الخيال ، هو أمر معنوى ، ويجسمه الشاعر بأنه إنسان سرى ليلا ، وذهب إلى بيت المعشوق للزيارة ، وطرق بابه ، ودخل فيه لتجاذب أطراف الحديث ، وسالب نومه .

١- شرح البردة ونهج البردة للبوصيري ـ حقه فتحى عثمان ، ص٩٨.

٢- بضم السين المشددة هو سير عامة الليل كذا في القاموس، تحت المادة: س ى ر . راجع شرح البردة للإمام البوصيري ـ حققه عبدالرحمن حسن محمود.

٣- المرجع السابق، ص١٧ .

٤- شرح البردة ـ الشيخ زاده ، ص٢٢.

٥- عصيدة الشهداء ، الشيخ الخربوتي ، ص ٢٣.

والحب أمر معنوى ، ويظهر من دلالة " يعترض " ـ إذا كان بمعنى يقتل ـ أن يشبه الشاعر الحب بالسهم الذي هو شيء مادى ؛ وأن يشبه أيضا الحب بالإنسان الذي يدفع ويدافعه ، والحب ليس له يدان ، ولكن يجعل الشاعر له يدين يدفع بهما اللذات ، يحقق الشاعر النجاح في رسم صورة الطيف والحب بمشاهدة حيوية .

ومن ظواهر التجسيد قول الشاعر :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على　　　حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم (١)

والنفوس في التعود بالشيئ والانفطام منه كالأطفال ، فلا تهملها فيما تشتهى كل الأهمال ، فإن الطفل إن أهمل شب على حب الرضاع ، واشتد التذاذه بألوان الأطعمة ، وإن فصل عن الرضاع رضى بالانفصال ، وبلغ بالتدريج مبلغ الكمال . فالنفس إن تصرف عن المألوفات الطبيعة واللذات الكاذبات الوهمية إلى إدراك الحقائق وذوق اللذات الروحانية تفوز بالسعادات ، وإن القيت حبلها على غاربها وتركت سدى دامت حسراتها ولا يرجى نجاتها.

شبه الشاعر النفس بالطفل في عدم الملك والسآمة بالاستمرار على المألوفات، فكما أن الطفل إن تركته على ما ألفه من الرضاع دام على حبه ، وإن منعته امتنع .

والنفس أمر معنوى ، والطفل يرى ويحسن ، ويجسم الشاعر النفس بالطفل ، ويحقق الشاعر النجاح في رسم صورة النفس التي لا ترى ولا تلمس بالطفل الذي يرى ويلمس ، كما يحقق النجاح في تصوير صفة النفس بصفة الطفل في مألوفة كرضاع وهلوع وعدم الصبر وغير ذلك .

ومن قول الشاعر ما أتى به من الظواهر التجسيدية :

وراعها في الأعمال سائمة　　　وإن هي استحلت المرعى فلا تسم(٢)

والنفس أمر معنوى ، والبهيمة أمر مادى ، حقق الشاعر النجاح في تجسيم النفس

١- شرح البردة ونهج البردة للإمام البوصيري ـ حققه فتحى عثمان ،ص ١٠١ .

٢- المرجع السابق .

بـالبهيـمة التـى أكـلـت كـل كـلاء لـقيه فى المرعى . ولا حظ الشاعر أن النفس في الأعمال الصالحة كالبهيمة السائمة في الكلاء بجامع عدم معرفة الصلاح في كل .

ومن تشخيصاته الجميلة قول الشاعر :

وراودتــه الـجبــال الشم من ذهب　　　عـن نـفســه فــأراهــا أيـمــا شمم (١)

والـجبال أشياء مادية ، لا تعقل ولا تشعر ، ويجعلها الشاعر عاقلة ذات شعور ومحبة ، تـراود الـنبـي صـلـى الله عـليـه الـصلاة والسلام بأن تصبح جبالا ذهبية ، ولكنه أعرض عنه ، واختار متاعب الفقر على مناصب الغنى . واقرأ قول الشاعر :

وأحيــت الســنة الشهبـاء دعـوتــه　　　حتـى حـكت غرة في الأعصر الدهم (٢)

"أحيت " من الإحياء ضد الإماتة ، والشهباء : مؤنث أشهب ، وهو الفرس الذي غلب عـليـه البيـاض ، والسـنة الشهبـاء عند العرب كناية عن السنة التي لا ما ء فيها ولا كلاء. والمراد بـإحيـائهـا إنبات النبات ، وأحداث نضارتها ، ففى هذا المقام مجاز واستعارة . وإما أن يكون فـي "أحيـت " استـعارة تبعية بأن شبة تزيين الأرض بإنبات النبات ، وإحداث نضارتها بالإياء فـي الإنتـفـا ع مـطـلـقـا ، ثم أستعير الأحياء لتزيين الأرض وإحداث نضارتها ، ثم اشتقت من الإحياء "احيت" ومن التزيين "زينت " ومن الإنبات "أنبتت " ، فذكر احيت وأريد "زينت" أو "أنبتت"، وإما أن يكون في السنة الشهباء استعارة بالكناية بأن شبه الشهباء في الذهن بالموتى في عدم الإنتفاع ، ثم أستعير الموتى في الذهن لمفهوم السنة الشهباء في الخارج ، ذكر السنة الشهبـاء وأريـد نـفسهـا ، ثـم أثبـت الإحيـاء الـذي هو من ملائم المشبه للسنة الشهباء ، فكان استعارة مكنية وتخييلية ، وعلى كلا التقديرين يكون إسناد أحيت إلى دعوته مجاز من إسناد الشيء إلى سببه ، إذ المحيي والمزيل في الحقيقة هو الله تعالى .(٣)

١- شرح البردة ونهج البردة للإمام البوصيري ــ حققه فتحى عثمان ،ص ١٠٤ .

٢- المرجع السابق، ص١١٦ .

٣- عصيدة الشهدة ، الشيخ الخربوتي ، ص ١٤٩ .

وبعد العرض اليسير ، فنعرف أن الدعوة أمر معنوى ، يشبهها الشاعر بشيئ مادى وهو الماء ويخرجها مخرج الإنبات والإحداث ويجعلها قابلة لإنشاء النبات اليابسة . والسنة الشهباء أمر معنوى يشبهها الشاعر بشيء مادى وهو الموتى أو الميت ، ويخرجها الشاعر مخرج الموت بما فيها منجدب وعدم النبات والزراعة ، ويجعلها قابلة للحياة الجديدة.

ويرسم لنا الدعوة بإحياء الموتى وإزالة الضلال والجهل والهلاك كإبعاث المياه الفلاة والأرض القاحطة .

وقد استخدم البوصيري ظاهرة التجسيد والتشخيص في الصور الفنية ، وأضفى الحياة على الجوامد في كثير من مظاهر الطبيعة التى تحدث عنها من خلال شعره .

واقرأ قول الشاعر فى تشخيص العارض :

بعارض جاد أو خلت البطاح بها سيل من اليم أو سيل من العرم (١)

العارض بمعنى السحاب ، وهو أمر مادى ، وصفة الجود تنسب عادة إلى الإنسان السخى ، والجود أمر معنوى ، وبدلالة الفعل " جاد " يحتمل أن الشاعر جعل العارض الإنسان الذي يعقل ويجود بجامع الخير والنفع بينهما .

واقرأ قول الشاعر :

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم من بعد غربتها موصولة الرحم

مكفولة أبداً منهم بخير أب وخير بعل فلم تيتم ولم تئم (٢)

يرسم الشاعر صورة ملة الإسلام بأنها أب للبشر أو بعل للزوجة ، يقوم بحقوقة للأبناء والأخوات والأقرباء كوصل الرحم والعناية بهم والإشفاق عليهم ودفاع عن شرفهم ومجدهم وحياتهم . والإسلام أمر معنوى ، يرسمه الشاعر بصورة الأب الكريم ، ويخرج المعنوى

١- العارض : السحاب الممطر ، البطاح : الأرض المنبسطة ، وقيل البطاح جمع ابطح وهو ميل الماء. العرم : الوادى ، قيل أن سيل المطر الشديد ، فإذا أضيفت للعرم كان معنى سيل العمر . راجع للتفصيل: شرح البردة فتحى عثمان ، ص ١١٦.

٢- الرحم : القرابة . لم تيتم : لم تصر يتيمة . لم تئم : لم أيما أي فاقد بعلها .راجع للتفسير شرح البردة فتحى عثمان ، ص ١٢٥.

بصورة الحسى ، ويضفى نوعا من التجسيد عليه .

واقرأ قول الشاعر :

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ماذا رأى منهم فى كل مصطدم(١)

يرسم الشاعر صورة الجيش الذي يقوده النبى عليه الصلاة والسلام بالجبال الشاهقة التى لم تزعزعها العاصفة ، وهي قوية ثابتة كعائق منيف قائم أمام الأعداء، تسد سبلهم وتستر أبصارهم ، وهم يعجزون عن الطلوع إليها ، والتجاوز عنها ، وهم أقوى الجيوش وأشدهم من حيث الحزم والإرادة والقوة والصبر والجلد والدأب .

يلاحظ أن الشاعر يجعل عاقلا غير العاقل بخلاف ما أتى به فى الأبيات السابقة ، يعنى جعل غيرالعاقل عاقلا . كلا الأسلوبين يؤدى بغاية واحدة في رسم الصورة وتجسيدها وإظهار المحسنات البلاغية .

واقرأ قول الشاعر :

راعت قلوب العدا أنباء بعثته كنبئة أجفلت غفلا من الغنم (٢)

أنباء بعثته : أمر معنوى ، ونبأة أي زأرة شيء محسوس ، ويضيف صوت الأسد ــ الزأرة ــ إلى الأنباء التي تشبه بأسد جائع غاضب يزأر في الأرض ، وتتردد زأرته في الآفاق، وتفزع كل واحد ممن سمعها .

فقد جسم الأنباء ، وأضفى عليها صفة التخويف والتفزيع كأنها من المشخصات الحية.

ومن تجسيداته قول الشاعر :

من كل منتدب لله محتسب يسطو بمستأصل للكفر مصطلم (٣)

والاستئصال يستخدم عادة في إقلاع الشجر بآلة ما، ويفهم بدلالة هذه الكلمة أن

١- مصدم : مكان الاصطدام أي ملتقى الجيش. انظر : المرجع السابق، ص ١٢٦.

٢- نبأة : زأرة . أجفلت : شردت ، أفزعت . انظر: المرجع السابق، ص١٢٤.

٣- منتدب : مجيب . يسطو : يصول . مصطلم : قاطع الشئ من أصله.

الشاعر يشبه الكفر بشجرة مستأصلة من الأرض ، بجامع الثبوت والاستقرار ، وعدم السهولة في إزالتها . والاستعارة مكنية . والكفر أمر معنوى ، والشجرة شيء مادى ، يرسم الشاعر صورة الكفر في إزاهقها بحق الإسلام بشجرة مستأصلة مع أصلها من الأرض بسيف قاطع .

ومن تشخيصاته الرائعة قول الشاعر :

تهدى إليك رياح النصر نشرهم   فتحسب الزهر في الأكمام كل كمى (١)

قال الشيخ الخربوتى : "تهدى إليك...... الخ ، تهدى من أهدى يهدى بمعنى توصل أو بمعنى إرسال الهدية ، وإليك متعلق بتهدى ، والخطاب لكل واحد، وجملة تهدى حال، ورياح بالرفع فاعل تهدى ،و هي جمع ريح ، والمراد من رياح النصر التأيدات بالنصر ، كما في قوله عليه السلام والصلاة : (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)(٢)، والمراد من الرياح الدولات (٣).

كما في قوله :

إذا هبت رياحك فاغتنمها   فعقبى كل عاصفة سكون (٤)

وإضافته إلى النصر بمعنى النصرة مجاز ذو رد ، وما النصر إلا من عندالله . ونشرهم بالنصب مفعول تهدى ، والضمير راجع إلى الصحابة ، والنشر في الحقيقة بمعنى الرائحة الطيبة ، والمراد هنا أخبارهم الطيبة ، وأنباؤهم العجيبة وففيه استعارة ومجاز . (٥)

قال الشيخ الباجورى : قوله (تهدى إليك) أى ترسل إليك الرياح التي حصل بها

١- أكمام: جمع كم ، وهو غلاف النور . الكمى : الشجاع في سلاحه ، من كمى الجسد بالسلاح ، إذ ستره به ، وأصله : كمى بتشديد الياء ، حذفت منه الياء الساكنة ، وسكنت المتحركة للوقف . انظر: شرح البردة للشيخ الباجوري ،حققه عبدالرحمن حسن، ص:١١٨ .

٢- انظر: صحيح البخاري : الحديث رقم : ٩٨٨، كتاب الاستسقاء .

– و صحيح مسلم : الحديث رقم : ٩٠٠ ، كتاب الصلاة الاستسقاء .

٣- عصيدة الشهدة ـ احمد الخربوتي ، ص٢٠٣ .

٤- المرجع السابق، ص٢٠٣ .

٥- المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

النصر خبرهم السار على وجه الهدية ، فتهدى بمعنى ترسل ، وهو بضم التاء من أهدى ، والمراد برياح النصر الرياح التى حصل بها النصر ، فالإضافة لأدنى ملابسة ، ويحتمل أن المراد بها بركات النصر ، وثمراته (١).

الفعل المضارع : تهدى ، تستعملها عادة في تقديم الهدية إلى غيره، وبهذه الدلالة يحتمل أن الشاعر يشبه الرياح بالإنسان الذي يقدم الهدية إلى غيره ، كما يشبه " نشرهم" بهدية ، والرياح غير عاقل ، يجعلها عاقلا ، ويخرجها مخرج التجسيم والتشخيص في تقديم الهدية ، و "نشر " أمر معنوى يجسمه الشاعر بهدية فيها خير ونعمة .

واقرأ قول الشاعر في ذكر مشهد آخر :

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا ... من شدة الحزم لا من شدة الحزم(٢)

يرسم الشاعر لنا صورة المحاربين راكبين خيولهم بنبت ربا ،و المحارب عاقل ، والنبت غير عاقل ، يشبه الشاعر العاقل بما ليس له عقل ، وهذا أيضا من الأساليب البلاغية ، وصورة المحاربين فوق ظهور الخيل مثل النبت الكبير الطويل أصله ثابت ، لا تكسر ولا تقع مهما تميله الرياح يمينا وشمالا ، أي كان الصحابة حال كونهم على ظهور الخيل ، وإنما يتحركون للطعن والارتقاء مع ثبوت أصلهم ، كما يتحرك نبت الربا إذا حركته الرياح .

ب- الصورة والحركة

لقد استطاع الشاعر أن يصور لنا صورا متحركة ولوحات متلونة حيوية ويوظف الحواس في صورة ولوحاته ، حتى يمكن أن نقول : أن صور الشاعر ولوحاته الفنية عبارة عن لوحات فنية ، يظهر من خلالها اللون والحركة والصوت والرائحة ، ومع أنه لا يمكن الفصل بين هذه الحواس في استخدامات الصور بمعنى أنه لا يمكن أن يفصل بالقول أن هذه صوره بصرية ، وهذه صورة سمعية ، لأن الصور وهي نتاج مجموع الحوس مشتركة ، لا مفردة ، إلا

١- شرح البردة للشيخ الباجوري ، حققه عبدالرحمن حسن، ص ١١٨.

٢- الربا: بضم الراء المشددة جمع ربوة : ما ارتفع من الأرض . الحَزم : الاستقرار . الحُزم : ما يربط بها السرج أو غيره. انظر: المرجع السابق ، ص ١١٨.

أننا يمكن أن نعتبر الصورة الحاسة التي تغلب عليها ذكرا .

فإذا غلب على صورة ما كثرت البصريات أو السمعيات أو المشمومات فإننا سنسميها صورة بصرية أو سمعية ، فالذي يحكم على الصورة من أي حاسة ، هو غلبة الحاسة المستخدمة.

فمن جهة الحركة ، وهي ظاهرة تعتمد على البصر ، نجد أن الشاعر يرسم ويصور حركات كثيرة ، منها حركة الذهن في الشجاعة أو في الجبن ، كما يصور حركة الجيش في القتال ، ويصف أيضا حركاة الأعداء في فرارهم من المعركة ، وكذلك يصور حركة السلاح في ضرب شديد وطعن كثير ، وهذه الظاهرة من الظواهر الفنية توجد في قصيدة الشاعر ، ومن تصويراته ما قال :

راعت قلوب العدا أنباء بعثته　　　كنبأة أجفلت غفلا من الغنم
مازال يلقاهم في كل معترك　　　حتى حكوا بالقنا أحماً على وضم
ودوا الفرار فكادوا يغبطون به　　　أشلاء سالت مع العقبان والرخم
تمضى الليالى ولا يدرون عدتها　　　مالم تكن من ليالى الأشهر الحرم
كأنما الدين ضيف حل ساحتهم　　　بكل قرم إلى لحم العدا قرم
يجر بحر خميس فوق سابحة　　　يرمى بموج من الأبطال ملتطم
من كل منتدب لله محتسب　　　يسطو بمستأصل للكفر مصطلم(١)

فالشاعر يصور حركات الأعداء من داخل أنفسهم وخارجها ، ترتجف قلوب الأعداء من هيبة جيش النبى الكريم الذى يقوده ، وترتعد أجسامهم ، وتتفرق أروحهم . وجيش المسلمين كأسد بين الأغنام ، وصراخهم كزمجرة الأسد ، وهي تزيل إرادتهم ، وتفزع قلوبهم ، وتجعلهم تاهين في طريقهم ،و غافلين عن أمورهم ، ومتجمدين في حركاتهم ، حيث يودون الفرار ، ولكنهم يعجزون عن السير والعدو ، وإقدامهم في غاية الضعف في

١- انظر : البيت رقم : ١١٨ــ ١٢٤.

المشئ ، مهما يعد يعثر في الأرض .

ويصور الشاعر الرسول عليه السلام يجر خيس أوجيشا ضخما ، كأنه بحر لكثرة عدده ، وهو بحر تحمله خيل عادة ، ولا يزال يقذف بأمواجه ملتطمة التي يزحم بعضها بعضا، وهي أمواج تكونت من عناصر فذة استجابت لدعوة الله ورسوله إلى الفضائل احتسابا بالوجه الدين الحنيف . وانتظارا للرضوان العظيم ، وإنها لتصول وتجول بالسيوف والرماح التى تستأصل الكفار ، وتقتطعهم من أصولهم .

والجيوش الذين يقودهم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كأمواج هائجة ، تبتلع كل سفينة تتحرك في البحر ، وتسقط كل جبل يسد طريقها ، وتحطم كل ضفة تمنع خروجها منها، وتسطو الأدواح بأمواج هائلة ، وتجرف الأرض التي تتلطخ بالكفر والشرك .

والدين كضيف راكبا خيله مقبلا إلى من يضيفه بلحم ولبن وطعام لذيذ ، ويحل ساحته ، وينزل من الهودج ، ويأكل ماينبغى عليه أن يأكل ويشرب ما ينبغى عليه أن يشرب . يعنى أسلحة المسلمين رماحهم وسيوفهم ، لا تحب أن تأكل أي لحم سوى أعداء أصحابها، وأن تشرب أى لبن سوى دماء الأعداء .

والضيف عادة يقدم له طعام لذيذ كلحم أو غيره من أطعمة طيبة ، ولكن لا يفضل الضيف هذا أي لحم سوى لحوم الكفار . وبعبارة أخرى الذين يخدمون الإسلام ويجاهدون في سبيله ، لإعلاء كلمة الحق ، لا يحاربون الكفار إلا أن يغلبوا عليهم ، ويقتلوهم ويهلكوهم برماحهم وسيوفهم ، فتصبح أبدانهم أطعمة لذيذة تأكلها السيوف والرماح .

كما يصور لنا الشاعر صورة في جراف الكفر من الكون الذي كان شجره يتشعب فيه ، ويستر نور الإسلام ، حيث يزيل النبى الكريم تراب الكفر بمجرفة الإيمان، ويسطو شجرة الكفر التى كانت جذورها ثابتة في عمق الأرض ، ويقددها بشمس الإسلام ، ويشعلها بجذوة الإيمان فتحترق ، فتصبح رمادا .

يرسم الشاعر في الأبيات التالية صورة الدمع والقلب والريح والبرق في جريه

واضطرامه وهبوبها وإيماضه ، ويقول :

أمــن تــذكـر جيـران بـذى سـلـم ... مـزجـت دمـعـاً جـرى مـن مقلة بدم
أم هبت الـريـح مـن تـلقاء كاظمة ... أوأومـض البـرق في الظلماء من إضم
فـمـا لـعـينيك إن قـلت اكففا همتا ... ومـا لـقـلبك إن قـلـت استـفق يهم
أيـحسـب الصب أن الحب منكتم ... مـا بيـن منسـجـم منـه ومـضطـرم
لـولا الهـوى لم ترق دمعا على طلل ... ولا أرقـت لـذكـر البـان والـعـلـم
فـكيف تـنـكـر حبـا بعدما شهدت ... بـه عـليك عـدول الـدمـع والسـقـم
وأثبـت الـوجـد خـطى عبرة وضنى ... مثـل البهـار عـلـى خديك والعنم (١)

١- انظر: البيت رقم : ١ــ ٧ .

- ذو سـلـم : جبـل لـطـيء شرقـى الـمدينة. كاظمة : اسم موضع بالمدينة . همتا : سالتا بالدمع . استـفـق : ارجـع إلـى رشـدك . يهـم : حالة الجزم من يهيم ، أي يتمادى في الهيام ، وهو جنون الـعشق .الـصـب :الـعـاشـق . المنسجم : الدمع السائل . المضطرم : المراد به الفؤاد الملتهب شـوقـا. تـرق: حـالة الـجـزم مـن تـريق ، اي تسكب . الطلل : ما بقى من آثار الديار . أرقت : أصـابك السهـر وعـدم الـنـوم. البان: شجر يسق ويطول في استواء مثل نبات الأثل ، واحدته بانه وهـو شـجر طيب الريح ويتخذ من دهن ، يعرف بدهن البان. العلم : الجبل والرمح . والمقصود ولا سهرت لذكر البان والعلم الكاينين بمحل المحبوبة . شاهد عدل: أي شاهد مرضى يقنع به.

- العبرة : البـكـاء . وقيـل العبرة الدمعة . الضنى : الضعف والهزال . البهار : البياض الذي يكون في لب الفرس . العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبع البنان المخضوب ، وقيل أن المراد مـن البهـار فـي البيـت ورد أصفر ، والمراد بالعنم ورد أحمر . انظر: شرح البردة فتحى عثمان ، ص ٩٨.

يـرسم الشاعر صورة العـاشـق الـذى تـجرى دموعه كساقية ، وهي ممزوجة بالدم ، ومسموع صوتها لشدة جـريهـا ، لأن الـريـح تهـب مـن تلقاء كاظمة التي يقطن فيها الجيران، وتـلامس وجهه بأيد خفية ، وتثير نيران الحنين . والبرق يومض في الظلماء من إضم يعيش فيه الأحبـاء ، ويـجـذب نـظـره وقـلبـه . ولـذا بـمـا يراه ويسمعه ويفكره ويشعر به من تلك الصور المذكورة فعينه لا يقتدر أن يكف من الدمع ، وقلبه لا يستطيع أن يستيقظ من الهيام والإغماء، وشـوقـه يـحـطـم حـصن مشاعره ، فدمعه لا يزال ينسجم وينهل ، وقلبه لا يزال يضطرم، وأثر العبرة يبقى على مآقيه ، والضنى يظهر على وجهه ، فكأن وجهه بهار ذابل ،و زهرة ذاوية.

والشاعر لا يعنى بتلك الأماكن المذكورة في الأبيات حجازية ولا نجدية ، إنما يعنى الـرسـول نـفسـه ، وحبه الذى أصبح محنة له ، فهو لا يستطيع خلاصا منه ، ولا إنصرافا عنه ، وإنـه ليبكى بكاء مرا ، وقلبه يحترق وجدا ، وهو غارق في هذا الحب العذرى الذى ملك على نـفسـه كـل أهـوائـه وعـواطفه وكل احساساته ومشاعره. وإنه ليرقى فى سلمه من درجة إلى درجة ، ولـكـن دون أن يـحـقـق مـا تـصبـو إليـه نفسه من الوصول ، إنما كل ما يحققه التوق والشـوق والحب العنيف الذى يندفع كالسيل ، ولا يقتدر كبحه . وكل ذلك ينثره الشاعر في غـزلـه ، وكأنما يريد أن يبث الرسول حبه في أقوى صورة من الوجد والحنين الظامئ الذي لا تخمد غلته أبدا .

يـحـقـق الشاعر النجاح في رسم صورة العاشق بتلك الصور التي نجدها في الأشطار السابقة ، من صورة جري الدمع ، وهبوب الريح ، وإيماض البرق ، وانسجام العبرة ، واضطرام الشعـور ، وأرق الـليـل ، وسقام الجسم ، وزهرة ذاوية . فنرى أمامنا العاشق الصادق ، شديد الشـجـون ، أليم الشعور ، باكى القلب ، شاحب الوجه ، مبحوح الصوت ، تتدفق الدموع من عينيه ، وتجرى على خديه ، ويبقى أثر العبرة على مآقيه ، ولون الدمع أكدر ، ممزوج بالدم ، والنفس متفجعة على عشق عميق ، والروح متوجعة من ألم شديد .

ومن تصوراته الجميلة ما قاله الشاعر :

كـأنــه وهـو فــرد فـي جلالتـه   فـي عسكر حين تلقاه وفي حشم(١)
يـا خيـر مـن يمم العافون ساحته   سعيـاً وفـوق مـتـون الأينق الرسم(٢)
سـريـت مـن حرم ليلاً إلى حرم   كما سرى البدر في داج من الظلم(٣)
كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا   مـن شدة الحزم لا من شدة الحزم (٤) (☆)

تدور فكرة البـوصيـري فـي الأبيـات حـول مـدح النبي صلى الله عليه وسلم بأنه جاء بشريعة سمحة ، ليس فيها فلسفة محيرة ، وأنه كان مهيب الطلعة ، وشخصيته سيطرت على عقيدة يـمـنـحهـم فـي الـحرب حزما وقوة ، فيخشاهم الأعداء ويفرون من وجههم ، وقد جاء الـرسـول بمعجزات عظمى ، منها الإسراء والمعراج ، تلك المعجزة التى حارت فيها العقول ، وصل فيها النبي عليه السلام إلى اقصى السماوات ،و هو أول من تخلص من جاذبية الأرض ، وطار به البراق ، وطلع أقصى الجوزاء ـــ سدرة المنتهى ، وطيرانه به أسرع من البرق ، اذ قطع مسـافة بـعيـدة غير محصية وغير معدودة في الوقت المحدد ـــ الليلة الواحدة . وفي الأبيات ، عـاطـفة قوية ، أثارت خيالا خصيبا ، كان من نتائجه الصور البيانية الرائعة ، وتلك التشبيهات الـجـميلة التي أكسبت المعنى قوة و وضوحا . أنظر إلى التشبيه في البيت الثالث ، حيث يشبه الـنبـي عـليه السلام وقد أسرى به ليلا من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام بـصورة البـدر ، وهـو يسيـر بسـرعة وسـط ذلك الـظلام الدامس ، ألا ترى أن هذا التشبيه مما يقوى المعنى ، وتؤكده، ويجعل هذه الصور لا تنقضى بظروفها ، ولكنها تبقى حية خالدة ، لا كـمـا تبـقـى الـوثـائـق التاريخية مقيدة في دور المحفوظات ، بل كأدب دائم للحياة دائم لهز

١- انظر : البيت رقم : ٥٦.   ٢- انظر : البيت رقم : ١٠٥.
٢- انظر : البيت رقم : ١٠٧.   ٤- انظر : البيت رقم: ١٣٣.
☆- حشـم : خـدم . يمم : يقصد . العافون : طلاب الفضل والرزق . ساحته : ناحيته . متون : جمع متـن ، وهـو الـظهـر . الأيـنـق : جـمع ناقة ، وفي هذا الجمع قلب مكانى . اذ أصلها أنيق ، فلما حـدث فيهـا الـقـلـب ، صارت الأينق . الرسم بضم الراء ، وهي التي تؤثر أخفافها في الأرض من شـدة الـوطء أو أن الـرسـم : التـي ترسم أي تعلمها . ربا : جمع ربوة ، وهي الأرض المرتفعة . الـحزم : بفتح الحاء وسكون الزاء ، ضبط الأمر والأخذفيه بالثقة. الحزم : بضم الحاء والزاء جمع حـزام ، وهـو مـا يشـد بـمسـرج الـفرس أو ما يشد به الوسط . انظر: شرح البردة فتحى عثمان ، ص١٠٩، ١٢١.

النفوس . يرسم الشاعر في هذه الأبيات عدة صور ، منها صورة الناس الذين يسعون إلى ساحة النبى لطلب الخير والمعونة ، وهم راكبون الأينق . ومنها صورة إسراء النبى كسرى البدر في داج من الظلم . ومنها صورة المجاهدين في ظهور الخيل كصورة نبت ربا ضرب جذوره في عمق الأرض ، أصله ثابت ، لم تزعزعه العاصفة .

ومن قوله الرائع ما يصور بطولة قائد الاسلام وجنده :

المصدرى البيض حمراً بعد ما وردت　　　من العدا كل مسود من اللمم (١)

والكاتبين بسمر الخط ما تركت　　　أقلامهم حرف جسم غير منعجم (٢)

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقاً　　　فما تفرق بين البهم والبهم (٣)(☆)

ويقول البوصيرى إن هولاء المجاهدين الأبرار كانوا لا يزالون يرجعون سيوفهم من رقاب الأعداء مكسوة بحمرة دماء هم ، أو بعبارة أدق يقول إنهم يوردون لمماً ، كأنها كالأسود ، ودماء مسفوكة ، ويصدرونها أو يرجعونها ، وقد تلطخت بحمرة شديدة ، مما ملأ قلوب الأعداء منهم فرقا و خوفا ، حتى أصبحوا من شدة فزعهم لا يفرقون بين النعاج والشجعان ، ولا بين الأشباح والفرسان . ويقول إن من ينصر الرسول ودينه الحنيف يبلغ من جرأته وشجاعته أن تخافه الأسد في آجامها ، وينزل بها وجوم وذهول ، فلا تستطيع الحركة فزعا ورعبا .

والشاعر بهذه الأبيات وما اتصل بها وشاكلها من وصف جهاد أصحاب رسول الله

١- انظر : البيت رقم : ١٢٩ .　　٢- انظر : البيت رقم : ١٣٠ .

٢- انظر : البيت رقم : ١٣٤ .

☆- البيض : السيوف . واصدارها . جذبها من اجساذ الأعداء . العدا: الاعداء . الخط : من معانيه مرفأ السفين بين البحرين ، وكانت تباع فيه الرماح، فسميت لذلك الرماح الخطية . والمراد بسمر الخط الرماح السمراء . حرف جسم : طرفه وأى ناحية فيه . منعجم : منقوط الدم . وقوله ما تركت أقلامهم حرف جسم غير منعجم : لم تترك أسنة رماحهم طرف جسم من أجسام الكنار غير نوال عجمته . بأسهم : شدتهم . فرقا : خوفا . البهم : بفتح الباء وسكون الحاء ، وهي السخلة البهم . وبضم الباء وفتح الهاء جمع بهمة ، وهو الشجاع الذي يستبهم مأثاه على أقرانه ، أي تختفى عليهم مقاتله . شرح البردة فتحى عثمان ، ص١٢٦ــ١٢٨ .

لأعداء الإسلام حتى استسلموا صاغرين ، إنما يريد أن يرفع ذلك شعارا أمام أعين الشباب في عصره ، كي يجاهدوا حملة الصليب الذين خرجوا من ديارهم لحرب الإسلام ، ويذيقهم بأسهم وينكلوهم بهم تنكيلا .

يرسم الشاعر صورة المحاربين في الأبيات السابقة ، حيث يشبههم بالكاتبين ، ويشبه سيوفهم ورماحهم بأقلامهم ، ويشيه أبدان الكفار بأوراق الكراسة ، ودماء هم بحبر حمراء تأكله أقلامهم ، ويكتبون على أجسادهم حروفا حمراء غير محصية وغير معدودة ، وكل حرف من الحروف جراحة من الجراحات . كما يشبه قلوبهم بالطير الذي هو أكثر جبانة لانه لو سمع صوتا أو صرخة لفر منه بسرعة مخافة من الضر والبأس.

واقرأ أبياتا طيبة جاء ذكرها في القصيدة :

وبات إيوان كسرى وهو منصدع كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم (١)

والنار خامدة الأنفاس من أسف عليه والنهر ساهي العين من سدم (٢)

كأن بالنار ما بالماء من بلل حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم (٣)

والجن تهتف والأنوار ساطعة والحق يظهر من معنى ومن كلم (٤)(☆)

يأتي الشاعر بصورة إيوان كسرى تزعزع زعزعة شديدة ، وينشق انشقاقا بينا، فيسقط على الأرض ، ويصبح طللا من الأطلال ، والإسلام مثل فأس قاطع يشق إيوان كسرى ، ويفرق شمل أصحابه ، ويدك حصنه بمطرق الحق ، ويكسر جداره ، ويسقط سقفه

١- انظر : البيت رقم : ٦١ . ٢- انظر : البيت رقم : ٦٢ .

٣- انظر : البيت رقم : ٦٤ . ٤- انظر : البيت رقم : ٦٥ .

☆- الإيوان: بيت مستطيل . كسرى : ملك الفرس . منصدع : متشقق . ملتئم : مجتمع .ساهي العين : ساكنها . سدم : هم أو غيظ مع الأحزان . ضرم : التهاب . تخيل الشاعر أن النار والماء لفرط حزنهما على ملك كسرى انعكس طبيعتهما ، فانقلب توهج النار بللا، وبلل الماء ضرما والتهابا. انظر: شرح البردة ـ فتحى عثمان ، ص١١١.

وقر ميده ، ويقطع عمده .

وقال الشيخ الباجوري : " والحال أنه منشق شقا بينا ، أشرف به على الهدم ، لا لخلل في بنائه ، بل ليكون آية من آياته صلى الله عليه وسلم ، ومع انصداعه سقط منه أربع عشرة شرفة من شرفاته ، وكانت اثنين وعشرين ، وقد روى أنه لما ارتج إيوان كسرى ، وسقط منه الأربع عشرة شرفه أحزنه ذلك ، فتوجه إلى النعمان ملك العرب يستفسره عن سر ما بدا ، فرفع النعمان الخبر إلى سطيح ، وقد أشر على الضريح وهو القبر فقال : "يكون سبى وسبايات، ويموت ملوك وملكات بعدد الشرفات ، ثم قضى على سطيح ".(١)

ويصور أيضا صورة النار الخامدة التى كانت تضطرم ، حيث يشبه النار الملتهبة بالنفس الإنسانى ، ولهب النار يتحرك في حين أن تكون النار قوية ، وحركتها أكثر وضوحا في الليل ، ونفس الإنسان فيه حركة أيضا في حين أن يتنفس الإنسان ، ويرى ما يلفظ به من هواء النفس ، وفي الشتاء يكون أكثر وضوحا .

والنهر ضل الطريق ،وتاه في الصحرا: وكأنه رجل فقدت حبيبته ، وانتهى دمعه لبكاء شديد ، و وقع في سدوم بالغة ، وأصابته آلام كثيرة ، وأغمته الشجون ، وأضناه أرق الليل ، وأحزنه الضنى ، وأسقمته الغموم والهموم ، وهام في البادية بلا إرادة كأنه ميت .

ويشبه الشاعر النهر بعين التى كانت من صفاتها أن لا تكف من الجري والتدفق ، والعين في حين أن يتدفق كالماء الغليان وتحته نار ، ولكن هذا النهر وقف من الجري لما اصابه من أسف شديد ، ثبت ماؤه في مكانه ، وفسد .

قال الإمام الشافعي في ديوانه :

إنـى رأيت وقوف الماء يفسده　　　　إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب (٢)

وفي الحقيقة أن الشاعر أراد بذكر اللازم الملزوم ، يعنى أراد بذكر النهر الناس الذين قطنوا في سواحله .

١- شرح البردة ـ الباجوري ،ص٦٣ . عبدالرحمن حسن.

٢- ديوان الإمام الشافعي ـ إعداد: محمد إبراهيم سليم ـص٢٦ .

ورمـز بتلك الصورة إلى انتهاء حياتهم في عبادة النار والوثن ، لأن الرسول عليه السلام أتى بالدين الجديد الذي فيه حياة جديدة . وزهق الباطل والبدعة مع مجيئ الحق .

والنار من صفاتها أن تكون حرارة مضطرمة ، والماء من صفاتها أن يكون باردا هادئا ، وتبادلت صفاتهما لأجل ميلاد النبي عليه الصلاة ، وبادت النار باردة خامدة هادئة، وبات الماء سـاخنـا غـليـانـا، وتبـخـر ، فـغاض ماء بحيرة ساوة ، وأشار الشاعر بهذه الأبيات إلى أن نار الـمجـوس خمدت ، والمجوس ذهبت طموحه وآماله مع خمود النار التى كان يعبدها طوال ألف سنة ، وذهبت حياتهم مع غور الماء .

والـجن يهتف فرحا في أفاق السماء تحية لميلاد النبي عليه السلام ، والعالم بنور النبي عـليـه السـلام مـلـيئ بـالأنـوار الساطعة ، سماؤه مشرقة ، وأرضه منورة ، وجبالة مطرزة بعمم النبات ، ومروجه مدبجة بالزهور ، وأدواحه تصفق في الريح بغصونها .

ويـرسم الشاعر في قصيدته مشهد آخر وهو فرار الشياطين من شهب يرجمهم بها، وفيه صور بيانية ، ولوحات ملونة ، وحركات ملموسة ، وتصاوير سلمانية .

اقرأ أبياتا رائعة قرضها البوصيري :

وبـعـد مـا عاينوا في الأفق من شهب ... مـنـقـضة وفـق ما في الأرض من صنم
حتـى غـدا عـن طـريق الوحى منهزم ... مـن الشيـاطـين يـقـفـو إثـر مـنـهـزم
كـأنهـم هـربـا أبـطـال أبـرهـة ... أو عسـكـر بـالحصى من راحيته رمى
نبـذاً بـه بـعـد تسبيح ببـطـنهـا ... نبـذ الـمسبح مـن أحشـاء ملتقم (١) (☆)

١- انظر : البيت رقم : ٦٩ ــ ٧١.

☆- وفـق : أي الـموافقة أو المماثلة ، والمقصود من هذه الكلمة الموافقة في سقوطها لسقوط الأصنام في الأرض. أبـرهة : كـان مـلك لـليمن من قبل نجاشي الحبشة قبل البعثة ، أراد هدم الكعبة فأهلكه الله وجيشـه بـطـير يطير ألقت عليهم حجارة ، وقصته مذكورة في القرآن الكريم في سورة الفيل. نبذا به : أي رميـا ، بـه أي بـالحصى . المسبح : يراد به يونس عليه السلام ، إذ قال : "لا إله إلا أنت سبحانك إنـى كـنت من الظالمين". فنبذه الحوت الذي كان قد التقمه من أحشائه ، والمعنى أن معجزة محمد أو آيتـه هي نجاته صلى الله عليه وسلم من قومه إذ بينوا قتله ، وذلك برميهم بالحصى بعد تسبيحها في راحتيه وحجب الله له عن أبصارهم. راجع للتفصيل: شرح البردة فتحى عثمان ، ص ١١١.

يصور الشاعر حركة الشهب التى تسقط سريعه من الأفق ، وترجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع من السماوات ، كأنها رصاصات تطلقها من الرشاشة ، ولا يتركهم أحدا حيا ، وكانوا يقعدون مقاعد السمع قريبة من السماء بحيث يسمعون صريف الأقلام التى تكتب ما يقع في العالم ، ولما بعث النبي عليه السلام منعوا من ذلك بانقضاء الشهب عليهم بكثرة ، كما قال الله تعالى حكاية عنهم : " وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً"(١) لا مناص ولا لأوثانهم ، وأصنام الدنيا في ذلك اليوم منكوسة ، والشياطين منهزمون من الصعود إلى السماء ، وقانطون من استراق السمع ، والشهب تتبعهم من حيث يهربون ، كما تتبع أصحاب أبرهة الحجارة التي ترميهم بها طير أبابيل ، ومع كل طير ثلاثة أحجار ، حجر في منقاره ، والآخران في رجليه ، فذهبوا هاربين يتساقطون بكل طريق ، وكان الحجر يصيب رأس الرجل ، فيخرج من دبره ومن أسفل ركوبه ، وإلى هذه القصة أشار سبحان وتعالى بقوله: "﴿ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ .(٢) والحصى في راحتيه كأنه ذوعقل ، يطيع صاحبه في حين أن يأمره بقتل الأعداء بعد أن يسبح الله ، وهو كرصاص مطلق يصيب من يريده . (٣)

ويأتي البوصيري صورة أخرى ، يصور فيها خروج يونس عليه السلام من أحشاء الحوت ، حيث نبذه الحوت بالعراء ، بعد تسبيح الله تعالى ، وجاء ذكره في القرآن : " فالتقمه الحوت وهو مليم " (٤)

"فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظلمين " (٥)
والظلمات: بطن الحوت وظلمة البحر ، وظلمة الليل .(٦)

١- سورة الجن ، الآية ٩.
٢- سورة الفيل ،الآية ١ .
٣- شرح البردة ـ الباجوري ، حققه عبدالرحمن حسن محمود ، ص ٧٠.
٤- سورة الصافات ، الآية ١٤٣ .
٥- سورة الأنبياء ، الآية .
٦- البردة ــ الإمام البوصيري ،حققها عبدالرحمن حسن محمود، ص ٨١.

وفي كلام الشاعر صور بيانية ، حيث يشبه الشياطين في حال هربهم من الشهب المنقضة عليهم بإبطال أبرهة هاربين من الحجارة ، أو بالعسكر الذي يهرب من الحصى رماه النبى الكريم من راحتيه الشريفتين .

ويصور البوصيري حركة الشجر في المشي والكتابة ، واستمع إلى أقوال رائعة في البردة حيث يقول :

جاء ت لدعوته الأشجار ساجدة　　　تمشى إليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطراً لما كتبت　　　فروعها من بديع الخط باللقم (١) (☆)

والشجرة كإنسان يسمع ويفهم ما يراد به من أمر أو نهى ، وبدأت أن تجذب قوتها بعد وصول أمر النبي إليه ، ومالت عن اليمين والشمال ، وبين الأمام والخلف ، كأنها تتحرك لتسخين جسدها وأشلاء ها ، كي يقلع جذورها من عمق الأرض ، ونجحت في محاولتها ، وخرجت من الأرض بعد انشقاق الأرض ، وجاء ت إلى النبي عليه السلام تركع له وتسلم عليه .

روى أن أعرابيا سأل النبى عليه السلام آية ، فقال له :

"قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك ، فمالت عن يمينها وشمالها ، وبين يديها وخلفها ، حتى قطعت عروقها ، ثم جاء ت تجر عروقها في الأرض ، فوقفت بين يديه ، وقالت: السلام عليك يا رسول الله . قال الأعرابى : مرها فليرجع إلى منبتها ، فأمرها فرجعت ، ودلت عروقها في منبتها ، فاستوت فيه "(٢).

١- انظر : البيت رقم : ٧٢ ــ٧٣.

☆- اللقم : وسط الطريق . وهنا تشبيه لم تركه سعيها من الآثار وسط الطريق بالكتابة . القصة بطولها وريتها في كتاب "الشفاء" للقاضي عياض رحمه الله تعالى في فصل المعجزات. انظر :شرح البردة ـ فتحى عثمان ، ص ١١٣ .

٢- القصة بطولها وريتها في كتاب "الشفاء" للقاضي عياض رحمه الله تعالى في فصل المعجزات.

ويشبه الشاعر الشجرة بخطاطة أو كاتبة تكتب في الطريق خطوطا جميلة ، وسطورا بديعية بفروعها تشبه بأقلام .

وفي القصيدة صورة أخرى يأتى بها البوصيرى ، استمع إلى شعره حيث يصور القرآن الكريم في رد دعوى معارضه :

ردت بلاغتها دعوى معارضها   رد الغيور يد الجانى عن الحرم

لها معان كموج البحر في مدد   وفوق جوهره في الحسن والقيم (١) (☆)

يرسم الشاعر صورة القرآن الشريف في بلاغته ورد معارضه مثل رد الغيور يد الجانى عن الحرم ، ويشبه القرآن بالإنسان الذى يقتضى أن يدافع عن زوجته وأخته ، ويرد ويدفع يد الجانى عنها بكونه غيورا . ويصور معانى الآيات بأنها كموج البحر المضطرب ، لا نهاية لها، بل يمد بعضها بعضا ، إذ ما من موجة إلا وبعدها موجة .

ويجسم الشاعر الآيات في كثرة معانيها وعلومها وعجائبها وأسرارها بصورة البحر المضطرب الشاسع ، وعبابه هائل يلمس العنان ، وصحفته ممتدة إلى مكان لا يرى ولا يدرى، وكلمات الآيات وحروفها كمياه البحر ، وسطورها وجملها وألحانها كموجه ، وما تضمنه الآيات من أمثال قيمة ، وحكم نفيسة ، ومعان عميقة ، وأسرار عجيبة، وبدائع غريبة، وأساليب مستحسنة ، وعجائب مستكملة ، كلؤلؤ وجوهر في بطن البحر لا يعرف عدده .

والبلاغة في اللغة ما ينبئ عن الوصول والانتهاء . وفي الاصطلاح البلاغية في كلام مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته ، وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ .

أما ما وقع لمسيلمة الكذاب ، حيث عارض القرآن لما ادعى النبوة ، وأراد أن يأتى بقرآن يشبه القرآن ، فقال في سورة النازعات :

١- انظر البيت رقم : ٩٦- ٩٧.

☆- معارضها : الذين يحاول الإتيان بمثلها . الحرم : بضم الحاء والراء ، معناه هنا ما يحميه الرجل ويقاتل دون ، جمع حريم وهو أهل الرجل ، أي زوجته وأولاده . المدد : من البحر أو الموج ، ارتفاعه وامتداده الى البر. انظر: شرح البردة فتحى عثمان ، ص:١١٩.

" والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا" فافتضح لا بارك الله فيه .
والبلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال ، مع الفصاحة التى هى الخلو من الحشو والتعقيد والغرابة.(١)

والقرآن ليس من جنس مقدور البشر ، وهو قول الجمهور ، ومن العلماء من يميل إلى رأى " الصرفة " ، وهو أدخل في الإعجاز ، يعنى إنه من جنس مقدورهم ، ولكن الله تعالى صرفهم عن الإتيان بمثله، ولذلك يسمى بقول الصرفة ، وهو أدخل في الإعجاز ، لأن عجزهم عما هو من جنس مقدورهم ، أدخل في قيام الحجة عليهم من عجزهم عما هو ليس من جنس مقدورهم، لكن يلزم عليه أن إعجاز القرآن ليس بسيفه ، بل بالصرفة ".

ومن المحسنات البيانية :

ما يقوله الشاعر في ختام القصيدة :

وأذن لسحب صلاة منك دائمة   على النبى بمنهل ومنسجم
ما رنحت عذبات البان ريح صبا   وأطرب العيس حادى العيس بالنغم (٢) (☆)

يصور الشاعر في الأبيات السابقة صورة السحاب المتموج المنهل مطره المنسجم مطره ، يسقى أرضا ماحلة ، ويروى حقولا يابسة ، ويبعث نباتات ميتة، وفي السحاب كرم وجود وبركة ، وهذه الصفات الطيبة نجدها أيضا في الصلاة ، ولذا يأتى الشاعر بالتشبيه بينهما . ومن يصلى على الله تعالى ويشيد برسوله فله أجر غير مقطوع ، وبركة كثيرة ، ورحمة كبيرة، وثواب متتال . كما يصور حركة البان الذي ترنح في الريح فرحا يمينا وشمالا ، وتصطفق عذباته في النسيم ، وينشد حادى العيس في البادية الرحيب ، وهو ندى الحلق ، طل الصوت ، طويل النفس، مصيب للحن ،

١- البردة ـ الإمام البوصيري ، حققها عبدالرحمن حسن محمود، ص : ٩٣.
٢- انظر: البيت رقم : ١٥٩ـ ١٦٠.
☆- رنحت: أملت . عذبات : جمع عذابة ، وهي الغصن . البان : شجر سبق شرحه صبا : ريح . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفيفة ، والنغم : التطريب فيا لغناء.انظر: شرح البردة فتحى عثمان ، ص١٣٥.

كأن نشيده ساقية تجرى في الصحراء ، يجذب القلوب ، وتقر به العيون ، وتثلج الصدور ، حتى العيس يطرب أيضا بنغمه الحسن ، كأنه ذو عقل يفهم ويدرك جمال الغنم ، قيل لإبل خاصية عظيمة فى حصول الطرب لها عند سماع صوت الحادى ، كلما كان صوت أحسن كان طربها أكثر ، حتى إنها لتقطع المسافة الطويلة في الزمن القليل ، بسبب ما يحصل لها من النشاط عند سماع الصوت الحسن.

قال الإمام الباجورى : " ولا يخفى أن الترنيح والاضطراب المذكورين ، لا ينقطعان ما بقيت الدنيا ، فلذلك أقيمت الصلاة (١) بهما ، ويحتمل أنه أراد بذلك التأبيد ، فكأنه قال دائما وأبدا ، وإنما ذكر البان والعيس لأنهما من مألوفات الأحبة ، وتخصيص ريح الصبا أظهر من ذلك، لأنها تصبو إلى باب الكعبة التي هي أعظم مكان في البلد الذي هو مسقط رأس حبيبه عليه السلام . "وقال بعضهم : " يحتمل أنه أشار بالعذبات إلى عذبة النبى عليه الصلاة والسلام لتمايلها تمايله عليه السلام عند سماعه المديح ، وأشار بالبان إلى ذاته الشريفة لطيب رائحتها ، كطيب رائحة البان ، بل أعظم ، وأشار بالعيس إلى أمته لطربهم عند سماع المديح ، كطرب العيس عند سماع صوت الحادى ، وأشار بالنغم إلى المديح .

وحاصل المعنى على هذا ما تمايلت عذبة النبى عليه السلام عند سماع المديح ، وأطرب المادح أمته بمديحه عليه السلام ، وفي هذا البيت والذي قبله براعة الختام ، وتسمى حسن المقطع وحسن الخاتمة ، وهي في الشعر عبارة عن ختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه ، لأنه أخر ما يبقى الأسماع ، وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به (٢).

١- الترنح :التمايل يمينا وشمالا . والمطلوب من المؤذن أن يتمايل يمينا وشمالا مع بقاء صدره متجها إلى الكعبة المشرفة . والتطريب : الحركة والشوق . فقوله : "لذلك أقيمت الصلاة بهما"، أي عند إقامة الصلاة يلتقت المقيم يمينا وشمالا مع الحركة والشوق . والله أعلم .

١- شرح البردة - الشيخ الباجورى ، ص ١٣٨ .

جـ- الصورة واللون :

ومن الصور الفنية التي يبرزها الشاعر من خلال القصيدة أنه لا يخلو عن استخدام الألوان المختلفة حيث يحقق بها الشاعر النجاح في تصوير الإنسان أو الحادث وفي رسم صورته ،سواء كان من ناحية ظاهره أو من داخله ، وفي تجسيم الأمور المعنوية ، وفي تشخيص الجوامد .

وفي تحقيق تلك الغاية استعان الشاعر بالصور الفنية بينها صورة وحركة ولون وصوت وغير ذلك ، وفي توظيف معظم الألوان في القصيدة ، سواء كان مفردة أو تركيبية . فالورود والزهور والأشهب والبهار (١) والعنم (٢) والحم(٣) والأدهم (٤) والأحمر والأخضر والأسود إلى غير ذلك من الألوان ، تظهر من خلال تصويراته الكثيرة مشوبة بعضها ببعض في تناسق أو مفردة حسب ما يتطلب الوضع في الصورة .

فمن استخداماته للألوان قوله في تصوير العاشق :

أمن تذكر جيران بذى سلم ... مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم (٥)

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة ... وأومض البرق في الظلماء من إضم (٦)

وأثبت الوجد على خطى غبرة وضنى ... مثل البهار على خديك والعنم (٧)

يرسم الشاعر أمامنا صورة العاشق الصادق الذي تجرى دموعه كساقية وهي ممزوجة بالدم ، ومسموع صوتها ، والماء إن يجر بقوة يخرج منه الصوت ، وحالة الماء حالة الدمع على سبيل المبالغة . وما يهمنا هنا هو "الدم " الذي لونه أحمر بطبيعة الحال، يعنى احمرت دموعه ومقلته وعينه . ويشير بهذا إلى المحب الذى لديه مشاعر صادقة وعواطف رقيقة وأحاسيس جياشة ، لا يقتدر أن يكبح تلك المشاعر المتلهفة ، وإنما ترك الدمع جاريا هو

١- البهار : ورد أصفر ، المرجع السابق ، ص١٦ .

٢- المرجع السابق ، ص١٦ .العنم : شجر له أغصان حمر ، وقيل ورد أحمر .

٣- المرجع السابق ، ص٩٧ .الحمم : جمع حمة بمعنى فحمة.

٤- المرجع السابق ، ص٨٤ .الدهم : جمع أدهم . وهو الأسود.

٥- انظر : البيت رقم : ١ .

٦- انظر : البيت رقم : ٢ .

٧- انظر : البيت رقم : ٧.

الطريقة الفريدة التى تعينه على تخفيف تلك الآلام والشجون .

وقوله " أو مض البرق في الظلماء من إضم " ، أو مض بمعنى لمع ، ولونه أبيض بطبيعة الحال ، نور قوى يظهر بسرعة ويذهب بسرعة ، والظلماء تشير إلى السودا ء في الليل ، وهي تقابل "إيماض" . ويشير الشاعر بذكر هذا البيت إلى أن المحب يأرق في الليل ، يفكر دائما في محاسن محبوبه ، إذا أو مض البرق تخيل أنه رأى المعشوق ، لأن من عاد المحبين أن يرتاحوا للبرق اذ لمع من جهة ديار الأحبة بكون البرق مما يذكر صفات المحبوبين للطافته ، وأيضا المحب يتخيل عند لمعان البرق أنه يرى ديا رالمحبوب .

يستخدم الشاعر ألوان الورود ليصف بها وجه المحب في حالة جري الدمع وضنى النفس ، كما جاء في قوله :" وأثبت الوجد الخ " ، والبهار ورد أصفر ، وأثر الضنى صفرة الوجه، فأثر الضنى مثل البهار في الصفرة . والعنم شجر له أغصان حمر ، وقيل ورد أحمر، والخطان أحمران لامتزاج الدم بالدمع ، فالخطان من العبر مثل العنم في الحمرة .

يرسم الشاعر أمامنا صورة المحب الحية بالألوان المختلفة التي نجدها في الكلمات من خلال شعره ، نجد الصفرة والشحب في الضنى ، والأحمر والكدرة في العنم والعبرة على سبيل المثال .

ومن الصور التى يبرز من خلالها استخدام الألوان قوله :

وأحيت السنة الشهباء دعوته حتى حكت غرة في الأعصر الدهم (١)

والشهباء مؤنث أشهب ، وهي التي يغلب بياضها على سوادها ، والشهباء يطلق عادة على الفرس الشهباء ، ويصف الشاعر بالشهباء السنة ، وذلك يشير إلى أن تلك السنة قليلة المطر، وعدم النبات ، وإنما أشبتهتها لغلبة بياض الأرض فيها لعدم المزروعات على سوادها بالمزروعات .

ومن الكلمة " أحيت " يدرك أن الشاعر يشبه السنة الشهباء بإنسان ميت ، تشبيها

١- انظر : البيت رقم : ٨٦.

مضمرا في النفس ، حذف لفظ المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإحياء . وهي استعارة بالكناية والتخييل .

والغـــرة جمع غرر ، وهي بياض في جبين الحصان ، وهي جميلة تزيز رأس الفرس، كأنها زهرة تزهر في جبين الحصان . ويرمز بغرة إلى جوهر الشيء وأفضله .

أما قوله " في الأعصر الدهم " ، فالأعصر جمع عصر ، وهو الزمن والدهم جمع أدهم يطلق عـــادة على الفرس السوداء ، ويصف الشاعر هنا بها الأعصر ، وذلك يرجع إلى سواد الأرض بالزرع والنبات والشجر ، شديدة الخضرة ، حتى كأنها غرة في تلك الأعصر .

بعد العرض اليسير يظهر بوضوح أن كل من الألوان المذكورة في الكلمات المذكورة تؤدى بمعنى خاص في القصيدة ، لا تحل محلها كلمات أخرى ، ويرمز به إلى الصورة الحيوية في تجسيم المعنويات و تشخيص الجوامد .

ومن استخداماته للألوان قوله :

كـأنهـا الحوض تبيض الوجوه بـه　　　من العصاة وقد جاء و ه كالحمم (١)

قوله "كأنها الحوض الخ " أي كان الآيات المذكورة ماء الحوض الخ ، ففيه مجاز بالحذف ، أو أنه عبر بالاسم المحل وأراد الحال به ، فيكون فيه مجاز مرسل ، وجملة قوله "تبيض" الخ حال من الحوض ، على حذف المضاف السابق ، أو بمعنى "إنما " على ما علمت ، وقوله "الوجوه " أي ذو الوجوه ، فهو على تقدير المضاف ، أو أنه عبر بالوجوه عن الذوات ، من باب التعبير باسم الجزء وإرادة الكل ، وقوله " به " أي بالحوض ، وقوله "من العصـــاة " أي حال كونهم بعض العصاة ، فمن للتبعيض ، ويحتمل أنها بيانية ، وقوله "وقد جاء وه " الخ ، أي والحال أنهم قد جاء وه الخ ، فالواو للحال ، وضمير الفاعل راجع للعصاة ، وضمير المفعول راجع للحوض ، وقوله " كالحمم " أي حال كونهم كالحمم بضم الحا المهمل ، وفتح الميم الأولى : أي مثل الفحم ، فالحمم جمع حمة بمعنى فحمة ، ووجه

١- انظر : البيت رقم : ١٠١.

تشبيهها بالحوض المذكور أن الآيات تشفع في تاليها وقد جاء مسود الوجه من المعاصى ، فيبيض وجهه بشفاعتها ، كما أن الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يصب عليهم منه بعد مجيئهم من النار كالفحم في السواد الذي أصابهم من النار ، فيعودون بيضا كالقراطيس ، ثم يدخلون الجنة . ومراده بالحوض "نهر الحياة" لأن تلك صفته ،لما في الخبر من اغتسال أهل الجهنم في بحر الحياة ، في خبر الصحيحين : "فيخرجون منها (أي من النار) فيلقون في ماء الحياة" وفي روية " فيصب عليهم ماء الحياة " وفي هذا البيت التلميح للخبر السابق .(١)

بعد العرض اليسير يظهر بوضوح أن الشاعر يرسم أمامنا الصورتين باللونين ، أحدهما أبيض والأخر أسود ، يعنى وجوه بيضاء منورة ـ وجوه المطيعين ـ ووجوه سوداء كالحمم ـ وجوه العصاة ، ويشير بالصورة الأولى إلى أن الآيات القرآنية كمياه الحوض تنظف ملابسهم، وتطهر وجوههم وأبدانهم وتزكى أرواحهم . وبالصورة الثانية إلى العصاة الذين كانوا كثرة الآثام وكبيرة الذنوب ، وتلك الآثام تلطخ وجوههم وأجسادهم وتوسخ أرواحهم ، إلا أن الله غفار الذنوب ، ستار العيوب ، قابل التوبة ، يغفر لكلّ من الذنوب بتوبة عبده وشفاعة رسول الله تعالى صغيرة أوكبيرة .

أجل! إن الآيات الشريفة نهر الحياة يسقى الحقول ، ويبعث الفلاة ، ويحيى القلوب ، ويطهر الوجوه والأبدان ، ويزكى النفوس ، ويرقى الأرواح .

ومن الصور التى يبرز من خلالها استخدام الألوان قوله :

المصدرى البيض حمراً بعد ماوردت   من العدا كل مسود من اللمم

والكاتبين بسمر الخط ما تركت   أقلامهم حرف جسم غير منعجم (٢)

قوله " المصدرى البيض " الخ أي أمدح مصدرى البيض ، فهو مفعول لفعل محذوف وأصله : المصدرين ، لكن حذفت نونه للإضافة إن جعلنا المصدرى مضافا للبيض ، أو

١- شرح البردة ـ الباجوري ، حققه عبدالرحمن حسن، ص ٩٧ .

٢- انظر : البيت رقم : ١٢٩-١٣٠ .

للتخفيف إن جعلناه غيره مضاف ، والمصدرين جمع مصدر بضم الميم ،من أصدر عن الماء: رجع ، ويقال: أصدره أي أرجعه ، والمراد من البيض السيوف المصقولة ، فشبه السيوف المذكورة بإبل بيض ، أوردت ينبوع أسود يجرى بماء أحمر ، ثم أصدرت عنه حمراء من تلبسه بالماء الذى وردته ، تشبيها مضمرا في النفس ، وطوى لفظ المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإصدار ، ففيه إستعارة بالكناية وتخييل ، وقوله "حمرا" أي من الدماء التي خالطتها ، وهو حال من البيض ، وقوله "بعد ما وردت " أي بعد ورودها ، فما مصدرية ، وقوله "من العدا " حال من قوله "كل مسود " الواقع مفعول لقوله وردت ، وقوله " من اللمم " أي الشعر المجاور شحمة الأذن ، فاللمم بكسر اللام وجمع لمة وهو الشعر المذكور (١).

بعد العرض اليسير يظهر بوضوح أن الشاعر إستخدم الألوان في رسم صورة المحاربين الشجعان ، مثل البيض والحمر والورد والمسود والسمر ، وأشار بالبيض إلى السيوف المصقولة الامعة البيضاء ، فأصبحت حمراء لكثرة الضرب والقتل والطعن ، وهؤلاء المجاهدين الأبرار لايزالون يرجعون سيوفهم من رقاب الأعداء مكسوة بحمرة دماء هم ، أو بعبارة أخرى إنهم يوردون لمما ، كأنها كلأ أسود ، ودماء مسفوكة ، ويصدرونها أو يرجعونها ، وقد تلطخت بحمرة شديدة .

وبحمر بعد ما وردت أشار إلى إرجاع السيوف البيض حال كونها حمراء من الدماء بعد ورودها كل شخص مسود اللمم حال كونهم من العدا . وأشار بمسود اللمم إلى شجاعة الصحابة الذين لا يرضون إلا بقتل سود اللمم من العداء، وهم الشبان في الغالب . وأشار بسمر الخط إلى الرماح الخطية ، يراد بها الرماح السمراء .

١- شرح البردة ـ الباجوري ، حققه عبدالرحمن حسن محمود ، ص: ١١٦ ..

د ــ الصورة والصوت

لا يخلو الشاعر عن استخدام الصوت في المجالات المختلفة ، فهو إما يعرب عن البهجة والطرب ، وإما يعرب عن السدم والألم ، ويعر ب أيضا عن الغيظ في بعض الأحيان ، وفي طريق ما يعرب عن القنط والشؤم ، وفي الأخرى يعرب عن الفأل واليمن بالإضافة إلى أنه قد استعمل للتعبير عن الحسن والجمال والحب إلى غير ذلك من التعبيرات التي تتناول اللغة الصوتية من خلال والكلمات .

فقد أتى الشاعر في القصيدة بالظواهر الصوتية التى تمثل الصور الفنية ، ورسم بها تلك الصور الجميلة رسما مناسبا دقيقا ، وعبر من خلال أصواتها عن مكونات وظواهر تفتقر إليها الصورة . ومن تلك الأصوات من صورها الفرح والبكاء والغضب والنشج إلى غير ذلك.

اقرأ قول الشاعر في رسم الصورة بصوت الجن :

والجن تهتف والأنوار ساطعة   والحق يظهر من معنى ومن كلم (١)

والكلمة "تهتف" بمعنى تصيح ، والإنسان أو الجن عادة لا يهتف إلا أنه غمرته شدة الفرح والسرور في حين لا يقتدر على كبح مشاعره الجياشة التي تضطرب في النفس كعباب البحر ، وفي هذه الحالة لا بد له من صياح أو إنشاد كى يترك تلك المشاعر المتموجة ان تخرج من قلبه ، وإلا سينفجر قلبه وجسده ، كحالة العجلة التى تنفجر إذا تجاوز ضغط الهواء ما لا تتحمله العجلة .

لماذا تهتف الجن ؟ لأن سرها كثيرا ميلاد النبى عليه السلام وأفرحها نبوته ورسالته . قال الخربوتى " تهتف " أي تصيح وتصوت وتتكلم بولادته عليه السلام ، إذ روى في الهواء وأرجاء مكة تسمع أصوات الجن يبشرون بولادة النبي عليه السلام ، وفي المواهب مر في

١- انظر : البيت رقم : ٦٥ .

ذلك الوقت جن المشرق إلى المغرب والمغرب إلى المشرق ، يبشرون بولادته عليه السلام(١)

قوله " والجن تهتف " الخ أي وصارت الجن تهتف في الجبال والأودية ، فمن ذلك ما جاء أنه حين ولد النبي عليه السلام هتف هاتف على الحجون (٢) وهو ينشد ويقول :

فأقسم ما أنثى من الناس انجبت ولا ولدت أنثى من الناس واحدة

كما ولدت زهرية(٣) ذات مفخر مجذبة لؤم القبائل ماجده (٤)

ومنها أن هاتف سواد بن قارب أنشده أبياتا ثلاث ليال فيها الجن على المجيء لرسول الله، والإيمان به وعظيم مدحه . والجن أولاد إبليس كما أن البشر أولاد آدم عليه السلام ، وقيل: الجن أولاد الجان ، فإبليس أبو الشياطين ، والجان أبو الجن ، والقول الأول أقوى ،(٥) والهتف : قيل الصوت مطلقا ، وقيل الصوت الخفى (٦)

واستمع إلى قول الشاعر في رسم الصورة بالنداء :

يا خير من يمم العافون ساحته سعيا وفوق متون الأينق الرسم (٧)

١- عصيدة الشهدة - الخربوتي ، ص١١٩ .

٢- شرح البردة ـ الباجوري ، حققه عبدالرحمن حسن محمود ، ص٦٦ ـ بفتح الحاء ، جبل بمعلاة مكة المكرمة.

٣- هي السيدة آمنة أم النبي عليه السلام ...... رضي الله عنها ، وأرضاها وهي من بني زهرة . انظر: المرجع السابق ، ص٦٦.

٤- المرجع السابق ، ص٦٦.

٥- الأصناف الثلاثة : بنو آدم ، والجن ، والملائكة . قال رسول عليه السلام : "خلقت الملائكة من نور ، وخلق آدم مما وصف لكم". رواه الإمام أحمد والإمام مسلم ، وليس هناك صنف رابع اسمه الشياطين، وإنما هم من ذرية إبليس لعنه الله ولعن كافرهم معه ، والجن ، اجناس وقبائل كما أن بني آدم أجناس وقبائل. انظر: المرجع السابق ، ص٦٦ .

٦- المرجع السابق ، ص٦٦ .

٧- انظر: البيت رقم : ١٠٥ .

يـجـدد النداء تجديدا للحضور بما اشتغل بذكر معجزاته ، وبيان ما هو أعظم آياته، وهو الكتاب الذي جاء من عندالله ، فإنه البحر المحيط الذي لا تنقضى عجائبها .

والـنـداء بما يضمنه من ورائه يشير إلى ما لا ينبغى على الناس أن ينسو نعمة النبى عليه السلام الذى مد يد المعونة إليهم مدى حياته ، وأن ينسو معجزاته والآيات الشريفة التى نزلت إليه.

حـرف "اليـاء" وضـح لـنـداء البـعيـد ، وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد ، إما إجـلالا لـه كـمـا فـى قول الداعى يا الله ويا ربى ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، استصغارا واستبـعـادا لها من محافل الزلفى ، وإما تنبيها على غفلته وسوء فهمه ،وقد يقصد به التنبيه على إنما يقصده أمر خطير يعتنى بشأنه (١) .

واستمع إلى قول الشاعر في رسم صورة الجيش بالصوت :

يـجـر بـحـر خـمـيس فوق سـابحة يـرمـى بـمـوج مـن الأبـطـال ملتطم

هـم الـجبـال فسـل عنـه مصادمهم مـاذا رأى منـهـم فـي كـل مـصطدم (٢)

يـرسـم الشـاعـر شـجـاعة جيـش الـنبى عليه السلام ، ومتانة صحابته الفخام ، وكون عسكرة تـام الأركـان ، وكـونـه كثيـرا كـامـل الأطـراف بـلا نقصان ، والخميس ــ الجيش الـمـحـارب ـ كالبحر ، إنما هو في الهيئة والأهلاك ، وتموج البعض على بعض بلا انفكاك ، ويتـردد الـصـراخ والصياح في السماء ، وتقعقع السيوف ، وتقرقع الرماح ، وتتصادم الأبطال ، وتـصـطـكك الأسـلـحة ، تـلـك الأصوات الهائلة كرعد يتردد في الآفاق ، كأصوات الأمواج الهائلة التى تلتطم بعضها ببعض ، وتضرب السواحل ، وتصدم الصخور ، وتكسر الجبال .

واستمع إلى قول الشاعر حيث ينادى نفسه :

فيـا خسـارة نـفـس فـي تـجارتها لـم تشتـر الـديـن بـالدنيـا ولم تسم (٣)

١ـ شرح البردة ـ الباجوري،حققه عبدالرحمن حسن محمود ، ص١٢٥ .

٢ـ انظر : البيت رقم : ١٢٧ . ٣ـ انظر : البيت رقم : ١٤٣ .

يـا نـفـس لا تـقنطى من زلة عظمت   إن الـكبـائـر في الـغـفـران كـالمم (١)

الـنـداء فـي هـذا البيت هو الذي استخرجه الشاعر من القلب تعبيرا عن كثرة الندامة ، وشـدة التحسر والتحزن ، والنداء هنا يشير إلى الألم والوجع في قلب الشاعر من جانب ، وإلى الـفـرح والسـرور هـنـا يشيـر إلـى الألـم والفأل من جانب آخر ، أقبل عليها يخاطبها لتحقيق رجـائـه، ويـؤنسهـا بـعـظـم فـضـل ربه . لأنه لم يشتر الدين بالدنيا ولم يسم ، وإن الكبائر في الـغـفـران كـالـلـمـم، ويـدرك خطر النفس التى هي أمارة بالسوء ، ويبتعد عنها ، ويتخلص من ضررها .

وهـذا البيت تحقيق للندم ، وتبكيت للنفس ، لأن فيه نداء عليها بالخسارة في تجارتها . فـكـأنـه قـال : يـا خسـار ـة نفس موصوفة بما ذكر ، احضرى فهذا أو انك ، وهذا كناية عن استعظام خسارة هـذه النفسن والتعجب منها ، فإن عن عادة العرب إذا استعظموا شيئا تعجبوا منه ،نادوه ليحضر (٢).

واستمع إلى قول الشاعر في رسم الصورة بالصوت :

راعــت قـلـوب الـعـدا أنبـاء بـعثتـه   كـنبـأة أجـفـلـت غـفـلا مـن الـغنم (٣)

قـال البـاجـوري : كـنبــأة أي مثل نبئه أي زأرة الأسد ، التى هي هوته ، أجفلت أي أفـزعـت صـفة لنبأة ، وإنما كانت غفلا لكونها راتعة في ربيعها مشتغلة في أكلها وشهوانها، فاجفلت ذلك الصوت وفرقها .(٤)

حـقـق الشـاعـر الـنجاح في رسم أنباء بعثته عليه السلام بزأرة الأسد التي كأنها رعد ينهب عقول الكفار ، ويسلب أرواحهم ، وأصبحوا الجوامد والجثث .

١- انظر : البيت رقم : ١٥٥.

٢- شرح البردة الباجوري ، حققه عبدالرحمن حسن، ص : ١٢٥ .

٣- انظر : البيت رقم : ١١٨.

٤- شرح البردة الباجوري ، حققه عبدالرحمن حسن، ض : ١٠٩ .

س- الأسلوب والأداء التعبيري

يسلك البوصيري مسلكا تقليديا ، حيث افتتح القصيدة بتذكر جيران محبوب وبكاء شديد عليه ، وغلت مشاعره على نار العشق ، وما استطاع سيطرة على نفسه ، و استعجل إلى شكوى الغرام بعاطفة صادقة وكلام فاخر ولفظ حر ، تعبيرا عما في قلبه من أحاسيس جياشة، وصورها بأسلوب جزلة وألحان ساحرة و ألفاظ طلاوة إيصالا إلى مطلوبه .

إن أسلوب البوصيري حافل بالظواهر الآتية :-

١- استخدام جمل إنشائية

٢- استخدام "الفاء"

٣- كثرة استخدام : "أسماء"

٤- تكرار الفعل والاسم

٥- كثرة استخدام" اسم مفعول"

٦- الألوان البلاغية

أ- الأسلوب الرمزي

ب- أسلوب التشبيه

ج- أسلوب الاستعارة والمجاز

د- أسلوب القصر

ه- المحسنات البديعية

٧- الإشارات التاريخية

أ- الأماكن التاريخية

ب- الحوادث التاريخية

١- **استخدام جمل إنشائية** : يميل البوصيري إلى استخدام جمل إنشائية ورسم لنا صورة حيوتة بأساليب مختلفة من نظمه تعبيرا عما أصابه من سدم من سدم وشجن وألم كما صرحه في مطلع القصيدة حيث قال:

أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقآء كاظمة   أو أو مض البرق في الظمآء من اضم
فما لعينيك إن قلت اكففاهمتا   وما لقلبك إن قلت استفق يهم
لولا الهويلم ترق دمعا على طلل   ولآ ارقت لذكر البان والعلم
فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت   به عليك عدول الدمع والسقم
واثبت الوجد خطي عبرة وضنى   مثل البهار على خديك والعنم (١)

أمن تذكر ــ فما لعينيك ــ وما لقلبك ــ أيحسب الصب ــ فكيف تنكر ، يخاطب نفسه بعدة استفهامات من ناحية ، ويحاطب المتلقى من ناحية أخرى ، إخبارا إياه بما أسابه من توق و شوق ، وفي الوقت ذاته ، يترك الفرصة له بأن يفكر في سؤاله ويحكم بنفسه وبعقله ، كي يصل أخيرا إلى إنكار سؤاله ونفيه من عدم الحب والشوق ، ويثبت ما عنده من عاطفة صادقة وعشق شديد .

والأسلوب الإنشائي هنا أكثر مناسبة لما يقتضى به الحال من الأسلوب الخبرى .

٢- **كثرة إستخدام "الفاء"** : أكثر البوصيري من إستعمال الفاء وهي كظاهرة عامة تنتشر في أبيات البردة . وأقدم بعضها لسد غرض الدراسة على سبيل المثال قال البوصيري :

فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت   من جهلها بنذير الشيب والهرم (٢)
فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها   إن الطعام يقوى شهوة النهم (٣)
فاصرف هواها وحاذر أن تولية   إن الهوى ما تولى يُصم أو يَصم (٤)
وراعها وهي في الأعمال سآئمة   وإن هي استحلت المرعى فلا تسم (٥)

١- انظر : البيت رقم : ١- ٧ .
٢- انظر : البيت رقم : ١٣ .
٣- انظر : البيت رقم : ١٧ .
٤- انظر : البيت رقم : ١٩ .
٥- انظر : البيت رقم : ٢٠ .

أتى الشاعر في الأبيات بعدة الفاء : فإن أمارتي ــ فلا ترم ــ فاصرف ــ فلا تسم ــ الفاء في البردة كثيرة الإستخدام ، عطفيا أم جزائيا ، سببياً أم مسبباً . وهي ظاهرة تعم جمل البردة وكلماتها وسطورها .

٣- **كثرة استخدام " الأسماء "** : يميل البوصيري إلى استعمال الاسم كثير ا . قال البوصيري:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته   قوم نيام تسلوا عنه بالحلم (١)
وكل آي اتي الرسل الكرام بها   فإنها اتصلت من نوره بهم (٢)
فإنه شمس فضل هم كواكبها   يظهرن انوارها للناس في ا لظلم (٣)
كالزهر في ترف والبدر في شرف   والبحر في كرم والدهر في همم (٤)

يوجد في هذه الأبيات أكثر من خمسة وعشرين إسما :

الدنيا ، حقيقة ، قوم ، نيام، الحلم ، آي ، الرسل ، الكرام ، نور ، شمس ، فضل ، كواكب ، أنوار ، الناس ، الظلم ، الزهر ، ترف ، البدر ، شرف ، البحر ، كرم ، الدهر ، همم .

والأفعال فيها ما تجاوز شتة أفعال :

يدرك ،تسلوا ، أتى ، اتصلت ، يظهرن .

يضح عقب الإحصاء أن البوصيري يميل إلى الأسماء استخداما على الأفعال .

٤- **تكرار الفعل والاسم** :يميل الشاعر إلى تكرار الفعل والاسم ، وظاهرة التكرار في بردة البوصيري توجد بصورة عامة وتنتشر في أكثر الأبيات . وأذكر بعض الأبيات على سبيل المثال.

فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها   إن الطعام يقوى شهوة النهم
والنفس كالطفل إن تهمله شب على   حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم
فاصرف هواها وحاذر أن تولية   إن الهوى ما تولى يصم أو يصم
وراعها وهي في الأعمال سائمة   وإن هي استحلت المرعى فلا تسم (٥)

١- انظر : البيت رقم : ٣٢ .
٢- انظر : البيت رقم : ٥٢.
٣- انظر : البيت رقم : ٥٣.
٤- انظر : البيت رقم : ٥٥.
٥- انظر: البيت رقم : ١٧- ٢٠.

يـكـرر الشـاعـر فـي البيـت الأول " الشهوة " مرتين . ويكرر في الثاني الفعل " فطم " مرتين. ويكرر في الثالث الفعل " وصم " مرتين . ويكرر في الرابع "سام " مرتين .

٥- **كثــرة استعمال اسم المفعول** :ظهـر في البردة أسلوب آخروهو كثرة استعمال اسم المفعول .كما قال البوصيري :

كـأنما اللؤلؤ المكنون في صدف   مـن مـعـدنـي منطق منه ومبتسم (١)

ابـان مـولـده عـن طيـب عنصره   يـا طيـب مبتـدأ مـنـه ومختتم (٢)

اقسـمـت بـالـقـمر المنشق إن له   مـن قـلبـه نسبة مبـرورة القسم (٣)

تبـارك الله مـا وحي بمكتسب   ولا نبـي عـلـى غيـب بـمتهـم (٤)

جاء اسم المفعول في الجمل والسطور بعدد غير قليل :

مكنون ، مبتسم ، مبتدا ، مختتم ، مبرورة ،مكتسب ، متهم .

٢- الألوان البلاغية :

الشـعر صـورة يـرسـمهـا الشـاعـر بـكـلـمة ويـلونها بألوان بلاغية و بديعية ، ويـجسمها بوسيلة من الوسائل كالتشبيه ، والإستعارة والمجاز والكناية لكى يكون الشعر مثل إنسان ذي دم يدور في عرقه ويسيل في جسمه ويحرك أشلائه .

أ- **الأسلوب الزمزي :** أتى البوصيري في قصيدته بعدة أسماء و مواضع منها جيران يراد بهـم الـنبي وأهله . ومنها أيضا سلم وكاظمة وإضم والبان والعلم يراد به موطن النبي أو يراد به النبي نفسه ، كما قال الله تعالى : واسأل القرية .... (٥)

يـراد بـه أصـحـاب الـقـرية . يعني ذكر المحل يراد به صاحبه وهو من مجاز مرسل ، علاقة محلية .

١- انظر : البيت رقم :٥٧ .   ٢- انظر : البيت رقم : ٥٩.

٣- انظر : البيت رقم : ٧٥.   ٤- انظر : البيت رقم : ٨٤.

٥- سورة يوسف ، الآية:٨١.

قال الشاعر :

أمـن تـذكـر جيران بـذي سـلـم   مـزجـت دمـعاً جري من مقلة بدم
أم هبـت الـريـح مـن تـلـقآء كاظمة   أو أومض البرق في الظمآء من إضم (١)
لـولا الهـوى لـم ترق دمعاً على طلل   ولآ ارقـت لـذكـر البـان والـعلم (٢)

والشاعر لا يعني حجازية ولا نجدية ، إنما يعني الرسول نفسه . وذكر تلك الأسماء و المواضع رمزيا يقصد بها صاحبها ـ الرسول عليه السلام نفسه .

ب ـــ أسلوبه التشبيه : ومـن أسـلـوب البـوصـيـري أساليب يميل إليه أشد من غيره ،وهو "التشبيه" وأذكر بعضه على سبيل المثال :

يقول البوصيري :

كـالشـمـس تـظهر للعينين من بعد   صـغيـرة وتـكل الطرف من امم (٣)
كـالزهر في ترف والبدر في شرف   والبـحـر في كرم والدهر في همم
كـأنـه هـو فـرد مـن جـلالتـه   فـي عسكر حين تلقاء وفي حشم
كـأنـمـا الـلـؤلؤ المكنون فيصدف   مـن مـعـدنـي منطق منه ومبتسم (٤)

أتى الشاعر في الأبيات بأربعة تشبيها التي على حرف أداة التشبيه " الكاف " كالشمس ، كالزهر ، كأنه ، كأنما .

وكـل تشبيـه مهـمـا أدى وظيفته الخاصة، حيث أتى الشاعر بأربع صور للمتلقين ، و رسمها وجسدها أمامهم يرونها دون حاجز .

يقول البوصيري :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على   حـب الـرضاع وإن تفطمه ينفطم (٥)

الـنـفـوس كالظل في التعود بالشيء والانفطام منه كالأطفال ، فلا تهملها فيما تشتهي

١ـ انظر : البيت رقم : ١ـ٢ .
٢ـ انظر : البيت رقم : ٥.
٣ـ انظر : البيت رقم : ٤٩.
٤ـ انظر : البيت رقم : ٥٥ـ٥٧.
٥ـ انظر: البيت رقم : ١٨.

كـل الأهمال ، فإن الطفل إن أهمل شب على حب الرضاع ، واشتد التذاذة بألوان الأطعمة ، وإن فـصـل عـن الـرضـاع رضـي بـالإنفصال بالتدريج مبلغ الكمال . فالنفس إن تصرف عن الـمـألـوفـات الطبيعة واللذات الكاذبات الوهمية إلى إدراك الحقائق و ذوق اللذات الروحانية تفوز بالسعادات .

شبـه الشـاعـر الـنـفس بالطفل في عدم الملك والسأمة بالإستمرار على المألوفات ، فكما أن الطفل إن تركته على ما ألفه من الرضاع دام على حبه ، وإن منعته امتنع .

يـحـقـق الشاعر النجاح في تشبيه صفة النفس بصفة الطفل في مألوفة كرضاع هلوع وعدم الصبر وغير ذلك .

يقول البوصيري :

راعـت قـلـوب الـعـدا أنبـآء بعثتـه　　　كـنبأة أجــفـلـت غفلا من الغنم (١)

أنباء بعثته : أمر معنوي ، ونبأة زأرة شيء محسوس ، ويضيف صوت الأسد ـ الزأرة ـ إلـى الأنبـاء التـي تشبه بأسد جائع غاضب يزأر في الأرض ، ويتردد زأرته في الآفاق ، وتغزع كل واحد ممن سمعها .

ومن تشبيهاته :

كـأنهـم في ظهور الخيل نبت ربا　　　مـن شـدة الحزم لا من شدة الحزم (٢)

يـرسم البوصيري صورة الـمـحـاربيـن راكبين خيولهم بنبت رباء ، والمحارب عاقل، والنبت غير عاقل، يشبه الشاعر العاقل بما ليس له عقل .

وصورة الـمـحـاربين فوق ظهور الخيل مثل النبت الكبير الطويل أصله ثابت ، لا تكسر ولا تـقـع مهـمـا ثميله الرياح يمينا وشمالا أي كان الصحابة حال كونهم على ظهور الخيل ، وإنما يتركون للطعن والارتقاء ، مع ثبوت أصلهم ، كما نبت يتحرك الربا إذا حركته الرياح.

١- انظر : البيت رقم : ١١٨ .

٢- انظر : البيت رقم : ١٣٣ .

ج- **أسلوب الإستعارة والمجاز :** يميل البوصيري كذلك إلى استخدام الإستعارة و المجاز . وأذكر بعضه على سبيل المثال .

يقول الشاعر :

تهدي إليك رياح النصر نشرهم فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي (١)

قال الشيخ الخربوتي : تهدي إليك ...... الخ . تهدى من أهدي يهي بمعني توصل أو بمعنى إرسال الهدية ، وإليك متعلق بتهدي ، والخطاب لكل واحد ، وجملة تهدي حال ، و رياح بالرفع فاعل تهدي ، وهي جمع ريح . والمراد من رياح النصر التأيدات بالنصر كما في قوله عليه السلام :

"نصرت بالصبا و أهلكت عاد بالدبور " . (٢)

والمراد من الرياح الدولات كما في قوله :

إذا هبت رياحك فاغتنها فعقبى كل عاعفة سكون

وإضافة إلى النصر بمعني النصرة مجاز ذو رد ، وما النصر إلا من عند الله ونشرهم بالنصب مفعول تهدي ، والضمير راجع إلى الصحابة ، والنشر في الحقيقة بمعني الرائحة الطيبة، والمراد هنا أخبارهم الكيبة ، وأنباؤهم العجيبة ، وففيه استعارة ومجاز(٣).

يقول البوصيري :

وأحيت السنة الشهباء دعوته حتى حكت غرة في الأعصر الدهم (٤)

الشهباء مؤنث أشهب ، وهي التي يغلب بياضها على سوادها ، والشهباء يطلق هادة على الفرس الشهباء ، ويصف الشاعر بالشهباء السنة ، وذلك يشير إلى أن تلك السنة قليلة

١- انظر البيت رقم : ١٣٢ .

٢- أنظر صحيح البخاري ، الحديث رقم: ٩٨٨ .

- و صحيح مسلم الحديث رقم٩٠٠ .

- و العمدة في شرح البردة ، ابن حجر الهيتمي، ص٥٨٦.

٣- عصيدة الشهدة ـ الشيخ الخربوتي ، ص ٢٠٢ .

٤- انظر : البيت رقم : ٨٦.

المطر وعدم النباتات . وإنما لغلبة بياض الأرض فيها لعدم المزروعات على سوادها بالمزروعات .

ومن الكلمة "أحيت : يدرك أن الشاعر يشبه السنة الشهباء بإنسان ميت تشبيها مضمرا في النفس . وحذف لفظ المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الإحياء . وهي استعارة بالكناية والتخييل .

يقول البوصيري:

وأثبت الوجد على خطى عبرة وضنى مثل البهار على خديك والعنم (١)

قال الشيخ الباجوري في توضيح البيت :

فانسجام الدموع على النحر بمثا بة الدر المعلق عليه ، وذلك لون العبرة ، ورقة جسمه ، وصفرة لونه ، كثوب بديع الرقة والصبغ ، وذلك لون الضنى . وفي الكلام استعارة الشبه به فظاهر ،أما في المشبه فلأن آثر الحب زينة عند الحب ، فيتزين بها كما يتزين باللباس تشبها مضمراً في النفس .(٢)

يقول البوصيري :

المصدرى البيض حمرا بعد ما وردت من العدا كل مسود من اللمم

والكاتبين بسمر الخط ما تركت أقلامهم حرف جسم غير منعجم (٣)

قوله " المصدري البيض " الخ . أي أمدح مصدري البيض ، فهو مفعول لفعل محذوف و أصله : المصدرين لكى حذفت نونه للإضافة إن جعلنا المصدري مضافا للبيض ، أو للتخفيف إن جعلناه غيره مضاف ، والمصدرين جمع مصدر بضم الميم ، من أصدر عن الماء : رجع و يقال: أصدره أي أرجعه ، والمراد من البيض السيوف المصقولة ، فشبه السيوف المذكورة بإبل بيض ، أوردت ينبوع أسود يجرى بماء أحمر، ثم أصدرت عنه حمراء

١- انظر : البيت رقم : ٧.

٢- شرح قصيدة البردة ـ الباجوري ، ص١٥ .

٣- انظر: البيت رقم : ١٢٩ـ ١٣٠ .

من تلبسه بالماء الذي وردته ، تشبيها مضمرا في النفس ، وطوي لفظ المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإصدار ، ففيه إستعارة بالكناية وتخييل.(١)

د ـ **أسلوب القصر :** وعقب المحاورة مع البردة لا حظت أيضا أن فيها أسلوبا من أساليب الشاعر يميل إليه ، وهو أسلوب القصر بما أو لا مع إلا الإستثنائية ، وهو أكثر استعمالا لديه . وهذه الظاهرة موجودة في الأبيات . وأذكر شيئا منها على سبيل المثال :

يقول البوصيري :

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به إلا ونلت جوارا منه لم يضم

ولا التمست غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستلم (٢)

ما حوربت قط إلا عاد من حرب أعدى الأعادى إليها ملقى السلم (٣)

أطعت عي الصبا فيا لحالتين وما حصلت إلا على الآثام والندم (٤)

ومن هذه الأبيات القصور الأربع التي تعتمد على أداة القصر ما ولا مع إلا :

ما سامني .... إلا ، ولا التمست ....إلا

ما حوربت ....إلا ، وما حصلت .... إلا

هـ ـ **المحسنات البديعية :** دراسة لا تتعدى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظى أو المعنوي ، ويسمى الجامع لهذه المباحث بعلم البديع . وهو يشتمل على محسنات لفظية ، وعلى محسنات معنوية . (٥)

تشتمل المحسنات لفظية على الجناس والإقتباس والسجع .

والمحسنات المعنوية نشتمل على التورية ، الطباق ، المقابلة ، حسن التعليل ، تاكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه وأسلوب الحكيم .

١- شرح قصيدة البردة ـ الباجوري ، ص١٥ .
٢- انظر :البيت رقم : ٨٠ ـ ٨١.
٣- انظر : البيت رقم : ٩٥.
٤- انظر : البيت رقم : ١٤٢ .
٥- البلاغة الواضحة ـ على الجارم و مصطفى أمين ، ص٢٦٣ .

يدبج البوصيري قصيدته بمحسنات لفظية و محسنات معنوية .

قال في شرف القرآن ومدحه :

بعارض جاد أو خلت البطاح بها ... سيباً من اليم أو سيلا من العرم
دعني و وصفي آيات له ظهرت ... ظهور نار القرى ليلاً على علم
فالدر يزداد حسنا وهو منتظم ... وليس ينقص قدرا غير منتظم
آيات حق من الرحمن محدثة ... قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا ... عن المعاد وعن عاد وعن إرم
محكمات فما تبقين من شبه ... لذي شقاق وما يبغين من حكم
إن تتلها خيفة من حر نار لظى ... أطفأت حر لظى من وردها الشبم
كأنها الحوض تبيض الوجوه به ... من العصاة وقد جاءوه كالحمم
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ... ومن هو النعمة العظمى لمغتنم
فحزت كل فخار غير مشترك ... وجزت كل مقام غير مزدحم (١)

١- **الجناس** : الجناس أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعني وهو ونوعان:

أ- تام : وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي : نوع الحروف وشكلها ، و عددها وترتيبها .

ب- غيرتام : وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة (٢).

٢- **السجع** : السجع توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ، وأفضله ما تساوت فقره(٣).

ومن حسن السجع والجناس في الأبيات المذكورة من البردة :

١- انظر : البيت رقم : ٨٧-١١٤ .

١- البلاغة الواضحة - على الجارم و مصطفى أمين ، ص٢٦٥ .

٢- المرجع السابق ، ص٢٧٣ .

سيل ــ سيب

معاد ــ عاد

تبقين ــ تبغين

حزت ــ جزت

ومن المحسنات المعنوية الطباق والمقابلة .

٣ـ **الطباق :** الطباق ، الجمع بين الشيء وضده في الكلام وهو نوعان :

أ ـ **طباق الإيجاب :** وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلباً .

ب ـ **طباق السلب :** وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا .(١)

ومن الأبيات حسن المطابقة :

النار ـ الليل ، النار تلد النور والليل يلد الظلام ، والنور يأكل الظلام .

منتظم – غير منتظم ، محدثة – قديمة ، شبم – حر ، تبيض – حمم

٤ ـ **المقابلة :** أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب.(٢)

وأمثلة حسن المقابلة والموازنة في الأبيات المذكورة :

يزداد حسنا – ليس ينقص قدرا ، وهو منتظم – غير منتظم

فما تبقين شبه – وما تبغين من حكم .

تنكر العين – ينكر الفم ، ضوء الشمس من رمد – طعم الماء من سقم

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر من هو النعمة العظمى لمغتنم (٣)

فحزت كل فخار غير مشترك وجزت كل مقام غير مزدهم (٤)

هذه الألفاظ تجرى على اللسان جرى الماء بسلامة وعذوبة ، وهي تثير الشعور و تطرب السماع بإيقاع متردد و موسيقي فاتن وتلذ والعقل والقلب .

١ـ البلاغة الواضحة ـ على الجارم و مصطفى أمين ، ص٢٨١ .

٢ـ المرجع السابق ، ص٢٨٥ .

٣ـ انظر : البيت رقم : ١٠٦ .

٤ـ انظر : البيت رقم : ١١٤ .

٧ – الإشارات التاريخية :

قسمت الإشارات التاريخية إلى قسمين :

١ـ الأماكن التاريخية .

٢ـ الحوادث التاريخية

ـ الأماكن التاريخية : ذكر البوصيري في قصيدته الأماكن التاريخية التالية :

١ـ ذي سلم : سلم : شجر من العضاة و ورقها القرظ الذي يذبغ به الأديم .(١) اسم الشجرة في الوادي بين مكة و المدينة . فالمراد بذي سلم النبي صلى الله عليه وسلم لأنه عليه السلام كلما ذهب إلى مكة وسلك ينزل تحت هذه الشجرة ويستريح فيه .

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جري من مقلة بدم (٢)

٢ـ كاظمة : اسم من أسماء المدينة المنورة .

أم هبت الريح من تلقآء كاظمة أو أومض البرق في الظلمآء من اضم (٣)

٣ـ إضم : هو الوادى الذي فيه المدينة النبوية صلى الله عليه وسلم على ساكنها .(٤)

٤ـالفرس : اسم جمع لأهل فارس وفارس معرب بارس وهو اسم لبارس بن ناسور بن سام بن نوح وهو بلاد كثيرة بناها المزبور وبلاده المشهورة شيراز واصفهان . وقد ورد في مدح أهل فارس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (ان الله اختار من بين خلقه من العرب قريشا ومن العجم فارسا)(٥).

يوم تفرس فيه الفرس انهم قد انذروا بحلول البؤس والنقم (٦)

١ـ أنظر : تاج العروس ـ محمد مرتضى الزبيدي ، تحت المادة : س ل م .

٢ـ انظر : البيت رقم : ١ . ٣ـ انظر : البيت رقم : ٢ .

٤ـ انظر : تاج العروس ـ محمد مرتضى الزبيدي ، تحت المادة : ء ض م .

٥ـ راجع للتفصيل : العمدة في شرح البردة ، ابن حجر الهيتمي ، تحقيق بسام محمد بارود ، ص:٣٣٥.

٦ـ انظر : البيت رقم : ٦٠.

٥ ـ ايوان كسرى : ايوان بكسر الهمزة اسم معرب لسقف لا يكون لجانب مقدمة جدار و كسرى معرب خسرو وهو اسم جنس لمن يملك العجم ويجمع على اكاسرة كما ان قيصر اسم جنس لمن يملك الروم والنجاشي لمن يملك الحبشة وخاقان لمن يملك الترك و فرعون لمن يملك مصر و تبع لمن يملك اليمن .

وبات ايوان كسرى وهو منصدع   كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم (١)

٦ـ نهر فرات : نهر بالكوفة معروف بين الشام والجزيرة وربما قيل بين الشام والعراق و في المصباح : الفرات نهر عظيم مشهور يخرج من آخر حدود الروم يمر بأطراف الشام ثم بالكوفة ثم بالحلة ثم يلتقى مع دجلة .(٢)

والنار خامدة الأنفاس من اسف   عليه والنهر ساهى العين من سدم (٣)

٧ـ بحيرة ساوة : ساوة : اسم مدينة عظيمة والبحيرة : اسم لمياه عظيمة في مملكة عراق العجم بين همدان و قم . وتركب فيها السفن ويسافر بها إلى ما حولها من البلاد . وكان ماؤها لطيفا لا يشابه مياه سائر البحار وكان في أطرافها كنائس كثيرة وأسواق غفيرة و كان الكفار يروجون كفرهم عندها . وقيل كانوا يعبدونها فلما ولد رسول الله الماحي جميع طرق الكفر غاب ماء تلك البحيرة . (٤)

وسآء ساوة أن غاضت بحيرتها   ورد واردها بالغيظ حين ظمى (٥)

٨ـ غار الثور : ثور : جبل بمكة شرفها الله تعالى وفيه الغار الذي بات فيه ثلاثة ليلاً سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر وهو (المذكور في التنزيل) "ثاني اثنين اذهما في الغار" ويقال له ثور المحل واسم الجبل المحل نزله ثور بن عبد مناة فنسب إليه .(٦)

١- انظر : البيت رقم : ٦١.
٢- انظر : تاج العروس ـ محمد مرتضى الزبيدي ، تحت المادة ف ر ت .
٣- انظر : البيت رقم : ٦٢.
٤- عصيدة الشهدة ـ الخربوتي ، ص ١١٧ .
٥- انظر : البيت رقم : ٦٧.
٦- تاج العروس ـ محمد مرتضى الزبيدي، تحت المادة: ث و ر .

وما حوى الغار من خير ومن كرم   وكل طرف من الكفار عنه عمي (١)

٩ـ أحد : جبل بالمدينة . وهو محل المحاربة .

١٠ـ حنين : واد بين مكة والطائف . وقد وقع فيه محاربة عظيمة .

١١ـبدر : اسم موضع بين الحرمين الشريفين أسفل وادي الصفراء وهو إلى المدينة أقرب يقال هو منها على ثمانية وعشرين فرسخاً . (٢)وقد وضع فيه أول المعركة بين الحق والباطل .

وسل حنيناً وسل بدراً وسل احداً   فصول حتف لهم ادهى من الوخم (٣)

١٢ـ الخط : اسم بلدة في البحرين نسب إليها الرماح أعني خشبها يقال رماح خطية اي رماح حسنة ذات قيمة غالية . (٤)

والكاتبين بسمر الخط ما تركت   أقلامهم حرف جسم غير منعجم (٥)

١٣ـ إرم : ذات العماد باليمن بين حضر الموت وصنعاء من بناء شداد بن عاد . (٦)وقد ذكر في القرآن :الم تركيف فعل ربك بعاد . ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد (٧).

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا   عن المعاد وعن عاد وعن إرم (٨)

١٤ـ حرم الكعبة : أن البيت لما كان معظما مشرفا فاجعل له حصن وهو مكة و حمى وهو الخرم وللحرم وهو المواقيت حتى لا يجوز لمن وصل إليها أن يجاوزها إلا بالإحرام. وفي تفسير روح البيان أن حدود الحرم من جهة المدينة على ثلاثة أميال ومن طريق العراق على

١ـ انظر: البيت رقم : ٧٦.

٢ـ تاج العروس ـ محمد مرتضى الزبيدي ، تحت المادة:ب د ر .

٣ـ انظر : البيت رقم : ١٢٩ .

٤ـ عصيدة الشهدة ـ الخربوتي ، ص ٢٠١ .

٥ـ انظر: البيت رقم : ١٣٠ .

٦ـ تاج العروس ـ محمد مرتضى الزبيدي ، تحت المادة : ء ر م .

٧ـ سورة الفجر ، الآية : ٦ ـ ٨.

٨ـ انظر البيت رقم : ٩٢.

سبعة أميال ومن طريق الجعرانة على تسعة أميال . ثم ان الحرم عام لكل ما كان في داخل الحرم فلا ينافى ما قال الرواة من أنه عليه السلام: كان إسرائه من بيت أم هاني أبي طالب، لأن بيتها كان في الحرم . (١)

١٥ـ **المسجد الأقصى :** والتعبير عنه بالحرم في البيت . إنما هو للمشاكلة وقيل إطلاق الحرم عليه لكونه محترما .

سريت من حرم ليلا إلى حرم كما سرى البدر في داج من الظلم (٢)

والمراد ب "حرم" الأولى : حرم الكعبة . وبالثاني : المسجد الأقصى .

ب ـ الحوادث التاريخية :

١ـ ذكر ميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وظهور الواقعات العجيبة المختلفة:

إن ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم لحادث عظيم ونجد هناك علامات كثيرة تشير إليه ، وآثار عديدة تدل عليه ، حيث تختفى أنوار النجوم ، وضعف ضياء الشمس ، كأنها تخجل من نور النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو شمس العالم الحقيقة ، وإنه لا ينور الغبراء والجوزاء فحسب بل هو ينور حياة الناس و قلوبهم .

قال البوصيري :

أبان مولده عن طيب عُنصره يا طيب مبتدأ منه ومختتم (٣)

أن ما روي في أنباء فضائله في زمان ولادته وأخبار عجائبه في زمان ابتدائه كثير لا يحصى ولا يعد منها ما ذكر في كتب الأحاديث أنه لما استقر نطفته الزكية ودرته المحمدية في صدف آمنة القريشة نودي في الملكوت ومعالم الجبروت أن عطروا جوامع القدس الاسني ونجروا جهات الشرف الأعلى وأفرشوا سجادا ت العبادات في صفف الصفا لصفوفية

١ـ عصيدة الشهدة ـ الخربوتي ، ص١٧٣ .

٢ـ انظر : البيت رقم: ١٠٧ .

٣ـ انظر : البيت رقم : ٥٩ .

الملائكة المقربين أهل الصدق والصفا فقد انتقل النور المكنون إلى رحم آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون وقال سهل بن عبدالله التستري لما أراد الله خلق محمد عليه السلام في بطن آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة أمر الله في تلك الليلة خازن الجنان أن يفتح الفردوس و نادى في السموات ان النور المخزون الذي يكون منه نور النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن أمه الذي يتم فيه خلقه عليه السلام .(١)

قال البوصيري :

يوم تفرس فيه الفرس أنهم ... قد أنذور بحلول البؤس والنقم (٢)

أنه روى أن الليلة التي ولد في فجر نهارها رسول الله عليه السلام رأى ملك فارس وهو شيروان رؤيا نحير منها فلم يدع كاهنا ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه مع طائفة من أخبار اليهود فقال لهؤلاء إني رأيت رؤيا حيرتني فاخبروني بها قالوا اقصصها علينا حتى نخبرك بتأويلها قال لا اطمأن بتأويلكم بعض القصص وإني أريد أن تخبروني بالرؤيا و تريد هذا فلتبعث إلى سطيح حتى يخبرك فبعث الملك إليه عبدالمسيح فبلغ عبدالمسيح إلى البحرين وكان سطيح يخرج في كل سنة مرة وكانوا يضعونه على صحيفة من الذهب فيخبر عن أحكام السنة الآتية والناس يكتبونها فانتظر عبدالمسيح خروجه فلما خرج بدأ الكلام برؤيا الملك وقال أنه رأى رؤيا تحير منها وإنما هذه العلامة علامة ولادة النبي الأمي العربي الهاشمي محمد الذي هو أفضل أبناء الخليل الموصوف في التوراة والإنجيل وتأويل رؤياه أن خيل العرب هم أصحاب ذلك النبي يدخلون بلاد فارس وستفتح لهم ويأخذون المدائن من آل ساسان ثم بكى فقيل ما يبكيك فقال أما بكى وقد يقي من عمري قليل ولا أدرك بعثة هذا النبي فرجع عبدالمسيح فاخبر ساسان بقتل سطيح فقتلوه وشقوا رأسه .

١- عصيدة الشهدة - الخربوتي ، ص١١٢ .وللتفصيل العمدة في شرح البردة لابن حجر الهيتمي ، تحقيق بسام محمد بارود ، ص ٣١٩ - ٣٢٨.

٢- انظر: البيت رقم : ٦٠.

قال البوصيري :

وبات ايوان كسير وهو منصدع　　　كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم (١)

أن هذا البيت إشارة إلى قصتين حيث أشير في المصرع الأول إلى سقوط إيوان كسرى أعني إنقراض ساسانيان وخرابه . وفي الثاني إشارة إلى ما روي أن كسرى الذي هو يزدجرد بن شهر يار وهو آخر الاكاسرة وقد ملك الفرس كلهم جعل رستما من الارامنة وهو غير رستم المشهور من العجم صاحب الجيش و رئيسهم و وهب له جميع خزائنة و قال له خذ من السلاح والذهب والفضة ما شئت وادفع شر العرب عني فذهب رستم من بلاد خراسان بمأتى رجل إلى بلاد العراق وتبعه جميع أهل المذمة ونقضوا العهد وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه فتوجه عمر رضى الله عنه عساكر كثيرة وجعل سعد بن أبي وقاص صاحب الجيش وأمر جيشه الذي كان في العراق أولا أن يبايعوا سعدا فوصل سعد مع العساكر إلى عسكر رستم فلما تقابل الفريقان رأى هلال ابن علقمة الهثيمي رستما فتوجه إليه فرماه فقتله فأعطاه سعد سلبه فبلغ سلبه سبعين ألف درهم سوى قلنسوته فإنها بلغت مائة ألف وانهزمت الفرس فنهض سعد خلفهم يفرق شملهم و يقتل حزبهم ولم يلتئم بعد ذلك شملهم فوصلك إلى المسلمين مغانم كثيرة.(٢)

قال البوصيري :

والنار خامدة الأنفاس من أسف　　　عليه والنهر ساهي العين من سدم

وسآء ساوة ان غاضت بحيرتها　　　ورد واردها بالغيظ حين ظمى

١- انظر : البيت رقم : ٦١.

٢- عصيدة الشهدة ـ الخربوتي ، ص١١٥.

- القصة بتمامها مذكورة في "سيرة ابن هشام، ج١ ، ص١١.
- والوفاء لابن جوزي ، ج ١ ، ص ٩٧.
- و شرح المواهب اللدنية ، لعلامة الزرقاني ، ج ١، ص١٢١.
- و الخصائص الكبرى ، للإمام السيوطي ، ج١ ، ص ٥١.

والحق يظهر من معنى ومن كلم   والجن تهتف والأنوار ساطعة (١)

والنار التي يعبدها المجوسى أنفاسها تخمد ، وتلك النار المستعرة طوال ألف سنة تخمدها بماء الحق ، ويزهق مع خمودها الباطل ويظهر الحق، وتذهب الغياهب التي تغشي حياة الناس و تطلع في السماء شمس الإسلام ، وتنير آفاق السماء و أرجاء الأرض. والجن يهتفون مستبشرين بقدومه إذ روي أن في الهواء وأرجاء مكة تسمع أصوات الجن يبشرون بولادته عليه السلام وفي المواهب مر في ذلك الوقت جن المشرق إلى المغرب و المغرب إلى المشرق يبشرون بولادته .

فالنار المحترقة كأنما استشعرت صفة الماء من البلل حزنا على غيضه وكمدا ، واستشعر الماء الحريق و حرارته حزنا على النار وألما ، ويتحدث عن كهنة الجاهلية ، وأنهم كانوا يستعذون بالجن ، حتى حين إذا بعث الرسول ملئت السماء حرساً شديدا و شهبا ، فبطل تنزل الجن على الكهنة ، وبطل استراقهم السمع لهم من الملأ الأعلى معجزة من المعجزات النبوية ، ورميهم بشهب ، و ولى شياطين الشر منهزمة قفا بعضا أثر بعض ، وتبع بعضها بعضا.

٢ـ خروج يونس عليه السلام من أحشاء الحوت

أن يونس عليه السلام بعثه الله تعالى إلى قوم مائة ألف وسبعين ألفا فلم يجبه أحد من قومه وعادوه فخرج من المدينة فقال اللهم أنزل عليهم رجزك وعذابك فنزل جبرائيل وقال له إن الله تعالى يقول إرجع إليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى فإن أجابوك فنعم وإلا فانا مرسل إليهم العذاب فرجع يونس فدعاهم سبعة وثلاثين يوما فلم يجيبوه فاخبرهم بالعذاب إلى ثلاثة أيام .

فلما جاء ت ليلة الأربعين خرج يونس من عندهم بغير إذن ربه فلما أصبحوا تغشاهم سحاب العذاب فظنوا أنه مطر فنظروا إلى السحاب فإذا يخرج من أطرافه شرر النار فخافوا وندموا وطلبوا يونس فلم يجدوه فقالوا لمليكهم إن كان يونس غائبا عنا فان آلهة لم يغب

١ـ انظر : البيت رقم : ٦٢ـ ٦٥.

فاجتمع الناس كلهم في أرض سهلة فتابوا و تضرعوا و كسروا أصنامهم و قبلوا دين الله تعالى وسجدوا له تعالى فاستجاب دعائهم وكشف عنهم العذاب وكان يونس على جبل بعيد من المدينة فلم يقف على هذه الحال فجاء إليه الشيطان في صورة شيخ فقال يونس له من أين تجيء؟ قال من المدينة . قال أي حال تركت أهلها . قال إبليس تركتهم يطلبون كذابا يقال له يونس فانه قال لهم يأتيكم العذاب فلم يأتهم فيطلبونه و يريدون قتله فقال يونس كيف ارجع إلى قوم كذبوني فذهب مغاضبا إلى قومه من غير وحي من الله تعالى فاتى بحر الروم فاذا سفينة مشحونة فركبها يونس عليه السلام فلما ركبها تحركت السفينة حتى كادت تغرق فقال الملاحون ههنا رجل عاص وعبد آبق و هذا رسم السفينة إذا كان فيها العبد الآبق لا تجرى ومن رسمها أيضا أن يقترعوا في مثل هذا فمن وقعت القرعة عليه القوه في البحر فساهم أي قارع أهل السفينة ثلاث مرات فوقعت في كلها على يونس عليه السلام فكان يونس من المدحضين أي من المقروعين فقام يونس فقال أنا الرجل العاصي والعبد الآبق فالقوه أو ألقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت ثم جاء حوت آخر أكبر منه فابتلع هذا الحوت فنزل به إلى قعر البحر فمكث في بطنه أربعين يوماً فنادى في الظلمات الثلاث و سبح لله تعالى فقال "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" فاستجاب الله تعالى دعائه بحرمة تسبيحه فأخرجه إلى ساحل البحر . (١)

قال البوصيري :

نبذاً به بعد تسبيح ببطنهما نبذ المسبح من احشآء ملتقم (٢)

روي أن النبي عليه السلام لما أخذ بقبضة من الحصيات بالوحي سبحت في كفه عليه السلام وهو يسمع ثم أعطاها أبا بكر فسبحت أيضا في كفه وهو يسمع ثم أعطاها عمر

١- عصيدة الشهدة ــ الخربوتي ، ص١٢٨ ــ ١٢٩ . وراجع للتفصيل صحيح البخاري ، رقم الحديث: ٦٣٤٥ ، و مسلم ،رقم الحديث: ٢٧٣٠ ، و الترمذي ، رقم الحديث: ٣٤٣١، والنسائي ،رقم الحديث: ٦٥٢ .

٢- انظر : البيت رقم : ٧١.

فسبحت في كفه أيضا وهو يسمع ثم أعطاها عثمان ثم أعطاها عليا فسبحت في كفهما و هما يسمعان.(١)

استخدم البوصيري في هذا البيت التشبيه . و وجه الشبه في هذا التشبيه أن النبذ الثاني كما كان خارقاً للعادة موجبا لنجاته (يونس عليه السلام) كذلك النبذ الأول كان خارقا للعادة بإعتبار تسبيح الحصا وانهزام المشركين بمجرد ذلك و موجباً لنجاة المسلمين .

٣- قصة بحيراء الراهب :

قال البوصيري :

مثل الغمامة اني سار سآئرة تقيه حر وطيس للهجير حمى (٢)

أن الغمامة كانت تظلل النبي عليه السلام من حر الشمس . في هذا البيت إشارة إلى قصة بحيراء الراهب وهي أنه عليه السلام لما خرج إلى الشام لمصلحة خديجة رضي الله عنه أرسل الله رأسه عليه السلام غمامة بيضاء ليظلله من حر الشمس وصلت العير إلى صومعة بحيراء الراهب فنزلت العير عندها تحت الشجرة مع أنها يابسة فخرج الراهب من صومعته و رأى العير و الغمامة التي تظلله فعرفه بذلك وقال ليس تحتها إلا نبي واتخذ ضيافة ودعا أهل العير ليعرف صاحب تلك الكرامة فذهبوا بأجمعهم وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أثقالهم لإعتمادهم عليه فنظر الراهب أن الغمامة لم تزل من مكانها فسألهم وقال هل بقي منكم أحد في مكانكم فقالوا لا إلا الحافظ أثقالنا فطلب الراهب منهم أن يأتوا به فأتي به عليه السلام فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تلك الصومعة نظر الراهب إلى

١- عصيدة الشهدة - الخربوتي ، ص١٢٧.
- وكنزالعمال ، رقم الحديث: ٣٥٤٤١ .
- ومجمع الزوائد ، ج ٨ ، ص ٢٩٨.
- و الخصائص الكبرى للسيوطي ، ج ٢ ، ص ٧٤ .
- والبداية والنهاية لإبن كثير ، ج ٦ ، ص١٣٦.

٢- انظر: البيت رقم : ٧٤.

الغمامة فرآها واقفة على الباب فدخل وقال يا شاب من أي بلدة أنت ؟ قال من مكة . قال من أي قبيلة . قال : من قريش . قال ما اسمك ؟ قال اسمي محمد فوقع الراهب عليه وقبله بين عينيه وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله وأسلم و حسن إسلامه .(١)

٤ـ انشقاق القمر

أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ (٢)

وقد أشار الشاعر في هذا البيت إلى معجزة انشقاق القمر ، وهو من أمهات المعجزات ، وأصول الكرامات التي لم تقع لغيره صلى الله عليه وسلم من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

وذلك لأن كفار مكة لما كذبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، طلبوا منه آية تدل على صدقة في دعواه ، فأعطاه الله هذه الآية العظيمة.

قال السبكي : والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن، مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق شتى ،كما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : إن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين . وعنه أيضاً : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أية فانشق القمر بمكة فرقتين مرتين .(٣)

وعن عبالله بن مسعود . قال: "بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى إذا انفلق القمر فلقتين . فكانت فلقة وراء الجبل ، وفلقة دونه . فقال لنا رسول الله صلى الله

١- عصيدة الشهدة ـ الخربوتي ، ص ١٣٢ .
- و سبل الهدى والرشاد ،ج ٢ ، ص ١٥٨ .
- ودلائل النبوة لابي نعيم ، ج ١ ، ص ٥٤ .
- والوفا بأحوال المصطفى لابن جوزي ، ج ١ ، ص ١٣١ .
- و دلائل النبوة للبيهقي ، ج ٢ ، ص ٢٦.
٢- انظر البيت رقم : ٧٥.
٣- صحيح البخاري ، الإمام البخاري ، كتاب المناقب ، الحديث رقم : ٣٦٢٧.
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري ، كتاب المنافقين ، الحديث رقم : ٤٣، ٤٧، ٤٨ .

عليه وسلم " اشهدوا " .(١)

فقالوا: سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فقال رجل منهم ـ قيل : أبو جهل لعنه الله ـ : إن كان محمد سحركم فإنه لا يستطيع سحر الناس كلهم . فقال كفار قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة ! .

فقال بعضهم : ألا تنظرون من يأتيكم من السفار ؛ فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . فجاء سفار فأخبروهم بذلك .

وروى الترمذي بسنده عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : "انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقالوا: سحرنا محمد فقال بعضهم : لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم" وقد روى بعضهم هذا الحديث عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده جبير ابن مطعم نحوه .(٢)

٥ـ شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم

وقد ورد في هذا البيت أيضا ذكر شق صدره الشريف كما شُقّ وغسل ليقرر فيه معارف النبوة ، ويتمكن فيه أسرارها ، كذلك القمر شُقّ لتتحقق النبوة ، وتظهر عند الناس أحوالها باعتبار أن القمر كما يتلألأ نوراً كذلك قلبه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم يتلألأ نوراً ، بما أفرغ فيه من معارف النبوة ، وأسرار الرسالة على وجه أكمل من تلألؤ القمر .

شق قلبه صلى الله عليه وآله وسلم وقع له مرات:

أولها : وهو عند حليمة السعدية ، كما جاء في حديث أبي نعيم وغيره أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

"كنت مسترضعاً في بني ليث بن بكر ؛ فبينا أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب لي

١ـ صحيح مسلم ، مسلم بن حجاج القشيري ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، الحديث رقم:٤٤ .

٢ـ سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي،الحديث رقم : ٣٣٤٣.

من الصبيان ؛ فإذا أنا برهط ثلاثة ، معهم طست من ذهب ملىء ثلجاً ، فأخذوني من بين أصحابي ، وانطلق الصبيان مسرعين إلى الحي ، فعمد أحدهم فأضجعني إلى الأرض إضجاعاً لطيفاً ، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهي عانتي ، وأنا أنظر إليه ، ولم أجد لذلك مساً ، ثم أخرج أحشاء بطني وغسلها بذلك الثلج ، فأنعم غسلها ، ثم أعادها مكانها ، ثم قام الثاني ، فقال لصاحبه : تنح عنه . ثم أدخل يده في جوفي ، وأخرج قلبي ، وأنا أنظر إليه ، فصدعه ، ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ، ثم قال بيده يمينة ويسرة كأنه يتناول شيئاً ، فإذا خاتم من نور يحار الناظرون (به) ، فختم به قلبي ، فامتلأ نوراً ، وذلك نور النبوة والحكمة . ثم أعاده مكانه ؛ فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثم قال الثالث لصاحبه: تنح فأمر يده بين مفرق صدري إلى منتهي عانتي ، فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى . ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً " .(١)

وثانيها :وهو ابن عشر سنين على ما روى أبو نعيم ، وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ما أول ما ابتداء ت به من أمر النبوة ؟ .

قال: إني لفي صحراء أمشي وأنا ابن عشر حجج ، إذ أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم. فأخذاني فأضجعاني لحلاوة القفا، ثم شقا بطني ، وكان أحدهما يختلف بالماء في طشت من ذهب ، والآخر يغسل جوفي ، فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره . فإذا صدري فيما أرى مفلوق لا أجد له وجعاً . ثم قال : اشقق قلبه . فشق قلبي ، فقال : أخرج الغل والحسد منه . فأخرج شبه العلقة ، فنبذ به . ثم قال : أدخل الرحمة والرأفة قلبه ، فأخرج شيئاً كهيئة الفضة ، ثم أخرج ذروراً كان معه فذرّ عليه ، ثم نقر إبهامي ، ثم قال : اغدُ . فرجعت بما لم أغد به من رحمتي للصغير ، ورأفتي للكبير " -(٢)

والحكمة في شق صدره صلى الله عليه وسلم- حالة صباه ، واستخراج ما مرّ من تطهيره عن نقائص الصبا ، ليكون من ابتداء عمره على أكمل الصفات ، وأتمِ الحالات .

١- انظر : كنز العمال ، الإمام المتقي الهندي ، الحديث رقم : ٣٥٤٣٠.

٢- فقه السيرة ، محمد سعيد رمضان البوطي ، ص : ٧٣ .

وثالثها: عند مجيء جبريل عليه السلام، وهو صلى الله عليه وسلم بغار حراء. وممن رواه: أبو نعيم، ولفظه: "إن جبريل وميكائيل شقا صدره صلى الله عليه وسلم، وغسلاه ثم قال: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ و ربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾. (١)

والحكمة فيه كمال تهيئه، والتقوى على ما سيلقى عليه من الوحي بقلب قوي مطهّر.

ورابعتها: ليلة الإسراء.

ففي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه: "فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرَّج صدري، ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطشت من ذهب ممتلء حكمة وإيمانا، فأفرغها في صدري، أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء". (٢)

والحكمة في هذا الشق: الاستعداد للرقي إلى الملأ الأعلى، والتقوى على ما وقع له تلك الليلة مما لم يقع لنبي مرسل، ولا ملك مقرب.

٦- مجيئة الأشجار ساجدةً إلى النبي لدعوته ﷺ

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشي إليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطرا لما كتبت فروعها من بديع الخط باللقم (٣)

وأشار الإمام البوصيري بذلك إلى ما روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فدنا منه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أعرابي فقال: يا أعرابي، أين تريد؟. قال: أهلي. قال: هل لك إلى خير؟. قال: وما هو؟ قال: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. قال: ومن يشهد لك على ما تقول؟. قال: هذه الشجرة المثمرة، وهي بشاطئ الوادي، فادعها؛ فإنها

١- سورة العلق، الآية: ١-٥.
٢- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، الحديث رقم: ٣٤٢.
- وصحيح مسلم، مسلم بن حجاج القشيري، الحديث رقم: ٢٦٣.
٣- انظر البيت رقم: ٧٢-٧٣.

تجيبك . قال : فدعوتها ؛ فأقبلت تخُدُّ الأرض حتى قامت . فأشهدها ، فشهدت أنه كما قال. ثم رجعت إلى مكانها .

وفي بعض الروايات : "فقال الأعرابي : ائذن لي أسجد لك .فقال صلى الله عليه وسلم : لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها" . (١)

وفي رواية : "أن أعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم آيةً . فقال له : قل لتلك الشجرة : رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يدعوك .

فمالت عن يمينها وشمالها ، وأمامها، وخلفها ؛ فقطعت عروقها ، ثم جاء ت تخد في الأرض حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم . فقالت : السلام عليك يا رسول الله .

قال الأعرابي : فمر ها فلترجع إلى مكانها .فأمرها ؛ فرجعت ودلت عروقها في منبتها؛ فاستوت فيه .(٢)

وروى مسلم : أنه صلى الله عليه وآله وسلم ذهب يقضي حاجته ؛ فنظر ، فلم ير شيئاً يستتر به ، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي ؛ فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما ؛ فأخذ بغصن من أغصانها ؛ فقال : انقادي معي بإذن الله . فانقات معه حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها؛ فقال : انقادي معي بإذن الله تعالى ؛ فالتأمتا ؛ ثم لما قضى حاجته افترقتا ؛ فقامت كل واحدة منهما على ساق . (٣)

وللإشارة إلى جميع هذه الروايات عبر البوصيري بـ "الأشجار" صيغة الجمع .

١ـ البداية والنهاية ، ابن كثير : ص : ١٢٥، ج:٦ .

ـ ودلائل النبوة ، الإمام البيهقي : ص ١٤٠، ج :٦.

٢ـ دلائل النبوة ، الإمام البيهقي : ص ١٥، ج :٦.

ـ والشفاء ، القاضي عياض ، ص : ٤٢٠.

٣ـ صحيح مسلم ، الإمام مسلم بن حجاج ، كتاب الزهد والرقاق ، الحديث رقم : ٣٠١٢.

٧- قصة أبرهة

قال الإمام البوصيري :

كَـأَنَّهُـمُ هَـرَبًـا أَبْطَـالُ أَبْـرَهَةٍ　　　أَوْ عَسْـكَـرٍ بِالْحَصَىٰ مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي (١)

فـي الـجـزء الأول ذكـر شـاعـرنـا الإمام البوصيري قصة أبرهة والأن نحن نذكر قصة أبرهة ملخصاً :

أبرهة : بـفـتـح الهمزة والراء : ملك اليمن ، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة . وصرفه الشاعر ـ رضي الله عنه ـ للضرورة . ومعنى أبرهة بالحبشة : الأبيض الوجه ، واختلفوا فيه ؛ فقيل له : الحميري ، وقيل : هو أبو كيسوم الجشي ، ويلقب بالأشرم .

أن أبرهة بنى بصنعاء مدينة اليمن كنيسة ليصرف إليها حجاج العرب ؛ فجاء رجل من كـنـانة ؛ فـأحدث فيها ، ولطخ قبلتها بالعذرة وقال ابن سعد رحمه الله تعالى : وكان نفيل بن خبيـب الـخثعمي يعرض له ما يكره فأمهل حتى إذا كان ليلة من الليالي ، لم ير أحدا يتحرك، فـقـام فـجـاء بـعـذرة فلطخ بها قبلته وجمع جيفا فألقاها فيها فغاظ ذلك أبرهة غيظاً شديداً ، وحـلف ليهـد مـنَّ الـكـعبة حـجـراً حـجـراً ، فـجـاء بجيش عظيم ، ومعه فيل عظيم يقال له : "مـحـمـود" ، فـي أفيـال كثيرة إلى مكة ؛ فحين تهيؤوا لدخولها عشي عليهم ، فولوا هاربين، ورمـوا بـحـجارة من سجيل ، كما قال الله تعالى :﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل **٥** ألـم يـجـعل كيدهم في تضليل **٥** وأرسـل عليهم طيراً أبا بيل **٥** تـرميهـم بـحـجارة من سجيل **٥** فجعلهم كعصف مأكول **٥**(٢)﴾ (٣)

١- انظر البيت رقم : ٧ .

٢- سورة الفيل ـ

٣- راجع للتفصيل : سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ابن هشام : ص ٤٥ ، وما بعدها ، ج :١ .

- ودلائل النبوة ، الإمام البيهقي : ص ١١٥ ، ج :١ .
- والبداية والنهاية ، الإمام ابن كثير : ص:١٧٠ ، ج :٢ .
- وكذا تفسير سورة الفيل في جميع كتب التفسير .

٨- معراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم

سَــرَيْــتَ مِنْ حَــرَمٍ لَيْلاً إِلَــىٰ حَــرَمٍ   كَـمَـا سَـرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ (١)

والبيت يشير إلى قصة الإسراء به صلى الله عليه وسلم ، وهي من أشهر المعجزات ، وأوضح الكرامات ، وأصدق البراهين الواضحات ، ورد بها القرآن في سورة الإسراء ، ودلت عليها الأخبار الصحيحة الصريحة وتواترت عن الصحابة ، وانعقد عليها إجماع المسلمين ؛ لأن العلماء أوردوها على روايات مختلفة ، وذهبوا فيها مذاهب عديدة : فقيل : كان الإسراء بالروح فقط ، مناماً . وقيل : بالروح والجسد يقظة. وقيل : بهما كذلك إلى بيت المقدس . وبالروح فقط إلى السماء . والصحيح الذي عليه الجمهور : أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة ، بالروح والجسد . يقظة من مكة إلى بيت المقدس ، ثم إلى السموات العلى ، ثم إلى سدرة المنتهى ، ثم إلى ما شاء الله العلي الأعلى . وذهب جماعة إلى أن الإسراء وقع مرتين ؛ في النوم ، ومــرة في اليقظة . قالوا : مرة النوم توطئة ، وتيسيراً عليه كما بدئت نبوته بالرؤيا الصالحة . وقد اختلفوا فيه ـ أيضاً ـ زماناً ، ومكاناً : والصحيح أنه كان قبل الهجرة بسنة ، وبالغ ابن حزم فنقل عليه الإجماع . وأنه في ليلة سبع وعشرين من رجب ، وأنه من مكة . قيل: من شعب أبي طالب . وقيل : من بيته . وقيل : من بيت أم هانئ .

ثم قال الإمام البوصيري:

وَبِــتَّ تَــرْقَــىٰ إِلَــىٰ أَنْ نِلْـتَ مَنْـزِلَةً   مِـنْ قَـابِ قَـوْسَيْـنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ (٢)

أي : قدرها في القرب المعنوي من الله تعالى ، كما قال الله تعالى : ﴿ ثم دنا فتدلى ٥ فكان قاب قوسين أو أدنى٥ ﴾ . (٣)

أي : أنه كان في القرب كقرب الواحد من الآخر بقدر قوسين أو أقل ، والله سبحانه وتعالى منزه عن المكان . و"من " هنا للبيان .

١- انظر البيت رقم : ١٠٧.

٢- انظر البيت رقم : ١٠٨.

٣- سورة النجم ـ الآية: ٨ ـ٩ .

ولـم يـزل صـلـى الله عـليـه وآلـه وسـلـم في خفارة كما أدبه مع ربه ، وتكميل مرتبة عبـوديتـه ، حتى خرق السماوات ، وجاوز سدرة المنتهى ، و وصل إلى محل من القرب سبق بـه الأوليـن والآخـرين ، فانشقت عنه سحائب الحجب ، وأفيضت عليه أقسام القرب، وأقيم مقاماً غبطه فيه الأنبياء والمرسلون ، وقصر عن الوصول إليه الأولون والآخرون .

وعـن أنـس رضـي الله تعالى عنه : "عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب الـعـزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى " . والمعنى الـجـامـع لهـذه الـروايـات : أن كلاً مـنهما قرب من الآخر كما هو شأن المحبين إذا تلاقوا ، ووجود الحب من الجانبين يستلزم كمال القرب ومزيد الإنعام ، فلذلك أفاض الله تعالى عليه تلك الليلة ما لم يفضه على نبي مرسل ، ولا ملك مقرب .

وقال البوصيري :

وَقَـدَّمَتْكَ جَـمِيْـعُ الأَنْبِيَـاءِ بِهَـا   وَالـرُّسُلِ تَقْدِيم مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ (١)

والبيـت يشيـر إلـى تـقديمه صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء في الصلاة، وإمامته بهم ليلة الإسراء ، كما ثبت ذلك في أحاديث :

منها :"فحانت الصلاة ؛ فأممتهم " .(٢)

ومنها :أنـه صـلـى الله عـليـه وآله وسلم صلى ببيت المقدس مع الملائكة ، وأنه أتي بـأرواح الأنبيـاء ، فـأثـنـوا على الله عزوجل ، وفيه قول إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ : "لقد فضلكم محمد " .(٣)

وفي رواية : "ثم بعث له آدم فمن دونه ، فأمهم تلك الليلة " (٤)

وفـي رواية : " فـلـمـا أتى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المسجد الأقصى ، قام يصلي؛ فإذا النبيون يصلون معه " .(٥)

١- انظر البيت رقم : ١٠٩ـ

٢- صحيح مسلم ، مسلم بن حجاج القشيري ، كتاب الإيمان ، الحديث رقم : ٢٧٨ .

٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر عسقلانى ، باب حديث الإسراء : ج:٧ .

٤- أيضاً .

٥- راجع للتفصيل : مجمع الزوائد الحافظ الهيثمى ، ابواب الإسراء والمعراج : رقم الحديث ٢٤١ .

٩- غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً   فُصُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَىٰ مِنَ الْوَخَمِ (١)

وقد أشار الشاعر في هذا البيت ، غزوة حنين ، غزوة بدر ، وغزوة أحد وهي من غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولآن نذكر من هذه الغزوات بالاختصار .

١- حنين

بالتصغير ، وهو واد بين مكة والطائف ، أحد أسواق الجاهلية ، سمي باسم من نزل به من العماليق ، وهو : حنين بن أمامة . والمراد : سل أهل هذا المكان ؛ فإنه يجيبك بلسان الحال ، تنزيلاً لغير العاقل منزلة العاقل ، إذ كثيراً ما يخاطب الأطلال والرسوم ، والربوع ، والمنازل ، والأزمنة ، والأمكنة ، بالاعتبار للمذكور.

وكانت غزوة حنين بعد فتح مكة في عام ثمان من الهجرة ، وفيها التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون مع المشركين من هوازن وثقيف ، فانهزم الكفار ، وقُتل منهم من قُتل ، وسبيت نساؤهم ، وأولادهم ، وغنمت أموالهم .

٢- بدر

وهو موضع بين مكة والمدينة، إلى المدينة أقرب ، وبه قرية مشهورة ، سمي باسم من نزل به ، وهو بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة ، وقيل : بدر بن الحارث ، حافر بئرها. وقيل: سمي باسم البئر ، وسميت البئر بدراً لاستدارتها كالبدر ، أو لصفائها و رؤية البدر منها . وقال العلامة العسقلاني في "الفتح" : هي قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها ، ويقال بدر بن الحارث ، ويقال بدر اسم البئر التي بها ، سميت بذلك لاستدارتها أو لصفاء مائها فكان البدر يرى فيها. وحكى الواقدي إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بني غفار ، وإنما هي مأوانا ومنازلنا وما ملكها أحد قط يقال له بدر، وإنما

١- انظر البيت رقم : ١٢٨ .

هو علم عليها ، كغيرها من البلاد .(١)

وكانت غزوة بدر من غير قصد ولا ميعاد من المسلمين ، يوم الجمعة ، سبع عشرة خلت من رمضان ، عام اثنين من الهجرة ، وهي وقعة بدر الكبرى ، التي أعز الله بها الإسلام، قتل فيها من صناديد قريش سبعون ، وأسر منهم سبعون . وكان عدد المسلمين فيها ثلاث مائة وبضعة عشر . وعدد الكفار فيها ما ينوف على ألف .

رُوي : إن جبريل عليه السلام نزل في خمس مائة ، وميكائيل في خمس مائة من الملائكة ، في صور رجال عليهم ثياب بيض ، أرخوا أطرافها بين أكتافهم ، راكبين على خيل بلق . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء، ويوم حنين عمائم حمراء ، ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر . وكانوا فيما سواه عدداً و مدداً .(٢)

٣- أحد

بضم الهمزة والحاء المهملة . جبل معروف بالمدينة على أقل من فرسخ منها وكانت الوقعة المعروفة عنده . وسمي أحداً لتوحده وانفراده عن غيره من الجبال .

والجبل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : "أحد جبل يحبنا ونحبه " ـ وكما رواه البخاري عن سهل بن سعد ، والترمذي والطبراني عن أنس ، وأحمد والطبراني عن سويد بن عامر الأنصاري ، وليس له غيره . ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي عبس بن جبر بلفظ : "أحد هذا جبل يحبنا ونحبه على باب من أبواب الجنة وهذا عَيَر يبغضنا ونبغضه ، وإنه على باب من أبواب النار" . ورواه الطبراني عن سهل بن سعد بلفظ : "أحد ركن من أركان الجنة . ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ : أحد جبل يحبنا ونحبه فإذا جئتموه فكلو من شجره

١- انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، العلامة العسقلاني ، كتاب المغازي ، باب قصة البدر ، ص ، ج : ٧.

٢- انظر: مجمع الزوائد ، الحافظ الهيثمي ، ابواب في غزوة بدر،الحديث رقم:٩٩٨٥.

ولو من عضاهه وفي بعض الآثار : "إن أحداً يوم القيامة يكون عند باب الجنة عن داخلها"(١)

وفي بعضها : "إنه ركن من أركان الجنة " .(٢)

وكانت غزوة أحد في شوال عام ثلاثة من الهجرة ، واستشهد فيها من المسلمين سبعون ، منهم : سيدنا وسيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب . وقتل من المشركين اثنان وعشرون ، وكان جمع المشركين ثلاثة آلاف ، وكان المسلمون سبع مائة .

وخص هذه الغزوات بالذكر لأنها أصعب الغزوات ، وأشد ما قاسوا فيها من الشدائد ، وأعظم ما عاينوا فيها من المكايد.

١٠- قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامهاتجم (٣)

والبيت يشير إلى قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رضي الله عنه : ركبت سفينة في البحر فانكسرت ؛ فركبت لوحاً منها ؛ فأخرجني إلى أجمة فيها أسد ؛ فإذا هو قد أقبل علي ؛ فلما رأيته قلت : يا أبا الحارث ...... أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأقبل يبصبص بذنبه ، حتى ضربني بجنبه ، حتى كأنما سمع صوتاً أهوى إليه ، ثم أقبل يمشي إلى جنبي حتى أقامني على الطريق ثم همهم ساعةً؛ فرأيت أنه يودعني ".

وروى البزار بسنده عن سفينة قال : كنت في البحر فانكسرت سفينتنا فلم نعرف الطريق ، فإذا أنا بالأسد قد عرض لنا ، فتأخر أصحابي فدنوت منه فقلت : أنا سفينة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أضللنا الطريق ، فمشى بين يدي حتى أوقفنا على الطريق، ثم تنحى ودفعني كأنه يريني الطريق ، فظننت أنه يودعنا .

١- كشف الخفاء ، الإمام العجلوني، الحديث رقم : ١٣٧ .

٢- انظر : مجمع الزوائد ، الحافظ الهيثمي ، الحديث رقم : ٥٩١١.

٣- انظر البيت رقم : ١٣٥ .

وعند الطبراني بنحوه إلا أنه قال: "فانكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد ، فأقبل إلى يريدني فقلت له : يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطأطأ رأسه وأقبل إلي فدفعني بمنكبه" . والباقي بنحوه . (١)

١- انظر : مجمع الزوائد . للحافظ الهيثمي . كتاب المناقب ما جاء في سفينة رضي الله عنه . الحديث رقم : ١٥٩٧٢ .

البـــــاب الثـــــانـــي

دراسة قـصـيـدة أطيب النغم
لشـــاه ولـــي الله الـدهـلـوي

فيه أربعة فصول

الفصل الأول: ترجمة صاحب أطيب النغم

الفصل الثاني: نص القصيدة أطيب النغم

الفصل الثالث: تعارف وتحليل موضوعات أطيب النغم

الفصل الرابع: الخصائص الفنية لأطيب النغم

الفصل الأول

ترجمة صاحب أطيب النغم

الإمام الشاه ولى الله الدهلوي

(١١١٤هـ - ١١٧٦هـ)

عصر الشاه ولي الله

ويشتمل على

الف- الوضع السياسي في عصر الإمام المحدث الدهلوي ودوره في إصلاح ذلك .

ب- الوضع الاجتماعي والديني في عصر الإمام الدهلوي و دوره في اصلاح ذلك .

ج- الوضع العلمي في شبه القارة الهندية في عصر الإمام الدهلوي .

البيئة التي نشأ فيها الشيخ الدهلوي

نشأ الإمام الدهلوي في عصر كان مليئا بالقلاقل والاضطرابات السياسية ، فكثرت فيه الفتن والشورات والحروب الداخلية كما إنتشرت فيه البدع والخرافات وقل الوازع الديني في المجتمع فركز الإمام الدهلوي على إصلاح هذه الأوضاع وتصحيح المسار العقدي للمسلمين وإزالة البدع والخرافات كما سعى لإيقاظ المسلمين فما كانوا فيه من غفوة وغفلة، وتوجه أيضا إلى الأمراء والحكام والعلماء يذكرهم برسالتهم في المجتمع .

ونستعرض هنا بالإيجاز الأحوال السياسية والإجتماعية والدينية والعلمية في عصره .

ألف ـ الوضع السياسي في عصره ودوره في إصلاح ذلك :

ولد الإمام الدهلوي قبل وفاة أورنك زيب عالمكير (١) (١٠٦٨هـ ـ ١١١٨ هـ) بأربع سنين وتوفى في زمن شاه عالم الثاني (١١٧٣هـ ـ ١٢١٨هـ) الذي إنقضت في عهده دعائم المملكة المغولية تقويضا تاما وإن تبوأ سرير المملكة بعده ملوك لكنهم كانوا ألعوبة بيد الإنكليز ، كل كان أضعف من سابقه . وشهد الإمام الدهلوي الحكومات لأحد عشر إمبراطور مغوليا. وهؤلاء كالآتي :

١ـ محي الدين أورنك زيب عالمگير . الأول من ذي القعدة ـ ١٠٦٨هـ ـ ١١١٧هـ.
ثلاثين من يوليو ـ ١٦٥٨م .

١ـ الملك عالمكير أورنكزيب (١٠٦٨ هـ ١١١٨هـ) . محى السنة ، ويقول عنه الشيخ مسعود عالم الندوي : والحق أن عالم كبير أول ملك من ملوك المسلمين في الهند ، إستمسك بعروة الدين الوثقى وعاش عيشة الزهاد والفقراء ، يقوم ، يقوم الليل ويصوم النهار وهو الذي أعاد للدين المبين في عصره نضرته وشبابه ، وألغى القوانين المناقضة للشرع ، وأكرم العلم والعلماء ، وقضى على البدع والمنكرات ، فالملك عالمكير لا يضاهيه في هذا الشأن ملك من ملوك الهند لا في القديم ولا في الحديث من تاريخها .

- راجع : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ،مسعود عالم الندوي: ص ١٢١، وما بعدها .
- و رود كوثر ،شيخ محمد اكرام: ص٤٥٤، وما بعده .

٢-	بهادر شاه الأول قطب الدين محمد.	٢٨ من ذي القعدة ـ ١١١٨هـ ٣ من مارس ـ ١٧٠٧م .
٣-	جهاندار شاه معزالدين	١٩ من المحرم الحرام ١١٢٤هـ ٢٨ من فبراير ١٧١٢م .
٤-	فرخ سير معين الدين أحمد .	٢٣ من ذي الحجة ١١٢٤هـ. ٩ من جون ١٧١٣م .
٥-	رفيع الدرجات ، شمس الدين محمد أبو البركات.	٨ من ربيع الثاني ١١٣١هـ. ٢٨ من فبراير ١٧١٩م .
٦-	رفيع الدولة شاه جهان ثاني	١٩ من رجب ١١٣١ هـ . ٧ من جون ١٧١٩ م .
٧-	محمد شاه روشن أختر ناصر الدين	٢٥ من ذي القعدة ١١٣١هـ . ٩ من أكتوبر ١٧١٩م .
٨-	أحمد شاه بهادر مجاهد الدين	٢٧ من ربيع الثاني ١١٦١هـ . ٢٧ من ابريل ١٧٤٨م .
٩-	عالمكير ثاني عز الدين محمد	٢ من شعبان ١١٦٧هـ . ٥ من جون ١٧٥٤م .
١٠-	شاه جهان الثالث	٢٠ من ربيع الثاني ١١٧٣هـ. ٣٠ من نوفمبر ١٧٥٩م .
١١-	شاه عالم ثاني جلال الدين محمد	٤ من جمادى الأولى ١١٧٣هـ. ٢٥ من دسمبر ١٧٥٩م . (١)

١- راجع : تاريخ دعوت و عزيمت ، أبو الحسن علي الندوي: ج ٥، ص ٤٢ ـ ٤٨ .

حركة سيخ ومرهته (١):

كـان بهـادر شـاه الأول (الـمتـوفـى سـنة ١١١٨هــ) ضعيف الرأى غير بصير بأمور الملك، قليل الإهتمام بشؤون السياسة .

فـاشتـد في زمنه شوكة الكفار المرهته وفتنهم. وهم قوم ظهروا لأول مرة على مسرح التـاريـخ فـي الـقـرن السـابـع الـميـلادي بقيادة شيواجي الذي جعل من هؤلاء الفلاحين أمة مـحـاربة وألف عـصـابـات ذوات بـأس شـديـد ، فصارت هذه العصابات من دكن ، وألقت الـرعـب حتـى فـي الـمـدن الواقعة قرب غنغا ويعتنق هذا القوم منذ القديم الديانة البرهمية ولا يعدهم الهندوس من مجموعهم إلا شودراة .(٢)

ونهـض هـذا القوم من جديد في هذا القرن فبدوا يظلمون الناس وينتهكون الأعراض و ينهبون الأموال ولم يستطع الملك بهادر شاه الأول مقاومتهم والقضاء على شرورهم ، وأضطر إلى مصالحتهم بقبول بعض شروطهم .

ويـعتبر صنيعة هذا أحد الأسباب التي أدت إلى إنهيار الدولة المغولية فيما بعد ، وظهر أيـضـاً فـي هـذا الـعـصر طائفة السيخ الذين إشتدت فتنهم في بنجاب ، وكانوا يهجمون على الـمسلمين في قراهم ومساكنهم ويسفكون الدماء ويقتلون الرجال والنساء والأطفال دون تمييز ورحمة ويرتكبون مجازر جماعية ولم يستطع الملوك القضاء على شرهم وإخماد ثورتهم.(٣)

ولـقد كتب عن هذه الحالة السيئة الشيخ مسعود عالم الندوي ويقول : "قد خلف من بـعـد أورنك زيـب عـالـمكير المتوفى سنة ١١١٨هـ خلف كل منهم كان أضعف قوة وأدنى بـأسـا من سابقه حتى أصبحت الدولة المغولية على شك الإنقراض ، فنجمت قرون الفتن من

١- في اللغة الاردية سيخ سكھ ، ومرهته ، مرهٹه .

٢- حضارات الهند ،الدكتور غوستاف بولون وعربه عادل زعيتير : ص ١٣٨ .

٣- راجع : تاريخ دعوت و عزيمت ،ابو الحسن علي الندوي: ج٥، ص ٢٨١ وما بعده .

جديد ونفقت سوق البدع والخرافات في المسلمين حسب ما جرت به عادتهم منذ قرون وعادت الثقافة الهندوكية الوطنية ـ التي كان قد تقلص ظلها يجهود السيد المجددو الملك أورنك زيب ـ تسترد سابق عهدها وغابر شأنها ، وكذلك تطاولت الشيعية بأعناقها ، مستظلة برايات أمراء الولايات . مندرجة في أعطافهم وأكنافهم " (١).

أهم ملامح هذا العصر :

النزاع بين الأمراء الإيرانيين والتورانيين .

لقد إشتد النزاع في هذا العصر بين الأمراء الإيرانيين والتورانيين ، فكان البلاط الملكي مقسما إلى طائفتين متنازعتين وهم الأمراء الإيرانيون والتورانيون ، وكانوا يمثلون نزعة أهل السنة والشيعية ، وكان يسعى كل منهما لكثرة شوكة الفريق الثاني والإنتصار عليه .

وظل الفريقان يتصارعان ويتقاتلان من أجل النفوذ والسلطة طوال عصور فرخ سير محمد شاه وأحمد شاه ، وكان الإمبراطور من جهة أخرى ضعيفا أمامهم ، ولم يكن قادرا على حسم هذا النزاعات والقضاء على هذه المؤامرات .

وكانت نتيجة هذا الوضع أن خرجت عدة ولايات عن يد الحكومة المركزية ، فظهرت حكومة شيعية مستقلة في بنغال ودكن زمن إمبراطور محمد شاه (١٧١٩م) وإنفصلت الأقاليم الشمالية مثل كابل وقندهار عن المركز ، وأقام الروهيليون حكومتهم في منطقة روهيل كند و دوآب . وأسس نظام الملك حكومته في دكن عرفت بحكومة آصفية .(٢).

١- راجع : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ،مسعود عالم الندوي: ص ١٣٠ .

٢- راجع : رود كوثر ، شيخ محمد إكرام : ص ٥٩٨-٥٩٩ .

ـ وأصول فقه وشاه ولي الله ،الدكتور مظهر بقا : ص ٦٣- ٦٤.

هجوم نادر شاه علي دلهي ـ عاصمة الهند

هـجم الملك الإيراني نادر شاه على الهند سنة ١١٥١هـ ولعل ذلك كان بدعوة أمراء الشيـعية فـراحـوا يـذبـحون كل صغير وكبير وشيخ ، وشاب ، طفل وإمرأة دون أن يعرفوا إلى الـرحـمة سبيلا . وسلبوا ونهبو وفرغوا المخازن والدكاكين. ويقدر عدد القتلى الذين قتلواهم فـي بـضع ساعات بحوالى ثلاثين ألف شخص (١) وكانت نتيجة هذه كله أن ضعف سلطان الـمسـلـمين وتشتت قوتهم ، وفي مقابل ذلك قوى السيخ ومرهته وأستولوا على عدة مناطق ، مـما دفع الإمام الدهلوي بأن يدعو أحمد شاه أبدالى ومرهتة في منطقة "باني بت" وإنهزمت قواتهم وقتل حوالى مائة ألف جندي من جنود مرهتة وقتل زعيمهم "باؤ بشواص راؤ "(٢).

وهذا الواقع يدل على أن الإمام الدهلوي لم يكن يغفل عن قضايا المسلمين ، بل كان يهتـم بهـا إهتـمـامـاً بالغا ولم يكن داعيا ، عالما ، مؤلفا ، وزعيما روحياً فحسب ، وإنما كان زعيما سياسيا للمسلمين الذي كان يرعى مصالحهم .

(ب) ـ الوضع الإجتماعي والديني في عصر الإمام الدهلوي ودورة في إصلاح ذلـك :

لقد عاش الإمام الدهلوي في عصر الإنحطاط للدولة المسلمة المغولية التي أصبحت مـنـحصرة في جزء صغير لشبه القارة الهندية بعد أن وسع سلطانها جميع أنحاء الهند وظهرت أمارات عديدة داخـل هذه الدولة ، وكان سبب ذلك أن الملوك المغول كانوا قد إنهمكوا في الملذات الحسية البهيمية ، وابتعدوا عن تدبير شؤون الرعية بحكمة وحنكة سياسية .

هـذا الوضع أثر على المجتمع أيضا فنرى أن أخلاق الرعية أيضا كانت قد إنحطت ،

١- راجع : تاريخ دعوت و عزيمت ، ابو الحسن علي الندوي : ج٥، ص ٢٩١.

٢- نفس المرجع ، ص ٣١١ وما بعدها .

وقد انتشر فيهم الفساد والانحلال الخلقي وتشربت الرذيلة والفحشاء بين الخاصة والعامة واضطرب حبل النظام وفقد الأمن ، وقلت وجوه الرزق والكسب الحلال وضاقت الأرزاق وعمت المجاعات .(١)

وقد أشار الإمام الدهلوي إلى هذا الوضع في مؤلفه "التفهيمات الإلٰهية" وبذل قصارى جهده لإصلاح الوضع ، ففي أحد مكتوباته يخاطب الملوك والسلاطين ويقول : أيها الملوك المرضى عند الملأ الأعلى في هذا الزمان أن تسلوا السيوف ثم لا تغمدوها حتى يجعل الله فرقاناً بين المسلمين والمشركين ، وحتى يحق مردة الكفار والفساق بضعفائهم لا يستطيعون لأنفسهم شيئا وهو قوله تعالى "وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"(٢).

فإذا ظهر الفرقان فرضاء الملأ الأعلى أن تنصبوا في كل ناحية وفي كل مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة أيام أميرا عادلا يأخذ للمظلوم حقه من الظالم ويقيم الحدود ، ويجتهدوا أن لا يحصل فيهم بغي وقتال ولا ارتداد ولا كبيرة ، ويفشوا الإسلام ويظهر شعائره ويأخذ بفرائضه كل أحد. ويكون الأمير كل بلد شوكة يقدر بها على إصلاح بلده ولا يكون له شوكة يتمتع بسببها ويعصى على السلطان ، وينصب في كل إقليم كبير أميرا يقلده القتال فقط يكون جمعه إثنا عشر ألفا من المجاهدين لا يخافون في الله لومة لائم يقاتلون كل باغ وعاد . فإذا كان ذلك ، فرضاء الملاء الأعلى ان يفتش حينئذ من النظامات المنزلية والعقود ونحوهما حتى لا يكون شيئ إلا موافق الشرع حتى يأمن الناس من كل وجه .(٣)

١- راجع : رود كوثر ، شيخ محمد إكرام :ص ٥٢٩-٥٣٠ .

- و تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ،مسعود عالم الندوي : ص ١٢٩-١٣٠ .

- وتاريخ دعوت وعزيمت ،ابو الحسن علي الندوي: ج٥ ، ص ٦١وما بعده .

٢- سورة البقرة ، الآية : ١٩٣ .

٣- التفهيمات الإلهية ،الشاه ولي الله : ج ١، ص ٢١٥، ٢١٦.

ويستنكر الإمام الدهلوي انهماك الأمراء في الملذات ويطلب منهم أن يعودوا إلى سبيل الرشاد .

فيقول : "يا أيها الأمراء أما تخافون ألله ؟ اشتغلتهم باللذات الفانية الدائرة ، وتركتم الرعية تأكل بعضها بعضا ، أما شربت الخمور جهرة وأنتم لا تنكرون ؟ أما بنيت منازل ودور للزنا وشرب الخمر والقمار وأنتم لا تغيرون ؟ أما هي البلاد الكبيرة لم يضرب فيها حد منذ ستمائة سنة أو أكثر . من وجدتموه ضعيفا أكلتموه ومن وجدتموه قويا تركتموه وعتوه . خاضت أفكاركم في لذائذ الطعام ونواعم النساء ومحاسن الثياب والدور ، وما رفعتم إلى الله رأسا ، وما ذكرتموه إلا بأنفسكم في حكاياتكم كأنكم تريدون باسم الله انقلاب الزمان . تقولون: الله قادر على كذا تعنون أن الزمان قد ينقلب كذلك " (١).

ويذكر الإمام الدهلوي العسكرين أيضا برسالتهم الجهادية المقدسة وينبه عليهم بأن رسالتهم تمكن في إعلاء كلمة الحق .

فيقول : "أيتها العسكرية أخرجكم الله للجهاد ولتظهروا كلمة الحق وتكبتوا الشرك وأهله فتركتم ما أخرجكم لأجله . وأتخذتم رباط الخيل وحمل السلاح كسبا تستكثرون به أموالكم من غير نية الجهاد وقصده ، وشربتم الخمر والبنج ، وحلقتم اللحى وأعفتيتم الشوارب، وظلمتم الناس ولم تبالوا مما تأكلون .

فوالله إلى الله سوف ترجعون ، فينبئكم بما كنتم تعملون ،كان مرضى الحق فيكم أن تتزيوا يرى الصالحين من الغزاة ، أعفوا اللحى وقصوا الشوارب وصلوا الصلوات الخمس واتقوالله في أموال الناس ، وأصبروا في الحرب والبأساء وتعلموا رخص الصلوات كالقصر والجمع وترك السنن ، والتيمم ، فتمسكوا بها وعضوا على الفرائض . وأصلحوا نياتكم يبارك

١- التفهيمات الإلهية ، الشاه ولي الله : ج ١، ص ٢١٦.

لكم ربكم في أحوالكم وينصركم على أعدائكم".(١)

ويرى الإمام الدهلوي أن الصوفية قد إنحرفوا عن طريق الحق وسببوا في ضلال الناس ويؤكد أن الدعوة إلى الكتاب والسنة هي الصراط المستقيم .

فيقول مخاطبا للصوفية : فأقول : "لأولاد المشائخ المترسمين برسم آبائهم من غير إستحقاق : "يا أيها الناس مالكم تحزبتم أحزابا وأتبع كل ذي رأى رأيه ، وتركتم الطريقة التي أنزلها الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة بالناس ولطفا بهم وهدى لهم . فانتصب كل واحد منكم إماما ودعا الناس إليه وزعم نفسه هاديا مهديا وهو ضال مضل . نحن لا نرضى بهؤلاء الذين يبايعون الناس ليشتروا به ثمنا قليلا ويشوبوا أغراض الدنيا بتعلم علم إذ لا تحصل الدنيا إلا بالتشبه بأهل الهدايا ولا بالذين يدعون إلى أنفسهم ويأمرون بحب أنفسهم . هؤلاء قطاع الطريق دجالون كذابون مفتونون فتانون".

إياكم وإياهم !! ولا تتبعوا إلا من دعا إلى كتاب الله وسنة رسوله ولم يدع إلى نفسه، ولا نرضى بإشاعة الإرشادات الصوفية في المجالس والمحافل . وإنما المرضى الإحسان . أما لكم عبرة في قول الله تبارك وتعالى: "وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل متفرق بكم عن سبيله (٢)" (٣).

وينصح الإمام الدهلوي العلماء والطلاب أيضا ويعيب عليهم الانشغال بعلوم اليونانيين مثل المنطق والفلسفة وعدم الاهتمام بالكتاب والسنة ويستنكر التعصب المذهبي الشديد الذي يصرف الإنسان أحيانا عن اتباع السنة ويجعله يتشبت بمذهبه في مقابل سنة قطعية ثابتة وينصحهم بالعمل بالكتاب والسنة ولو كانت مخالفة لرأى إمامهم.

١- التفهيمات الإلهية ،الشاه ولي الله : ج ١، ص ٢١٦، ٢١٧.

٢- سورة الأنعام ، الآية: ١٥٣.

٣- التفهيمات الالهية ، الشاه ولي الله : ج ١، ص ٢١٤.

يقول الإمام الدهلوي لطلبة العلم : "أيها السفهاء المسمون أنفسكم بالعلماء اشتغلتم بعلوم اليونانيين وبالصرف والنحو والمعاني ، وظننتم أن هذا هو العلم ،وإنما العلم آية محكمة من كتاب الله ، أن تتعلموها بتفسير غريبها وسبب نزولها وتأويل معضلها ، أو سنة قائمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحفظوا كيف صلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف توضأ ؟ وكيف كان يذهب لحاجة ، وكيف يصوم ، كيف يحج ؟ وكيف يجاهد ؟ كيف كان كلامه وحفظه للسانه ، وكيف كانت أخلاقه ؟ فاتبعوا هديه وأعملوا بسنته على أنه هدى وسنة ، لا على أنه فرض و مكتوب عليكم ، أو فريضة عادلة أن تتعلموا ما كان أركان الوضوء؟ وما أركان الصلاة ؟

وما نصاب الزكاة ؟ وما قدر الواجب ؟ وما سهام فرائض الميت ؟ أما السير وما يرغب في الآخرة من حكايات الصحابة والتابعين فهو فضل . أما تعرفون أن الحكم ما حكمه الله ورسوله .

ورب إنسان منكم يبلغه حديث من أحاديث نبيكم فلا يعمل به ويقول إنما عملى على مذهب فلان لا على الحديث ، ثم احتال بأن فهم الحديث والقضاء به من شأن الكمل المهرة ، وإن أئمة . لم يكونوا ممن يخفى عليهم هذا الحديث ، فما تركوه إلا لوجه ظهر لهم فيا الدين من نسخ أو مرجوحية .

إعلموا أنه ليس هذا من الدين في شيء ، إن آمنتم بنبيكم فاتبعوه خالف مذهبا أو وافقه . كان مرضى الحق أن تشتغلوا بكتاب الله وسنة رسوله ابتداء ،فان سهل عليكم الأخذ بهما فبها ونعمت ،وإن قصرت أفهامكم فاستعينوا برأي من مضى من العلماء ما ترونه أحق وأصرح وأوفق بالسنة ، وأن لا تشتغلوا بالعلوم الآلية إلا بأنها آلة ، لا بأنها أمور مستقلة .

أما أوجب الله عليكم أن تشبعوا العلم حتى يظهر شعائر الاسلام في بلاد المسلمين . فلم تظهروا الشعائر وأمرتم الناس بالزوائد وإستكثرتم في أعينهم طلب الحق والدين .

أما ترون البلاد العظام تخلو عن العلماء ، وإن كانوا فهم دون ظهور الشعائر"(١).

مما سبق ذكره يتبين لنا أن هذا العصر كان عصر انحلال وفساد خلقي وديني ، وكانت البدع والخرافات قد انتشرت بين الناس ، فكانوا يحتفلون بيوم العاشوراء وقد إتخذوه منسكا ، وكانوا يفرطرن في الولائم وقد دخلت فيهم عدة تقاليد وعادات غير إسلامية مثل الإمتناع عن الطلاق وإمساك المرأة بعد وفاة زوجها من النكاح وعدم توريث النساء.

يقول الإمام الدهلوي : أقول لجماعات المسلمين عموما خطابا واحدا:"يا معشر بني آدم أفسدتم أخلاقكم ، وغلب عليكم الشح ، واستحود عليكم الشيطان ، وزأرت النساء على الرجال وغمط الرجال على النساء ، واستطبتم الحرام وإستيشعتم الحلال . فوالله إن الله ما كلف نفسا إلا ما تطيق ، عالجوا شهوة فروجكم بالنكاح وإن كثرن . ولا تتكلفوا في نفقتكم وزيكم مما لا يطيقون ، ولا تذروا إمرأة كأنها معلقة ، ولا تضيقوا الأمور على أنفسكم ، فإنكم إن ضيقتم خرجت ، نفوسكم إلى حد الفسق .

يامعشر بني آدم من رزقه الله مسكنا يؤويه ، ومشربا يرويه ، ومطعما يشبعه ، وملبسا يستره ، ومنكحا يحصن فرجه ويعاونه في معيشته، فقد أدى له الدنيا بعدا فيرها فليشكر الله وليتخذ كسبا يكفيه ، وليكن من شأنه القناعة والقصد في المعيشة، وليشتهز الفرصة لذكر الله ، وليحافظ على ثلاثة أوقات الغدوة ، والعيشة ، والسحر ، وليذكر الله بالتهليل والتسبيح وتلاوة القرآن ، واستمعو الحديث واحضروا حلق الذكر .

يامعشر بني آدم اتخذتم رسوما فاسدة تغير الدين. إجتمعتم يوم عاشوراء في الأباطيل. فقوم إتخذه مأتما . أما تعلمون أن الأيام الله والحوادث من مشيئة الله .

وإن كان الحسين رضي الله عنه قتل في هذا اليوم فأي يوم لم يمت فيه محبوب من المحبوبين.

١- التفهيمات الإلهية ، الشاه ولي الله : ج ١، ص ٢١٤، ٢١٥.

وقد اتخذوه لعبا بحرابهم وسلاحهم . وقوم اتخذوه منسكا . أف لصنيعكم !! إجتمعتم يوم البرأة يلعب قوم ويزعم قوم أنه يجب إكثار الأطعمة للموتى . قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، واتخذتم رسوما تضيق عليكم كالإفراط في الولائم وكالإمتناع في الطلاق وكإمساك المرأة بعد زوجها من النكاح.

فضيعتم أموالكم وأوقاتكم في الرسوم وتركتم الهدى الصالح. وكان المرضى أن لا تتخذوا هذه الرسوم ، وأن تتخذوا رسوما سهلة ليس فيها ضيق ، اتخذتم الماتم عيدا كأن إكثار الطعام واجب عليكم ، وضيعتم الصلوات .

وقوم اشتغلوا بمكاسبهم فلم يقدروا على الصلوات ، وفشأ هذا الفساد أنهم ما أخذوا رخص الله ، وقوم بتنحية الوقت وتزجيته بالحكايات والأحاديث ، فلو أنهم اتخذوا مجالسهم في رحب حول المساجد لسهل عليهم الصلوات .

وضيعتم الزكاة وما غني إلا له متعلقون من المحاويج يطعمهم ويواسيهم . ولو أنه نوى الزكاة والعبادة لكفاه وضيعتم صوم رمضان فضيعه قوم أنهم صاروا عسكرية لا يقدرون على الصوم مع ماهم عليه من المحنة .

إعلموا أنكم أسأتم التدبير وصرتم عيالا على السلطان . ولما لم يجد السلطان ما يعطيكم ضيق على الرعية . فما أقبح صنيعكم هذا ! وقوم لا يتسحرون ولا يجتنبون أعمالا شاقة هي بأيدهم اجتنابا ، وذلك من سوء تدبيرهم وعقلهم.

ومقالات ملأ الأعلى في هذا الزمان كثيرة ، والغرفة تنبئ عن البحر الكبير والقليل يكون نموذجا عن الكثير " (١)

وهكذا نلاحظ بإن الإمام الدهلوي كان قلقا ومتألما إزاء الوضع الإجتماعي والديني والأخلاقي المتدهور للمسلمين في الهند ، فحمل لواء الإصلاح والتجديد، وعمت هذه

١- التفهيمات الإلهية ، الشاه ولي الله : ج ١ ، ص ٢١٧،٢١٩.

الحركة جميع طبقات المجتمع بدأ من الحكام والأمراء والعلماء والصوفية وانتهاءاً لطلاب العلم والتجار وعامة الناس .

وقد قدم نصائح لكل طائفة من هذه الطوائف وذكرهم برسالتهم . فهو بلا شك إمام المجددين والمصلحين الأفذاذ المعدودين في هذه الأمة . ولا تزال حركة الإصلاح والتجديد والجهاد التي كان بدأها ورفع لواء ها بعده أنجاله البررة وتلامذتهم وأتباعهم المخلصون ، تنير الطريق للعلماء والزعماء والمصلحين والمثقفين ، والحركات الاسلامية حتى اليوم .

فجزاهم الله أحسن الجزاء.

ج- الوضع العلمي في عصر الإمام ولي الله المحدث الدهلوي

هذا العصر وإن كان عصر الانحطاط الديني والاجتماعي إلا أنه كان في نفس الوقت الازدهار العلمي ورقيه ، فقد إزدهرت فيه مختلف العلوم الإسلامية إزدهارا كبيرا وأظهر علماء أجلاء أسهموا في نشر العلم والثقافة الإسلامية في الهند ، وهو نفس العصر الذي رتب فيه المنهج الدراسي الديني المسمى بـ "درس نظامي" وهذا المنهج سائد في المعاهد والجامعات الدينية في شبه القارة الهندية منذ تلك الفترة إلى يومنا هذا ، بينما أضاف الناس إلى الدرس النظامي كتبا أخرى التي لم تكن داخلة فيه في عصر مرتب هذا المنهج .(١)

وأما مرتب هذا المنهج فهو الشيخ نظام الدين السهالوي اللكهنوي المتوفى ١١٦١هـ، ويقول عنه صاحب نزهة الخواطر الشيخ العلامة عبدالحي الحسني في كتابه:

"هو غيث الإفادة الهتون ، العالم بالربيع المسكون ، أستاذ الأساتذة وإمام الجهابذة والذي تفرد بعلومه وأخذ لواء ها بيده ، لم يكن له نظير في زمانه في الأصول والمنطق

١- راجع : تاريخ دعوت و عزيمت ،ابو الحسن علي الندوي: ج ٥، ص ٥٩.

والكلام" (١). ومنهجه الذي تلقاه الناس بالقبول يشتمل على مختلف فنون العلم .

منها ، الصرف : وفيه الكتب الآتية :

الميزان ، بنج كنج ، وزبدة ، وصرف مير ، والفصول الأكبرية ، والشافعية ، والمنشعب .

وفي النحو: الكتب الآتية :

النحو مير ، وشرح المائة ، وهداية النحو ، والكافية ، وشرح الكافية للجامي إلى مبحث الحال .

وفي البلاغة ، الكتب الاتية :

المختصر ، والمطول ، إلى ما أنا قلت .

وفي المنطق ، الكتب الآتية :

الصغرى ، والكبرى ، والإيساغوجي ، والتهذيب ، وشرح التهذيب ، وقطبي ، ومير قطبي ، وسلم العلوم ، ومير زاهد رسالة ، ومير زاهد ملا جلال.

وفي الحكمة ، الكتب الآتية :

شرح هداية الحكمة للميبذي ، وشرحها للصدر الشيرازي إلى مبحث المكان ، والشمس البازغة للجونفوري.

وفي الرياضة : خلاصة الحساب ، باب التصحيح ، والمقالة الأولى من تحرير الاقليدس ، وتشريح الأفلاك ، والقوشجية ،والباب الأول من شرح الشخميني.

وفي أصول الفقه : الكتب الآتية :

نور الأنوار ، والتلويح إلى مقدمات الأربع ومسلم الثبوت إلى المبادئ الكلامية.

وفي الفقه :الكتب الآتية :

١- راجع : نزهة الخوطر ، علامه عبدالحي : ج٦ ، ص ٣٨٣ وما بعدها .

النصف الأول من شرح الوقاية ، والنصف الثاني من هداية الفقه .

وفي الكلام : الكتب الآتية:

شرح العقائد للتفتازاني إلى السمعيات ، والجزاء الأول من شرح العقائد للدواني وميز زاهد شرح الموافق مبحث الأمور العامة .

وفي التفسير : الكتب الآتية :

الجلالين ، والبيضاوي إلى آخر سورة البقرة .

وفي الحديث:

مشكاة المصابيح إلى كتاب الجمعة.

وفي المناظرة :

الرشيدية .(١)

نلاحظ بأن الكتاب والسنة المطهرة ليس لهما نصيب وافر في هذا المنهج الدراسي الديني إلا قليل جداء وذلك يدل على الإهمال وعدم الإعتناء لهما في هذا العصر .

قد ظهرت عدة مؤلفات في مختلف فروع العلوم الإسلامية مثل الفقه وأصوله والمنطق والفلسفة ، والأدب العربي ، وكان الاهتمام الأكبر في هذا العصر بكتابة الشروح والحواشي لكتب الفقه وغيرها.

ونوجزهنا بعض أهم انجازات علمية في هذا العصر :

ومن أهم المؤلفات التي كتبت في مجال الفقه وأوصولها والتفسير وعلم الكلام والمنطق والفلسفة وغيرها كالآتى :

١- "نور الأنوار في شرح المنار " صنفه الشيخ العلامة أحمد بن أبي سعيد الأميتهوي. المتوفى سنة ١١٣٠هـ . يقول صاحب نزهة الخواطر فيه :

١- راجع : الثقافة الاسلامية في الهند ،مسعود عالم الندوي: ص ١٦ وما بعدها .

"وهو شرح نفيس ممزوج تلقاه العلماء بالقبول ، تعليقا وتدليسا" .

٢- التفسير الأحمدية ، في مجلد كبير للشيخ المذكور .(١)

٣- سلم العلوم في المنطق للشيخ العلامة محب الله بن عبدالشكور الحنفي المتوفى ١١١٩هـ .

٤- ومسلم الثبوت في الفقه للشيخ المذكور (٢).

وهذا الكتب متداولة في مدارس إسلامية دينية .

٥- كشاف إصطلاحات الفنون ،للشيخ محمد أعلى الحنفي التهانوي . صنفه في سنة:١١٥٨هـ .(٣)

٦- سبحة المرجان في آثار هندوستان: للشيخ العلامة الكبير غلام على بن نوح البلكرامي .

٧- ومأثر الكرام في تاريخ بلكرام .

أحد العلماء المشهورين المتوفى سنة ١٢٠٠هـ(٤)

٨- ثواقب التنزيل في تفسير القرآن ، مختصر على نهج التفسير الجلالين في البلاغة.

٩- ولطائف العلية في المعارف الإلهية ، للشيخ العلامة علي أصغر قنوجي المتوفى سنة ١١٤٠هـ .

أنه درس ستين سنة في القنوج في الهند .(٥)

١٠- حاشية على شرح الهداية للصدر الشيرازي.

١١- وحاشية على شمس البازغة للجونفوري .

١- راجع : نزهة الخوطر ، العلامه عبدالحي :ج٦ ، ص ١٩، ٢٠، ٢١.

٢- نفس المرجع ، ج٦ ، ص ٢٥٠، ٢٥١.

٣- نفس المرجع، ج٦ ، ص ٢٧٨.

٤- نفس المرجع ، ج٦ ، ص ٣٠٢.

٥- نفس المرجع، ج٦ ، ص ١٨٧.

١٢- وشرح مسلم الثبوت في الأصول .

١٣- وشرح على سلم العلوم ، وهذه الحواشي والشروح للشيخ العلامة : محمد حسن الكهنوي المتوفى سنة ١١٩٩هـ ، أحد أذكياء العالم .(١)

١٤- شرح سلم العلوم المعروف بحمدالله ، للشيخ العلامة حمدالله السنديلوي ،كان من أساتذة المشهورين في أرض الهند ـ المتوفى سنة ١١٦٠هـ (٢).

وخلاصة الكلام أن في عصر الإمام ولي الله الدهلوي ظهر العلماء الأجلاء البارزون الذين في مختلف فنون العلم ، وقاموا بنشرها وتدريسها وبذلوا قصارى جهودهم في هذه المجالات مجال التفسير والحديث ، فمن الله سبحانه وتعالى على أهل الهند ، وجاء الإمام الدهلوي ، انه شمر عن ساق الجد والاجتهاد ، ونشر علم الحديث الشريف وشرح كتبه ، وركز جهوده في هذا الميدان . وأعطى الحديث النبوي الشريف المكانة العليا من فنون العلم وأدخله في المعاهد الدينية تلقاه العلماء والطلاب بالقبول. وبدوأ تدريس الكتب الحديث والاهتمام بها في كل مراحل لحمد أثناء الدراسة في المدارس الدينية .

مولده ونشأته

اسمه ونسبه :

هو الإمام أحمد المعروف بشاه ولي الله ابن عبدالرحيم الدهلوي ابن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور بن أحمد بن محمود بن قوام الدين المعروف بالقاضي قاون ابن القاضي قاسم بن القاضي كبير المعروف بالقاضي بده بن عبدالملك بن قطب الدين بن كمال الدين بن شمس الدين المفتي بن شير ملك بن محمد عطا ملك بن أبي الفتح ملك بن عمر حاكم

١- راجع : نزهة الخوطر ،العلامه عبدالحي: ج٦ ، ص ٢٩٦.

٢- نفس المرجع ، ج٦ ، ص٧٤ ــ ٧٥ .

ــ وراجع لمزيد من التفصيل : الثقافة الإسلامية في الهند، عبدالحي الحسيني ص١٠٢ وما بعدها.

ملك بن عادل ملك بن فاروق بن جرجيس بن أحمد بن محمد بن شهر يار بن عثمان بن هامان بن همايون بن قريش بن سليمان بن عفان عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم .

ويرجع نسبه إلى الإمام موسىٰ كاظم من جانب والدته (١).

مولده :

ولد الإمام ولي الله الدهلوي يوم الأربعاء الرابع من شوال سنة ١١١٤هـ الموافق ٢١ فبراير ١٧٠٣م في عهد الإمبراطور المغولي أورنك زيب عالمكير (٢) بقرية فلت وهي قرية صغيرة بمديرية مظفر نكر (٣) باقليم أتر برديش القريبة من دهلي - عاصمة الهند ، فسماه والده "قطب الدين" أحمد ولي الله .

بشر والده وغيره من الصلحاء بولد صالح اسمه أحمد ولقبه قطب الدين ويعم ذكره الآفاق فكان كما بشر به . (٤)

قدوم أسرته إلى الهند :

يقول الإمام ولي الله الدهلوي في رسالته : أن أول من أتى الهند من أجداده هو جده الثالث عشر الشيخ شمس الدين المفتي الذي قدم إلى روهتك التي تبعد عن دهلي. عاصمة

١- راجع : نزهة الخوطر ، العلامة عبدالحي : ج٦ ، ص ٣٩٨ .
- والإمام ولي الله الدهلوي حياته و دعوته ، ، مولانا محمد بشير: ص ١٧ .
- والإمداد في مآثر الأجداد مشموله أنفاس العارفين ،الشاه ولي الله : ص ٣٣١.
- وانسائيكلوپيديا آف اسلام ، ج٢٣، ص ٩٣ .
- وأصول فقه وشاه ولي الله ،الدكتور مظهر بقا: ص١٢٦ .
- وتاريخ دعوت وعزيمت ،ابو الحسن علي الندوي: ج٥،ص٩٧.
٢- في اللغة الاردية :اورنگ زيب عالمگير .
٣- في اللغة الاردية :مظفر نگر .
٤- تاريخ دعوت و عزيمت ،ابو الحسن علي الندوي : ج٥ ، ص ٩٧.
- واليافح الجني في أسانيد الشيخ عبدالغني ، ص١١٥ .
- وانسائيكلوبيديا آف اسلام ،ج ٢٣، ص٣٩ .
- التفهيمات الالهية ، الشاه ولي الله : ج٢، ص١٥٢ .

الهند ـ ثلاثين ميلا وأستوطنها (١).

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي : ولعله كان قدوم شمس الدين جده الثالث عشر إلى روهتك في نهاية القرن السابع الهجري أو بداية القرن الثامن الهجري (٢) وكان عربيا من قريش كما صرح به الإمام ولي الله الدهلوي بقوله : "كان المفتي شمس الدين عالما جليلاً وعابداً تقيا وكان أول قرشي نزل تلك البلدة فنشر فيها أنوار الإسلام وأحيا شعائره وأزال طغيان الكفر وظلماته "(٣).

وقد أنشأ الشيخ شمس الدين في هذه المدينة المعهد الديني وبذلك أقصى جهده في نشر العلوم الإسلامية وتدريسها وبث دعوة الإسلام في أهلها ، ولما دوى صيته واكتسب علمه ومجده شهرة فائقة إتفق أهل هذه البلدة على أن يكون الشيخ شمس الدين رئيسهم في شؤونهم الدينية والقضائية ثم لم يزل هذا المنصب في أولاده الذين توارثوا العلم والورع فتولى بعد وفاته المفتي كمال الدين بن الشيخ شمس الدين ثم تسلسل عهدة القضاء في ذريته إلى الشيخ محمود بن قوام الدين الذي تولى هذا المنصب مدة ثم تركه واختار الجندية وقضى حياته في جهاد الكفار وقتالهم ثم تبع أولاده إلى جد الإمام ولي الله الدهلوي وجيه الدين الشهيد .(٤)

جده الشيخ وجيه الدين الشهيد رحمه الله

كان جده الحقيقي وجيه الدين الشهيد عالماً ضليعا وكان يتصف بصفة التقوى والشجاعة وكان يتلو جزئين من كتاب الله كل يوم في السفر والحضر ولا يغفل عن تلاوة

١- الإمداد في مآثر الأجداد ، الشاه ولي الله :٣٣٢إلى ٣٣٤-

ـ وتاريخ دعوت وعزيمت ،ابو الحسن علي الندوي: ج٥ ، ص٦٧.

٢- تاريخ دعوت وعزيمت ،ابو الحسن علي الندوي: ج٥ ، ص ٦٧.

٣- الإمداد في مأثر الأجداد ، الشاه ولي الله :ص ٣٣٨.

٤- تاريخ دعوت و عزيمت ، ابو الحسن علي الندوي : ج٥ ، ص٦٩ ، ٧٠ .

ـ والإمام ولي الله حياته ودعوته ،مولانا محمد بشير: ص ١٨ .

القرآن أبداً ولا يتركها في حالة المرض ، وكان جنديا في جيش الإمبراطور "محمد شاه" ثم في جيش الإمبراطور العالم العادل أورنك زيب عالمكير . وقد رزقه الله سبحانه بالبطولة النادرة والشجاعة الفائقة وولاه عالمگير منصبا عليا في جيشه.

يقول الإمام ولي الله الدهلوي عن جده وجيه الدين : أن يوما من الأيام وقع القتال بين جيش الإمبراطور أورنك زيب عالمكير وعدوه وكان يقود هذا القتال ، ولما إشتد القتال وطال ظهرت علامات التعب والكسلان على جيشه وكاد أن ينهزم الجيش المسلم ويفشل . ولما رأي الشيخ وجيه الدين هذا الموقف المؤلم فقفز مع أصحابه الأربعة في المعركة وهجموا على صفوف جيش العدو التي كانت تتقدمها فيلة قوية مدربة ، فضرب الشيخ الفيل ضربة شديدة بسيفه على خرطومه فشقها إلى جزئين من أسفله فصرخ الفيل صرخة شديدة ورجع الفيل قهقريا ، وأنزعج جيش العدو بها ، ثم غلب عليهم الرعب واليأس ونكصوا على أعقابهم. وقدر الله سبحانه وتعالى له الفتح والنصر في هذه المعركة.

ثم قلد أورنكزيب عالمكير سيفه بيد الشيخ وجيه الدين إجلالاً له وتكريما وتقديرا لبطولته العظيمة ومنحه منصباً عليا من أوله فرفض الشيخ هذا المنصب إستغناء بما كان فيه ، وأستشهد الشيخ وجيه الدين في إحدى المعارك التي دارت بين جماعة من المسلمين وبين جماعة من لصوص الكفار الذين كانوا يريدون نهب أموال التجار المسلمين قريباً من مدينة برهانفور .(١)

أبوه الشيخ عبدالرحيم الدهلوي

هو الشيخ العالم الكبير العارف عبدالرحيم بن الشاه وجيه الدين العمري الدهلوي ولد بدهلي سنة ١٠٥٤هـ في عهد الإمبراطور أورنكزيب ونشأ وربي بدهلي ، وأخذ العلوم

١- راجع تاريخ دعوت و عزيمت ،ابو الحسن علي الندوي: ج٥ ، ص ٧١ - ٧٥ .
- والإمام الشاه ولي الله حياته ودعوته،مولانا محمد بشير: ص١٩، ٢٠.
- والإمداد في مآثر الأجداد مشمولة أنفاس العارفين ، الشاه ولي الله : ص ٣٣٨ إلى ٣٤٥.

الإسلامية عن صنوه الشيخ أبي الرضا محمد الدهلوي ، وقرأ عليه الكتب الدراسية وتتلمذ أيضاً على يد محمد زاهد بن أسلم الهروي وأخذ عنه شرح العقائد وإستفاض من الشيخ السيد عبدالله الاكبر آبادي وأخذ عند الطريقة النقشبندية .(١)

وكان عالما متقنا في علوم الحديث وعلوم القرآن والفقه وآداب العربية والفارسية والمنطق والحكمة ، وكان مرجع العلماء والصلحا وكانوا يرجعون إليه في حل المشكلات والمعضلات ، وكان زاهدا ومستجاب الدعوات وقد قصده إليه العامة والعلماء لطب الدعاء في الكربات ، وكان يحب العزلة والإنفراد ويكره زيارة السلاطين.

يقول الإمام ولي الله الدهلوي في كتابه . "أنه كان حافظاً لأكثر الأحاديث الصحاح وكان له ملكة عجيبة في ذكر هذه الأحاديث كلها مع أسانيدها بدون توقف . وإنتهت إليه الرئاسة في علم الحديث في زمانه ولو إنصفت لقلت : ما رأيت أحدا يساويه في العلوم عامة وفي الحديث والفقه خاصة ، ولعل الهند لم تر ما عدا الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي مفسرا ومحدثا فقيها مثله " .

بناء المدرسة الرحيمية في دهلي (عاصمة الهند)

وكان الشيخ يهتم بنشر العلوم الإسلامية وخاصة علوم الحديث ، وأنشأ الشيخ المدرسة الرحيمية " لتدريس الحديث والعلوم الإسلامية ، فكان يأتي إليه طلاب العلم والعلماء لأخذ الحديث وكان يحث العلماء والطلاب على دراسة الحديث وإتقانه، وقضى حياته بتدريس الحديث والعلوم الإسلامية ، وبذل أقصى جهده بنشر هذا العلم الشريف وكان من مجهوداته أن إنتشر علم الحديث في أوساط الطلاب والعلماء وعكفوا على تحصيلها حبا

١- الطريقة النقشبندية فهى للشيخ بهاء الدين محمد نقشبند البخاري ، مدارها على تصحيح العقائد ودوام العبودية ودوام الحضور مع الحق سبحانه .

- انظر: لمزيدمن التفصيل الثقافة الإسلامية في الهند ، مسعود عالم الندوي: ص١٨٤ .

ورغبة . وطار صيته وصيت المدرسة في الآفاق وكانت المدرسة خير مصدر للعلوم في ذلك الزمن .(١)

وذكر العلامة المحدث النواب صديق حسن خان عن أولاده وخلفاء بقوله ، "وكان له أولاد صالحون الشيخ عبدالعزيز ، والشيخ رفيع الدين ، والشيخ عبدالقادر والشيخ عبدالغني. وكلهم كانوا علماء نجباء حكماء فقهاء كأسلافهم وأعمامهم . كيف وهم من بيت العلم الشريف والنسب الفاروقي المنيف . وقد آذن الزمان الآن بانصرام ذلك البيت وأهله فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وكان بيته في الهند بيت علم الدين وهم كانوا مشائخ الهند في العلوم النقلية بل والعقلية . أصحاب الأعمال الصالحات وأرباب الفضائل الباقيات ، لم يعهد مثل علمهم بالدين علم بيت واحد من بيوت المسلمين في قطر من أقطار الهند .

وإن كان بعضهم قد عرف بعض علم المعقول ، وعد على غير بصيرة من الفحول. ولكن لم يكن علم الحديث والتفسير والفقه والأصول وما يليها إلا في هذا البيت. لا يختلف في ذلك مختلف من موافق ولا من مخالف إلا من أعماه الله عن الانصاف وحسنه العصبية والإعتساف، وأين يرى الثرى من الثريا والنبيذ من الحميا . والله يختص برحمته من يشاء."(٢)

تعليمه وتربيته

نشأ الإمام ولي الله المحدث الدهلوي في كنف والده الشيخ عبدالرحيم ، وكان يعتني بتعليمه وتربيته عناية بالغة . وكان الإمام ولي الله يتصف بسرعة الفهم ، وصفاء النفس والميل إلى العلم وكان شديد الذكاء منذ طفولته .

١- راجع : نزهة الخواطر ، العلامة عبدالحي : ج ٦ ، ص١٤٤-١٤٥ .

- والإمام ولي الله حياته ودعوته،مولانا محمد بشير : ص٢١-٣٢.

- وتاريخ دعوت وعزيمت ،ابو الحسن علي الندوي: ج ٥ ، ص ٧٨ إلى ٨٧.

٢- راجع : أبجد العلوم ،نواب صديق حسن الكنوجي: ج ٣، ص ٢٤٣، ٢٤٤ .

وأدخـله أبوه في المدرسة لتحفيظ القرآن وعمره خمسة سنين ، فحفظ القرآن كاملاً فـي سنتين ثم بدأ يتعلم اللغة الفارسية واللغة العربية . واللغة الفارسية كانت اللغة الرسمية ـ ثم أخذ العـلـوم الإسـلامية عـن والده . وشرع في شرح الكافية للعارف الجامي وهو ابن عشر سنين ، وقرأ على أبيه مشكاة المصابيح وطرفاً من صحيح البخاري والشمائل للترمذي وطرفا من البيضاوي والمدارك.

وقرأ الإمام الدهلوي من علم الفقه :

شرح الوقاية والبداية بتمامها إلا طرفا يسيرا

ومن أصول الفقه :

الحسامي وطرفا من التوضيح و التلويح.

ومن المنطق :

شرح الشمية ، وقسطاً من شرح المطالع .

ومن الكلام:

شرح العقائد ،الخيالي ، وشرح المواقف .

ومن السلوك:

العوارف ، رسائل نقشبندية ، وشرح الرباعيات للجامي .

ومن الطب:

موجز القانون.

ومن الحكمة:

شرح هداية الحكمة .

ومن النحو:

شرح الجامي والكافية .

ومن المعاني:

مختصر المعاني والمطول.

ورسالة لوالده في خواص الأسماء والآيات وأجاه ستة مرات ، وبعض الرسائل في الحساب والهندسة والهيئة وغير ذلك.

درس الإمام ولي الله هذه الكتب المذكورة أعلاه على أبيه ، وأخذ الحديث على إمام الحديث في زمانه الشيخ محمد أفضل سيالكوتي وإستفاد منه في الحديث من الصحاح الستة إستفادة كثيرة وكان يخلتف في أثناء الدرس إلى أستاذه ، فتخرج على أبيه في الخامسة عشر من عمره . (١)

لبسه الخرقة الصوفية

أخذ الإمام ولي الله عن والده أشغال طريقة الصوفية ولبس الخرقة الصوفية وكان عمره الرابعة عشر ، وعلمه أبوه آداب الطريقة الصوفية وبايعه أبوه حين كان عمره السابعة عشر وأجازه بأخذ البيعة في مرض موته قائلاً : يده كيدى وقال به مراراً.(٢)

منصب التدريس

تولى الإمام الدهلوي منصب التدريس في مدرسة والده - المدرسة الرحيمية - بدهلي بعد الانتهاء من الدراسة وكان ابن خمس عشرة سنة. واستمر في هذا المنصب إثنى عشرة سنة درس خلالها عدة كتب من التفسير والحديث والفقه والأصول ، وسائر العلوم الدينية والعقلية واشتهر بنبوغه العلمي وتفوقه فجاء إليه طلاب العلم من كل فج عميق.

١- راجع : نزهة الخواطر ،العلامة عبدالحي : ج٦ ، ص٣٩٩.
- والإمام ولي الله حياته ودعوته ، ص ٢٥، ٢٦ .
- وأصول فقه والإمام ولي الله ،الدكتور مظهر بقا: ص ١٢٨، ١٢٩ .
- واليافع الجني ، ص١١٦ .
- و تاريخ دعوت وعزيمت ،ابوالحسن علي الندوي: ج٥، ص ٩٩، ١٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣.

٢- راجع : أنفاس العارفين ، الشاه ولي الله :ص ٤٠٥ .
- والإمام ولي الله حياته ودعوته ،مولانا محمدبشير: ص ٢٧ .
- وتاريخ دعوت وعزيمت ، ابو الحسن علي الندوي : ج٥، ص١٠٤ .

شرح صدره لأخذ العلوم ونزول العلوم على قلبه

قضى الإمام ولي الله إثنى عشرة سنة في تدريس العلوم الدينية والعقلية وفي خلال تدريسها فهم أسرار الدين ومقاصده ونضج فكره وأحكمته التجارب ، وأتقن العلوم وحصل له التبحر في تلك العلوم كلها ، وحصل له الفتح العظيم في التوحيد والجانب الواسع في السلوك ورزقه الله العلوم الوجدانية في التوحيد وخاض في بحار المذاهب الأربعة وأصول فقههم خوضاً بليغاً ونظر في الأحاديث التي تمسكوا بها في الأحكام.(١)

رحلته إلى الحرمين الشريفين

بعد أن قضى الإمام ولي الله إثنى عشرة سنة في تدريس العلوم الإسلامية ،سافر الإمام ولي الله إلى الحرمين الشريفين في عام ١١٤٢ من الهجرة لأداء حج بيت الله الحرام ، ولأخذ علم الحديث ، وكان يبلغ من العمر ثلاثون عاماً . وممن صحبه في هذه الرحلة المباركة خاله الشيخ عبيدالله البارهوي وابن خاله محمد عاشق والشيخ نورالله الصديقي البرهانوي وغيرهم من أصحابه .

١- راجع : نزهة الخواطر ،العلامة عبدالحي: ج٦ ، ص ٣٩٩.
- والإمام ولي الله حياته ودعوته ،مولانا محمد بشير: ص ٢٧ .
- وأصول فقه وشاه ولي الله ، الدكتور مظهر بقا: ص ١٢٩ .

شيوخه في الحرمين الشريفين

أقـام الإمام ولي الله الدهلوي في الحرمين الشريفين سنتين وأخذ الحديث عن شيوخها وعـلماء ها المشهورين ، وصحب علماء الحرمين الشريفين صحبة شريفة ، وأقام سنة ١١٤٤ هـ بـمكة المكرمة وأخذ الحديث والعلوم الإسلامية من شيوخ مكة واستفاد منهم فوائد عظيمة ،ثم حـج بيت الله الحرام ، ثم ذهب إلى المدينة المنورة ودرس الحديث وغيره من العلوم على علماء المدينة المنورة والمحدثين فيها وصحب علماء المدينة المنورة صحبة حسنة .

ومن الشيوخ والعلماء والمحدثين الذين أخذ عنهم في ا لحرمين الشريفين :

١- الشيخ تا ج الدين القلعي المحدث الحنفي ابن القاضي عبدالمحسن

وكـان مـفتيـا بـمكة المكرمة وأخذ الشيخ تاج الدين أكثر كتب الحديث عن الشيخ عبدالله بـن سـالـم الـمـصـري ، والـصـحـيـحـيـن عن الشيخ العجمي . حضر الشيخ ولي الله الـدهـلـوي فـي حلقة درسه ثلاثة أيام حين كان يدرس صحيح البخاري ، فسمع منه أطراف كتـب الـصـحـاح الستة وجزءً من موطأ للإمام مالك بن أنس ومسند الدارمي ، وكتاب الآثار للإمام محمد والمؤطا له وأجازه لسائر الكتب ، وكتب له إجازة في رواية الحديث بقلمه ولم يكتف بالإجازة الشـفـوية وأخذ عنه الحديث المسلسل بالأولية عن الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي المدني وهو أول حديث سمعه منه بعد عودته من المدينة المنورة سنة ١١٤٣هـ.

٢ـ الشيـخ الـمـحـدث أبـو طاهر محمد بن إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي المدني الشافعي:

تتـلـمذ عليه في المدينة المنورة وصحبه مدة وإستفاد منه إستفادة عظيمة ، وسمع منه أحـاديث صحيح البخاري بكاملها حرفا حرفامن أولها إلى آخرها ، ومسند الدارمي كاملا ، وكتاب الأم للإمام الشافعي كاملاً .

وسمع منه شيئاً من صحيح مسلم . وجامع الترمذي ، وسنن أبي داؤد وسنن ابن ماجة ومؤطا للإمام مالك ومسند الإمام أحمد والرسالة للشافعي والجامع الكبير ، والأدب المفرد للبخاري ، والشفاء للقاضي عياض وسمع عليه الأصم فهرس والده من أوله إلى آخره مع التذييل . وكان يناقش معه مباحث مهمة في العلوم . وكان الشيخ أبوطاهر أخص شيوخه في الحجاز وأكثرهم تأثيراً في بناء شخصيته العلمية وتربيته الصالحة وفكرية كما نهل من مكارم أخلاقه وأنوار معارفه . وتأثر الإمام الدهلوي بشخصيته العلمية الفائقة كما تأثر شيخه أبو طاهر بشخصيته الدهلوي العلمية واعترف شيخه بعلمه وفضله وذكاءه . وكتب الشيخ أبوطاهر في إسناده الحديث حين أجازه الإمام ولي الله الدهلوي "فإنه طلب من أمر هو أحق أن يقتبس من مشكوته" .

ونقل صاحب اليانع الجني قول أبي طاهر الكردي في كتابه . أنه قال ، كان - أي الإمام ولي الله - يسند عني اللفظ وكنت أصحح منه معنى.

ولما جاء الإمام الدهلوي إلى شيخه أبي طاهر يستأذنه للعودة إلى الهند قال هذا البيت :

نسيت كل طريق كنت أعرفه   إلا طريقا يؤديني إلى ربعكم (١)

٣- الشيخ المحدث وفد الله ابن الشيخ محمد بن محمد سليمان المغربي المالكي

فقرأ الإمام الدهلوي عليه في مكة المكرمة مؤطا للإمام مالك برواية يحيى بن يحيى كاملا من أوله إلى آخره حرفا حرفا ولما إستجازه رواية الحديث عقد له مجلسا خاصا

١- راجع : أصول فقه وشاه ولي الله ،الدكتورمظهر بقا: ص ١٣١ ، ١٣٢ .
- وتاريخ دعوت وعزيمت ،ابو الحسن علي الندوي ج٥، ص ١١٠ .
- ونزهة الخواطر ،العلامة عبدالحي: ج ٥، ص ٤٠٠ .
- والإمام ولي الله حياته ودعوته ،مولانا محمد بشير: ص ٢٨، ٢٩ .
- واليافع الجني في أسانيد الشيخ عبدالغني، ص ١١٧ .
- وأنسان العين في مشائخ الحرمين مشمولة أنفاس العارفين ، الشاه ولي الله : ص٣٩٦.

وأجازه رواية الحديث ومرويات أبيه محمد بن محمد سليمان المغربي .(١)

٤- الشيخ عمر بن أحمد المكي

يقول الإمام ولي الله الدهلوي في كتابه "وأجازني لجمعيه أي لجميع ما في "صلة الخلف " لابن سليمان وذكر فيه أسانيده السيد عمر ابن بنت الشيخ عبدالله بن سالم عن جده . (٢)

٥- الشيخ عبدالرحمن النخلى

يقول الإمام الدهلوي : أما النخلي فله رسالة . بغية الطالبين لبيان المشائخ المحققين المعتمدين ـ طبع بحيدر آباد دكن ١٣٢٨ هـ ـ جمع فيها أسانيده ، وأجازني لها أبو طاهر عنه وناولينها الشيخ عبدالرحمن النخلي ابن الشيخ أحمد المذكور وأجازني لها عن أبيه .(٣)

٦- الشيخ سالم عبدالله

يقول الإمام الدهلوي : "وأما البصري فألف ولده الشيخ سالم رسالته ـ الإمداد بمعرفة علو الإسناد طبع حيدر آباد دكن ١٣٣٨هـ أجازني بها وبجميع ما تصح روايته عن السيد عمر عن جده الشيخ عبدالله المذكور .(٤)

١- راجع : نزهة الخواطر ،العلامة عبدالحي: ج٦، ص ٤٠٠.
- وتاريخ دعوت وعزيمت ،ابو الحسن علي الندوي : ج٥، ص ١١٢ .
- والإمام الشاه ولي الله حياته ودعوته ،مولانا محمد بشير: ص٢٨.
- وأصول فقه وشاه ولي الله ، الدكتور مظهر بقا: ص ١٣٢ .
- وإنسان العين مشموله أنفاس العارفين، الشاه ولي الله :ص٣٨٥.

٢- راجع أصول فقه وشاه ولي الله ، الدكتور مظهر بقا:ص ١٣٢ .
- والإرشاد إلى مهمات علم الأسناد، الشاه ولي الله : ص ٤٦ .

٣- راجع أصول فقه وشاه ولي الله ،الدكتور مظهر بقا: ص ١٣٢ .
- والارشادإلى مهمات علم الأسناد ، الشاه ولي الله : ص٤٧ .

٤- راجع اصول فقه وشاه ولي الله ،الدكتور مظهر بقا: ص ١٣٢ .
- والإرشاد إلى مهمات علم الأسناد ، الشاه ولي الله :ص٤٦ .

شيوخه في الهند

١- الشيخ عبدالرحيم والد الشيخ ولي الله الدهلوي ، سبق ذكره .

٢- الشيخ محمد أفضل السيالكوتي أيضا سبق ذكره .

٣- الشيخ الحاج محمد فاضل سندي.

يقول الإمام الدهلوي : قال العبد الضعيف ولي الله بن عبدالرحيم عفي عنه قرأت القرآن كله من أوله إلى آخره برواية حفص عن العاصم على الصالح الثقة حاجي محمد فاضل السندي المتوفي سنة ١١٤٥هـ(١).

تلامذته

اشتغل الإمام المحدث الدهلوي بالتدريس والإرشاد والتربية ووقف نفسه لتربية الدعاة والعلماء منذ أن صلب عوده العلمي واستمر على ذلك لمدة تتراوح بين خمس وأربعين وسبع وأربعين سنة.

فتخرج على يده علماء و دعاة بارزون نشروا العلم والثقافة الإسلامية والسنة المطهرة في ربوع شبه القارة الهندية كما حملوا لواء الدعوة الإسلامية والإصلاح الديني والإجتماعي في كل قطر ، وإنتهت إليه الزعامة العلمية في عصره ولتلاميذه دور فعال في جميع نواحي الحياة.

وأذكر بعض مشاهير تلامذته وخلفائه :

١- **إبنه العلامة المحدث الشاه عبدالعزيز** (١١٥٩هـ-١٢٣٩هـ) تخرج على والده الإمام ولي الله الدهلوي ودرس عليه من الحديث والتفسير والفقه وغيرها من العلوم وكان خليفته و وارث علومه وفضائله .

ويقول عنه الشيخ مسعود عالم الندوي: "وقد انتفع به خلق عظيم ممن لا يأتي عليهم

١- راجع أصول فقه وشاه ولي الله ،الدكتور مظهر بقا: ص ١٣١ .
- ومقدمة فتح الرحمن ، الشاه ولي الله : ص ٤ .

الإحصاء ، وافترقت شهرته حدود الهند وأمه المتعطشون من أقصى بلاد العالم وأدناه ".(١)

اشتغل بتدريس العلوم الإسلامية وخاصة الحديث مدة طويلة تزيد عن ستين سنة وتخرج على يده كبار المحدثين والفقهاء .

وألف كتبا قيمة ، منها:

١ـ تفسير القرآن المسمى التفسير العزيزي في مجلدات ، ضاع معظمه فلم يبق منه إلا الجزء الأول والأخير .

٢ـ بستان المحدثين .(في تذكرة كتب الحديث والمحدثين).

٣ـ والعجالة النافعة في أصول الحديث وهي رسالة صغيرة بالفارسية .

٤ـ والسر الجليل في مسألة التفضيل في مراتب خلفاء الأربعة الراشدين.

٥ـ تحفة الإثني عشرية في الرد على مذهب الشيعة . كلها باللغة الفارسية.

٢ـ **ابنه الشيخ رفيع الدين :** (١١٦٣هـ ـ ١٢٣٣هـ) درس العلوم والحديث على يد أخيه الشيخ عبدالعزيز المحدث الدهلوي وإتقن في العلوم الدينية والعقلية ، وإكتسب الشهرة بالجود والكرم وخدمة الخلق ، وقام بالتدريس في مكان أخيه المحدث عبدالعزيز حين كف بصره وأصابته الأمراض ، ومن أهم مؤلفاته : ترجمة القرآن باللغة الأردية وهذه الترجمة مهمة جداً في الإفادة من كتاب الله عز وجل حيث انتفع بها خلق كثير من أهل اللغة الأردية.

٣ـ **ابنه الشاه عبدالغني** (المتوفى سنة ١٢٢٧هـ):

توفى رحمه الله وهو حدث السن لم يخدم الدين والأمة شيء يذكر في بطون التاريخ إلا أن الله رزقه مولودا وهو الشاه إسمعيل الشهيد صاحب مؤلفات كثيرة.

٤ـ **ابنه الشيخ الشاه عبدالقادر** (المتوفى ١٢٣٠هـ) كان معروفا بالتواضع والحلم

١ـ راجع : تاريخ الدعوة الأسلامية في الهند ،مسعود عالم الندوي: ص ١٦١ .

والصلاح والتقى وكان يحب العزلة والإنفراد ، اشتغل بالتدريس والإرشاد فاستفاد به أناس كثيرون ، وقام بترجمة كتاب الله وسماه "بموضح القرآن" وعليها حواش مختصرة ومفيدة باللغة الأردية فالتفع به الناس ، ولا تزال تطبع .

٥- **الشيخ محمد أمين الكشميري الدهلوي** : كان من أجلة أصحاب الإمام ولي الله الدهلوي وكتب له بعض رسائله ، وتوفى ١١٨٧هـ ، أخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي .

٦- **ابن خاله الشيخ الشاه محمد عاشق الفلتي بن عبيدالله بن محمد**: أحد كبار المشائخ لازم . الإمام ولي الله الدهلوي فصحبه وأخذ عنه العلم وكان سافر معه إلى الحرمين الشريفين ، وشاركه في الأخذ على شيوخ مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وتخرج عليه وصار صاحب سر الشيخ الدهلوي وكان بلغ رتبة لم يصل إليها أحد اصحاب الشيخ ،و وارث علوم شيخه ثم نشرها ودرسها وأخذ عنه خلق كثير، وفي مقدمتهم الشاه عبدالعزيز والشاه رفيع الدين الدهلوي أبناء الإمام ولي الله الدهلوي ومن مصنفاته "سبيل الرشاد" في السلوك ، "القول الجلي في مناقب الولي" وغير ذلك، وتوفي نحو سنة سبع وثمانين ومائة وألف.

٧- **الشيخ نورالله الصديقي البرهانوي** : العالم الكبير (المتوفى سنة ١١٨٨هـ) أخذ عن الإمام ولي الله الدهلوي العلوم الإسلامية ، ولازمه مدة طويلة حتى أصبح من كبار العلماء في حياة شيخه . وكان معه في الرحلة الحجازية وأخذ عنه خلق كثير وفي مقدمتهم الشيخ عبدالعزيز بن الإمام ولي الله الدهلوي.

٨- **الشيخ مخدوم معين بن محمد أمين بن طالب الله السندي التتوي** :عالما بازرا في الحديث والكلام والعربية وكان من السند ثم سافر إلى دهلي وأخذ عن الإمام ولي الله الدهلوي ، وله مؤلفات منها ، دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب وكتب الإمام ولي

الله الدهلوي إليه بعض الرسائل . (١)

يقول الشيخ مسعود عالم الندوي في كتابه : ومن نعم الله سبحانه وتعالى عليه أي الإمام ولي الله المحدث الدهلوي أن رزقه الله أنجالا بررة كل منهم طود علم راسخ ، قد استفاد منهم خلق كثير لا يحصى عددهم حتى نهلت أرض شبه القارة الهندية من علوم الكتاب والسنة :

والذي نشاهده اليوم من ذيوع علوم القرآن والسنة وانتشار التعاليم الدينية الصحيحة إنما يرجع فضله إلى الإمام ولي الله الدهلوي وأنجاله النجباء ، فلا تجد اليوم في الهند أحدا ممن له نصيب في العلم إلا وهو يمت بسبب إلى هذا البيت العلمي الكريم، وكذلك ظهر من أحفاد الإمام وتلاميذ أبنائه وتلاميذهم علماء نوروا أرجاء شبه القارة الهند المظلمة بأنوار الكتاب والسنة وأضاؤا أطرافها بمصابيح العلم .

فالحقيقة التي لا شك فيها أن كل ما ظهر في هذه البلاد من تباشير الإصلاح والتجديد ، وما تم على أيدي العلماء والمجاهدين من أهلها من خدمات للدين عظيمة منذ القرن الثاني عشر للهجرة إلى اليوم ، انما هو من ثمرات تلك الدوحة الزكية التي غرسها الإمام ولي الله وتعهدها بالسقي والتشذيب أبناؤه وتلاميذه وتلاميذهم من بعده(٢).

١- راجع : نزهة الخواطر ، العلامة عبدالحي : ج٦ ، ص ٣٢٧، ٣٥١، ٣٩٤، ج٧ ، ص ٢٧٥، ٢٩٦، ٣٠٢.

- والإمام الشاه ولي الله حياته و دعوته، مولانا محمد بشير: ص ٤٩، ٥٠، ٥١ .

- وتاريخ دعوت وعزيمت ،ابو الحسن علي الندوي: ج٥، ص ٣٤٦، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٠ .

- ورود كوثر ،شيخ محمد إكرام: ص٥٨٧، ٥٩٦، ٥٩٧.

٢- راجع : نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند و باكستان ، ص ٤٣، ٤٤، ٤٥.

مشاغله بعد العودة من الحجاز

لـمـا رجـع الإمـام الـدهـلوي من الحرمين الشريفين إلى بلده ـ دهلي ـ استأنف عمله كـمـدرس بـمـدرسـتـه الرحيمية القديمة في دهلي . ودوى صيته في الآفاق وأقبل عليه الناس إقبـالا عـظـيـمـا وأتى إليه طلاب العلم والعلماء والصلحاء والعامة من مدن مختلفة وقرى وبلاد لأخذ العلم والاقتباس من معارفه وخزائنه والاستفادة بها .

إن الإمـام ولـي الله الدهلوي لم يشغل نفسه بتدريس العلوم الإسلامية من المعقولات والـمنقولات على عادة ذلك العصر ، بل أعد وجهز مدرسين متخصصين بها، والعلماء وأسند إليهم تدريسها وتفرغ هو للأعمال المهمة ، وقسم أوقاته وخصصها لإنجازها وهي :

١ـ تدريس الحديث النبوي الشريف

٢ـ الاشتغال بالتأليف .

٣ـ إصلاح الناس بالإرشاد والتذكير .

وحـصـر الإمـام مـجهـوداته على تنفيذ هذه الخطة وقضى معظم أوقاته في العمل لها. ووصلت شهرة علمه وفضله وبنوغه الفكري إلى البلاد والمدن والقرى . وإزداد عدد الوافدين عليه إزديادا كبيراً .

ونبـه الإمـام ولي الله الدهلوي العامة والعلماء إلى دعوة التجديد والإصلاح التي بدأها وركز جهوده وسعيه عليها .

ولـمـا ضـاقـت المدرسة بالطلاب والوافدين عليه من العلماء والصلحاء وعامة الناس ، مـنـحـه الـملك محمد شاه المتوفى سنة ١١٦١هـ بناية واسعة في داخل مدينة دهلي فانتقلت إليهـا المدرسة وتحولت إلى الجامعة . وبهذا الطريق إستطاع الإمام الدهلوي أن ينشئ ويربي جيـلا مـن الـعـلماء والمحدثين والمجاهدين الذين يقومون بقيادة الأمة الإسلامية وإرشادها ، كما استطاع أن يعد ويقدم هذه الثروة مكانة عالية في المكتبة الإسلامية العالمية .(١)

١ـ الإمام الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته، مولانا محمد بشير، بتصرف قليل :ص ٣٧، ٣٨.

ـ وتاريخ دعوت وعزيمت ، ابو الحسن علي الندوي : ج ٥، ص ١١٤، ١١٥.

ـ وأصول فقه وشاه ولي الله ،الدكتور مظهر بقا: ص ١٣٠.

مكانة الإمام الدهلوي العلمية

كان الشيخ ولي الله الدهلوي إماما في علوم الحديث والقرآن وجميع العلوم الإسلامية وحجة للأمة الإسلامية في إيضاح معانيها وحافظ واعيا لمذاهب الأئمة مع إدراك الإختلاف بينها وقادرا على اختيار ما يراه صوابا . وقد نهل من علم السابقين ، وتفرغ للعلم وإنصرف إليه حتى تضلع في العلوم المختلفة كالجسم يتغذي من كل غذاء ملائم ، وبذلك إحتل مكانا رفيعا في التاريخ الإسلامي في شبه القارة الهندية يفتخر به الجيل الحاضر والمقبل . لقد منحه الله ملكات ومواهب عدة في فنون العلم ورزقه ذهناً قادراً وبصيرة ثاقبة وقدرة فائقة في ميادين العلم والمعرفة ، فلم يكن متخصصاً في فن واحد بل كان له با ع طويل في الحديث والتفسير والفقه وعلومها وأسرار الشريعة واختلاف الفقهاء والعلوم الأخرى .

خصه الله بعلوم لم يشرك فيها غيره والعلوم التي أشرك معه فيها غيره من الأئمة الكبار والمحدثين كثيرة . وقد تحدث الشيخ محسن بن يحيى الترهتي عن مكانته العلمية بالتفصيل في كتابه "اليانع الجنى" والذي لخصه صاحب "نزهة الخواطر" وإليكم بعض مقتطفاته: إن نعم الله عليه في العلوم الإسلامية فوق الإحصاء والإستقصاء ، منها :

١- ما أكرمه الله تعالى به من الفصاحة في اللغة العربية والربط الخاص بالفنون الأدبية في النظم والنثر كأنما الإعجاز أو السحر من رقة اللفظ ومعناه وصفاء المورد ومغناه .

٢- ومنها علوم الفقه على المذاهب الأربعة وأصحابهم والإطلا ع على مأخذ المسائل ومناز ع الحجج والدلائل .

٣- ومنها علم تفسير القرآن وتأويل كتاب الله العزيز فمن نظر في كتبه شهد بتوفر حظه منه.

٤- ومنها علم الحديث والأثر مع حفظ المتون وضبط الأسانيد والنظر في دواوين المجاميع والمسانيد ولم يتفق لأحد قبله ممن كان يعتنى بهذا العلم من أهل قطره ما اتفق له من رواية الأثر وإشاعته في الأكناف البعيدة .

٥- ومنها أصول هذه العلوم ومبادئها التي هذبها تهذيبا بليغا وأكثر من التصرف فيها متى يكاد يصح أن يقال بأنه باني أسسها وبارى قوسها.

فأما أصول التفسير فكتابه "الفوز الكبير" فيها شاهد صدق على براعته على كثير من، والحق أنه متفرد بتحقيق هذا الفن وتدقيقه .

وأما أصول الحديث فله باع رحيب ، وقد أشار إبنه عبدالعزيز أن له فيها تحقيقات مستطرقه لم يسبق إليها .

وأما أصول الفقه فانه شرح أصول المذاهب المختلفه وجمعها وبين الفرق بين الأمر الجدلية والأصول الفقهية ورد وجوه الإستنباط على كثرتها إلى عشرة وأسس قواعد الجمع بين مختلف الأدلة وبين قوانين الترجيع.

٦- ومنها علم العقائد وأصول الدين فإنه أتى بأسرار غامضة في تطبيق بالمأثور مما لا يهتدى إليها في الأعصار إلا واحد بعد واحد ممن يجتبيه الله وذلك لأن المتكلم في هذا العلم إما أن يكون صاحب حديث يتهافت على ظواهرة أو صاحب كلام يتعمق في الرأي أو صاحب فقه بتوسط الفريقين أو صاحب ذوق يطمئن إلى ما يتجلى له ، وقد جمع الله تعالى في صدره ما شئته بين هؤلاء .

٧- ومنها آداب السلوك وعلم الحقائق فأنه أفاض من ذوارف المعارف على أهلها سجالا أنه كان جامعا بين الطرق الثلاثة من السمع والفكرة والذوق فلا يتجلى له شيئ من السر الغامض فبقبله إلا بعد ما شهد بصحته شاهدا صدق من المعقول والمنقول .

ولا أقول ـ أي الشيخ الترهتي ـ : إنه لم يشاركه فيها من علماء أرضه ممن عاصرهم أو تأخر زمانه بقليل عن زمانهم إلا انه فضلهم بعلوم وهبية ضمها إلى علومه وهي كثيرة لا تضبط ، فمنها فنون من علم التفسير كبيان العلوم الخمسة القرآنية ، وتأويل الحروف المقطعات في أوائل السور وتوجيه قصص الأنبياء عليهم السلام ، وبيان مبادئها التي نشأت من استعداد النبي صلى الله عليه وسلم ، وبيان مبادئها التي نشأت من استعداد النبي صلى الله

عليه وسلم وقابلية قومه ومن التدبير الذي دبرته الحكمة الإلهية في زمانه فقد ألف ذلك رسالة جيدة سماها، "تأويل الأحاديث".

ومنها ترجمة القرآن بالفارسية على شاكلة النظم العربي في قدر الكلام وخصوص اللفظ وعمومه وغير ذلك وسماها "فتح الرحمن في ترجمة القرآن".

ومنها ما ألقى الله في قلبه وقتا من الأوقات ميزانا يعرف به سبب كل اختلاف وقع في الملة المحمدية على صاحبها الصلاة والتحية ويعرف ما هو الحق عندالله ورسوله وقد ذكر نموذجا من ذلك حين سأل عن الإختلاف في بيان "الإنصاف" و"عقد الجيد" و "الهمعات" وغير ذلك من مصنفاته.

ومنها ما صب الله تعالى في صدره من نور كشف له وجوه أسرار الشريعة ثم شرح صدره لبيانها فبينها على أحسن وجه في "حجة الله البالغة".

وقد قال ابنه الشيخ عبدالعزيز في كتابه إلى أمير حيدر البلكرامي: "وكتاب حجة الله البالغة التي هي عمدة تصانيفه في علم أسرار الحديث لم يتكلم في هذا العلم أحد قبله على هذا الوجه من تأصيل الأصول وتفريع الفروع وتمهيد المقدمات والمبادئ واستنتاج المقاصد منها إلى المجلس والنادي، وإنما يستنشم نفحات قليلة من هذا العلم في كتاب "إحياء العلوم" للغزالي و كتاب "الفوائد الكبرى" للشيخ عزالدين عبدالسلام المقدسي، وربما يوجد بعض فوائد هذا العلم في مواضع من "الفتوحات المكية" و"الكبريت الأحمر" للشيخ ابن عربي وكذا مؤلفات تلميذه الشيخ الكبير الشيخ صدر الدين القونوي قدس سره، وقد جمعها الشيخ عبدالوهاب الشعراني في بحث "كتاب الميزان".

وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد (١)

١- راجع: اليانع الجنى في أسانيد الشيخ عبدالغنى، ص ١١٨ – ١٣٠.

– ونزهة الخواطر، العلامة عبدالحي: ج ٦، ص ٤٠٠ - ٤٠٢.

ويؤكد هذا المعنى ما ذكره عبدالحى الحسني حينما قال في كتابه :

إن الله تعالى ألهمه الجمع بين الفقه والحديث وأسرار السنن ومصالح الأحكام وسائر ما جاء به عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عزوجل حتى أثبت عقائد أهل السنة بالأدلة وطهرها من قذى أهل المعقول وأعطى علم الإبداع والخلق والتدبير والتدلى مع طول وعرض وعلم استعداد النفوس الإنسانية بجيمعها وأفيض عليه الحكمة العملية وتوفيق تشييدها بالكتاب والسنة وتمييز المنقول من المحرف المدخول وفرق السنة السنية من البدعة غير المرضية " .

ويتحدث الإمام الدهلوي عن نفسه في "التفهيمات الإلهية" فيقول :

ومن نعم الله علي ولا فخر أن جعلني ناطق هذه الدورة وحكيمها وقائد هذه الطبقة وقسمها فنطق على لساني ونفث في نفسى فإن نطقت بأذكار القوم وأشغالهم نطقت بجوامعها على مذاهبم جميعها ، وإن تكلمت على نسب القوم فيما بينهم وبين ربهم زويت لى وبسطت في جوانبها ودافيت ذروة سنامها وقبضت على مجامع خطامها وإن خطبت بأسرار اللطائف الإنسانية تعرضت قاموسها وتلمست بأغوسها وقبضت على جلابيبها وأخذت لئلا سببها وإن تمطيت ظهر علوم النفوس ومبالغها فأنا ابو عذرتها آتيهم بعجائب لا تحصى وأعرائب لا تكتنه ولا كتناهها يرجى ، وإن بحثت عن علم الشرائع والنبوات فأن ليث عرينها وحافظ جريئها و وارث خزائنها وباحث مغانيها " .

وقال في موضع آخر من ذلك الكتاب : " لما تمت بي دورة الحكمة ألبسني الله خلعة المجددية فعلمت علم الجمع بين المختلفات " . (١)

١- راجع : نزهة الخواطر ، العلامة عبدالحي : ج٦ ، ص٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

آراء العلماء حول الإمام الدهلوي

قـد أبـدي الأجـلة مـن الـعلماء والشيوخ في الثناء على الإمام الدهلوي رحمه الله التي يظهر منها مبلغ تأثرهم بهذا العالم الجليل .

١ـ فـقد قال شيخه وأستاذه **أبـو طاهر محمد بن إبراهيم المدني** :" إنـه يسند عنى اللفظ وكنت أصحح منه المعنى أو كلمة تشبه ذلك وكتبها ما كتب له وهذا يقرب من قول البخاري في أبي عيسى حين قال له ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بى وليس وراء ه مفخر ترام ولا فوقها منقبة تتمنى " (١).

٢ـ ذكر **الشيـخ غلام على العلوي الدهلوي** فـي المقامات : " إن شيخه مرزا جان جانان الـعـلوي الدهلوي كان يقول : إن الشيخ ولي الله قد بين طريقة جديدة وله أسلوب خاص في تـحـقـيـق آراء المعارف وغوامض العلوم وأنه ربانى من العلماء ولعله لم يوجد مثله في الصوفية الـمـحـقـقـيـن الـذيـن جـمـعـوا بيـن عـلـمـي الظاهر والباطن وتكلموا بعلوم جديدة إلا رجال معدودون".(٢)

٣ـ ذكر **الشيخ الترهتي** فـي كتابه أنه سمع شيخه الأجل العلامة فضل حق بن فضل إمام الـخيـر آبادي مرتين يثنى عليه فيحسن الثناء من ذلك ما سمعه حين كان ببلدة "الور" وكانت وقعت في يده نسخة من كتاب " إزالة الخفاء " فكان أولع بها ويكثر النظر فيها أوان فراغه من دروسـه وسـائـر مـا يشغله من شأنه فلما وقف على كثير منها قال بمحضر من الناس : إن الذي صنف هذا الكتاب لبحر زخار لا يرى له سواحل ، هذا وليس يقع فيه إلا جاهل غبي من الجهال لا يـرجـى أن يستـطـب مـا به من دائه العضال أو حاسد يحسده على ما أكرمه الله تعالى به من علية الخصال وجلية سجايا الشرف والكمال .(٣)

١ـ راجع : اليافع الجنى في أسانيد الشيخ عبدالغني : ص ١١٧ـ ١١٨.

ـ ونزهة الخواطر ،العلامة عبدالحي: ج٦ ، ص٤٠٤ .

٢ـ ونزهة الخواطر ، العلامة عبدالحي : ص ١١٧ .

٣ـ راجع : اليانع الجنى في أسانيد الشيخ عبدالغني : ص١٣١ .

٤- ذكر ابن الشيخ ولي الله ، **الشيخ عبدالعزيز المحدث الدهلوي** في تحفته حيث قال : إنه يصح أن يقال في شأنه أنه آية من آيات الله سبحانه وتعالى ومعجزة من معجزات نبيه صلى الله عليه وسلم .

٥- وقال **نعيم الله البهرائصى** - صاحب الشيخ الفقيه المحدث المظهر جان جانان العلوي الدهلوي ، إنه كان من أكابر الأولياء جامعا بين العلوم الظاهرة والباطنة " . (١)

٦- وقال **الشيخ السيد صديق حسن خان البوفالي** - صاحب المؤلفات القيمة الفريدة - في كتابة "الحطة يذكر الصحاح الستة " في ذكر من جاء بعلم الحديث في الهند :

"ثم جاء الله سبحانه وتعالى من بعدهم بالشيخ الأجل والمحدث الأكمل ناطق هذه الدورة و حكيمها وفائق تلك الطبقة وزعيمها الشيخ ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦ . كما بأولاده الأمجاد وأولاده أولى الإرشاد المشمرين لنشر هذا العلم عن ساق الجد والاجتهاد جاء لهم علم الحديث غضا طريا بعد ما كان شيئاً فريا ، وقد نفع الله بهم وبعلومهم كثيرا من المؤمنين وتقى بسعيهم المشكور من فتن الإشراك والبدع ومحدثات الأمور في الدين ما ليس طاف على أحد من العالمين فهؤلاء الكرام رجحوا علم السنة على غيرها من العلوم وجعلوا الفقه كالتابع له والمحكوم وجاء تحديثهم حيث يرتضيه أهل الرواية ويبغيه أهل الدراية . شهدت بذلك وفتاواهم ونطقت به زبرهم ووصاياهم .

ممن زار بابك لم تبرح جوارحه تروى أحاديث ما أوليت من منن

فالعين عن قرة والكف عن صلة والقلب عن جابر والسمع عن حسن (٢)

١- راجع : اليافع الجني في أسانيد الشيخ عبدالغني، محمد بن يحيى الترهتي: ص ١٣٤ .

٢- راجع : الحطة في ذكر الصحاح الستة ،نواب صديق حسن خان البوفالي: ص١٦١ .

مؤلفات الإمام ولي الله المحدث الدهلوي

لا شك أن فضل الإمام ولي الله المحدث الدهلوي في التأليف والتصنيف لاينكر وكذلك سعة علمه وقدرته على حسن الصياغة والتفنن في العبارة رغم ضيق الوقت ومواجهة للتيارات الفكرية والسياسية في عصره فلم يشغله هذا من تأليفه للكتب وتدوينها وتدريسها وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على عقلية الإمام الدهلوي وذكائه وطول باعه في مجال التصنيف والتدريس .

قد ألف الإمام الدهلوي مجموعة من الكتب والرسائل في عدة أبواب من العلم وقد تركها أمانة للأجيال من بعده في علم التفسير والحديث وعلومهما والعقيدة والتوحيد وأسرار الشرعية وأصول الفقه واختلاف الفقهاء والسيرة النبوية وتراجم أسلافه وشيوخه والتصوف والكلام والصرف والشعر العربي وغيرها من الموضوعات .

واختار الإمام الدهلوي لكتاباته اللغة الفارسية ـ اللغة الرسمية للحكومية الإسلامية الهندية في ذلك الوقت واللغة العلمية لعلماء الهند أيضا واللغة العربية .

وأما مؤلفاته بلغت نحو الستين طبع أكثرها والباقي محفوظ في المكتبات بالهند. وفيما يلي ذكر مؤلفاته .

	اللغة	الكيفية
١ـ القرآن وعلومه		
٢ـ فتح الرحمن في ترجمة القرآن	الفارسية	مطبوع

هذا تفسير موجز مفيد للغاية .

٢ـ المقدمة في قوانين الترجمة	الفارسية	مطبوع

تشتمل على أصول ترجمة القرآن الكريم وهذه رسالة صغيرة .

٣ـ الفوز الكبير في أصول التفسير	الفارسية	مطبوع

كتاب مختصر في أصول التفسير ذكر فيه قواعد فهم معاني القرآن والعلوم الخمسة

القرآنية وتأويل الحروف المقطعات وغيرها من المباحث وعربه بعض أهل العلم .

٤- تأويل الاحاديث في رموز قصص الأنبياء العربية مطبوع

رسالة نفيسة في بيان قصص الأنبياء وشرحها .

٥- فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير العربية مطبوع

كتاب مختصر وهو الجزء الخامس من الفوز الكبير ذكر فيه غريب القرآن وتفسيره مما روى ابن عباس رضي الله تعالى عنه .

٢- الحديث وعلومه

١- أربعون حديثا مسلسلة بالإشراف في غالب سندها العربية مطبوع

٢- الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين

٣- النوادر من أحاديث سيد الأوئل والأواخر العربية مطبوع

٤- المسوى أحاديث الموطأ. شرح موطأ الامام مالك العربية مطبوع

٥- المصفى في أحاديث الموطأ شرحه بالفارسية مع ترجمة متنه العربية مطبوع

٦- تراجم أبواب البخاري وشرح تراجم بعض أبواب البخاري العربية مطبوع

٧- الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد العربية مطبوع

٨- الفضل المبين في المسلسل في حديث النبي الأمين العربية مطبوع

٩- التنبيه فيما يحتاج إليه المحدث والفقيه الفارسية والعربية مطبوع

٣- العقيدة والتوحيد

١- البلاغ المبين في أحكام رب العالمين واتباع خاتم النبيين الفارسية مطبوع

قام الشيخ الدهلوي بالرد في هذه الرسالة على القبوريين .

٢-	حسن العقيدة ـ رسالة صغيرة	العربية	مطبوع

٤- فقه الحديث وأسرار الشريعة

١-	حجة اللّٰه البالغة	العربية	مطبوع

٥- أصول الفقه

١-	عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد	العربية	مطبوع

٦- اختلاف الفقهاء

١-	الإنصاف في بيان الاختلاف	العربية	مطبوع

٧- التصوف والحكمة والمعارف الأخرى

١-	القول الجميل في بيان سواء السبيل	العربية	مطبوع
٢-	فيوض الحرمين	العربية	مطبوع
٣-	الخير الكثير	العربية	مطبوع
٤-	البدور البازغة	العربية	مطبوع
٥-	التفهيمات الإلهية	الفارسية	
	(إجازات ومكاتيب وتاملات)	والعربية	مطبوع
٦-	هوامع شرح حزب البحر	الفارسية	مطبوع
٧-	كشف الغين عن شرح الرباعيتين	الفارسية	مطبوع
٨-	شفاء القلوب	الفارسية	مطبوع
٩-	الطاف القدس	الفارسية	مطبوع
١٠-	مسطحات	الفارسية	مطبوع
١١-	همعات	الفارسية	مطبوع

١٢- لمحات الفارسية مطبوع

١٣- لمعات الفارسية مطبوع

١٤- الانتباه في سلاسل أولياء الله وأسانيد وارثي رسول الله: الفارسية مطبوع

٨- السيرة النبوية والخلافة الراشدة

١- سرور المحزون في سير الأمين المأمون الفارسية مطبوع

ألف ابن سيد الناس في سيرة النبي باسم "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير" وهو كتاب جامع ثم قام بتلخيصه فلخصه تلخيصاً جامعاً وسماه باسم نور العيون في تلخيص سير الأمين والمامون ، وترجم الشيخ المحدث الدهلوي هذا التلخيص إلى الفارسية.

٢- إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء الفارسية مطبوع

موضوع هذا الكتاب هو إثبات خلافة الخلفاء الأربعة الراشدين .

٣- قرة العينين في تفضيل الشيخين الفارسية مطبوع

٩- ترجمته الشخصية وتراجم شيوخه وأسلافه

١- أنفاس العارفين الفارسية مطبوع

وهذا الكتاب مشتمل على سبع رسائل وهي :

١- بوارق الولاية ، يشتمل على ترجمة أبيه الشاه عبدالرحيم .

٢- شوارق المعرفة ، يشتمل على ترجمة عمه أبي الرضاء محمد.

٣- الإمداد في مآثر الأجداد ، يشتمل على تراجم أقرباء ه وأساتذته .

٤- النبذة الأبريزية في اللطفة العزيزية ، يشتمل على ترجمة جده الأعلى من جانب أمه وتراجم أسلافه .

٥- العطية الصمدية في الأنفاس المحمدية ، يشتمل على مناقب جده ابي الأم الشيخ محمد فلتي .

٦-إنسان العين في مشائخ الحرمين ، يشتمل على تراجم شيوخه من الحرمين الشريفين.

٧- الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف .

يشتمل على ترجمته الشخصية .

١٠- المكاتيب

١-	مكاتيب المعارف مع مكاتيب ثلاثة	الفارسية	مطبوع
٢-	المكاتيب المذكورة في كتاب الكلمات الطيبات	الفارسية	مطبوع
٣-	مكتوبات مع مناقب الإمام البخاري وفضائل ابن تيمية	العربية و الفارسية	مطبوع
٤-	المكاتيب المذكورة في كتاب حياة الولى	العربية	مطبوع
٥-	المكاتيب السياسية ورتبها خليق أحمد نظامى ويبلغ عددها أكثر من ٤٠ .	الفارسية	مطبوع

١١- الصرف

١-	صرف مير	الفارسية	مطبوع

١٢- الشعر العربي

١-	قصيدة أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم	العربية	مطبوع
٢-	ديوان شعره العربي	العربية	غير مطبوع

١٣- الرسائل المتفرقة

١-	السر المكتوم في أسباب تدوين العلوم	العربية	مطبوع
٢-	رسالة دانشمندى في التدريس والتأليف	الفارسية	مطبوع

٣-	المقدمة السنية لانتصار الفرقة السنية	الفارسية	مطبوع
٤-	فتح الودود لمعرفة الجنود	العربية	مطبوع
٥-	النخبة في سلسلة الصحبة	العربية	مطبوع
٦-	الاعتصام - أدعية -	العربية	مخطوط
٧-	حاشية رسالة لبس أحمر	العربية	مخطوط
٨-	رسالة في تحقيق مسائل الشيخ عبدالباقي الدهلوي	العربية	غير مطبوع
٩-	المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية	الفارسية	غير مطبوع
١٠-	عوارف	الفارسية	عير مطبوع
١١-	رسالة في رد الروافض	الفارسية	مطبوع
١٢-	واردات	الفارسية	مطبوع
١٣-	نهايات الأصول	الفارسية	غير مطبوع
١٤-	الانوار المحمدية	الفارسية	غير مطبوع
١٥-	فتح الإسلام	الفارسية	غير مطبوع
١٦-	كشف الأسرار	الفارسية	غير مطبوع
١٧-	الأنفاس المحمدية	الفارسية	غيرمطبوع(١)

١- راجع : أصول فقه وشاه ولي الله ،الدكتور مظهر بقا: ص ١٣٥- ١٤٤.
- والإمام شاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته ،مولانا محمد بشير: ص ٣٩ - ٤٤.
- وتاريخ دعوت وعزيمت ،ابو الحسن علي الندوي: ج ٥، ص ٣٩٨ - ٤١٥.
- ونزهة الخواطر،العلامة عبدالحي: ج٦، ص٤٠٧- ٤١٠.
- وتذكرة علماء حديث في الهند ، ابو يحيى نوشهروي : ج١، ص٤٣-٤٦.
- ونفحة الدهلوية في ترجمة الامام ولي الله الدهلوي: ص٦ - ٩.
- واليافع الجني في أسانيد الشيخ عبدالغني ١٣٠- ١٣٢.
- وعلم الحديث ميں برصغيرپاك وهند كا حصه ، ص١٩٤ - ١٩٧.
- وشاه ولي الله اور ان كا خاندان ، الحكيم محمود أحمد بركاتي ، ص ٤٦ وما بعدها .

وفاته

تـوفـى إلـى رحـمة الله سبـحـانـه ظهيـرة يوم السبت تسع وعشرين من شهر المحرم الـحـرام. سـنة سـت وسبـعين ومائة وألف بمدينة دهلي فدفن عندضريح والده خارج البلدة ، وكان عمره إثنان وستون سنة .(١)

١- نزهة الخواطر، العلامة عبدالحي : ج٦ ، ص٤١٥ .

ــ وتاريخ دعوت وعزيمت ، ابو الحسن علي الندوي : ج٥، ص١١٨ .

الفصل الثاني

نص القصيدة أطيب النغم

قصيدة أطيب النغم

الفصل الأول : في بيان النسيب

١- كَأَنَّ نُجُوماً أَوْ مَضَتْ فِي الْغَيَاهِبِ ... عُيُونَ الْأَفَاعِي أَوْ رُؤُوسَ الْعَقَارِبِ

٢- إِذَا كَانَ قَلْبُ الْمَرْءِ فِيْ الْأَمْرِ خَائِراً ... فَأَضْيَقُ مِنْ تِسْعِيْنَ رُحْبُ السَّبَاسِبِ

٣- تَشْغُلُنِيْ عَنِّيْ وَعَنْ كُلِّ رَاحَتِيْ ... مَصَائِبُ تَقْفُوا مِثْلُهَا مِنْ مَّصَائِبِ

٤- إِذَا مَا أَتَتْنِيْ أَزْمَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ ... تُحِيطُ بِنَفْسِي مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِ

٥- تَطَلَّبْتُ هَلْ مِنْ نَاصِرٍ أَوْ مُسَاعِدٍ؟ ... أَلُوذُ بِهِ مِنْ خَوْفِ سُوْءِ الْعَوَاقِبِ

٦- فَلَسْتُ أَرىٰ إِلَّا الْحَبِيْبَ مُحَمَّدًا ... رَسُوْلَ إِلٰهِ الْخَلْقِ جَمَّ الْمَنَاقِبِ

٧- وَمُعْتَصَمَ الْمَكْرُوْبِ فِيْ كُلِّ غَمْرَةٍ ... وَمُنْتَجَعَ الْغُفْرَانِ مِنْ كُلِّ تَائِبِ

الفصل الثاني: في بيان الشفاعة الكبرىٰ التي ذُكرت في الصحيحين

٨- مَلاذُ عِبَادِ اللّٰهِ مَلْجَآءُ خَوْفِهِمْ ... إِذَا جَآءَ يَوْمٌ فِيْهِ شَيْبُ الذَّوَائِبِ

٩- إِذَا مَا أَتَوْا نُوحاً وَّمُوْسىٰ وَآدَماً ... وَقَدْهَا لَهُمْ إِبْصَارُ تِلْكَ الصَّعَائِبِ

١٠- فَمَا كَانَ يُغْنِيْ عَنْهُمْ عِنْدَ هٰذِهِ ... نَبِيٌّ وَّلَمْ يُظْفِرْ هُمْ بِالْمَآرِبِ

١١- هُنَاكَ رَسُوْلُ اللّٰهِ يَنْحُوْ لِرَبِّهِ ... شَفِيْعاً وَّفَتَّاحاً لِبَابِ الْمَوَاهِبِ

١٢ فَيَرْجِعُ مَسْرُوْراً بِنَيْلِ طِلَابِهِ ... أَصَابَ مِنَ الرَّحْمٰنِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ

الفصل الثالث: في بيان نسب النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل النبوة وبشارات الأنبياء السابقين .

١٣- سُلَالَةُ إِسْمَاعِيْلَ وَالْعِرْقُ نَازِعٌ ... وَأَشْرَفُ بَيْتٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ

١٤- بَشَارَةُ عِيْسَى وَالَّذِيْ عَنْهُ عَبَّرُوا ... بِشِدَّةِ بَأْسٍ بِالضُّحُوكِ الْمُحَارِبِ

١٥- وَمَنْ أَخْبَرُوْا عَنْهُ بِأَنْ لَيْسَ خُلْقُه ... بِفَظٍّ وَّفِيْ الْأَسْوَاقِ لَيْسَ بِصَاخِبِ

١٦- وَدَعْوَةُ إِبْرَاهِيْمَ عِنْدَ بِنَاءِهِ ... بِمَكَّةَ بَيْتاً فِيْهِ نَيْلُ الرَّغَائِبِ

الفصل الرابع: في خَلقه و خُلقه و شمائله صلى الله عليه وسلم

١٧- جَمِيلُ الْمَحَيَّا أَبْيَضُ الْوَجْهِ رَبْعَةٌ — جَلِيلُ كَرَادِ يُسَ أَزَجُّ الْحَوَاجِبِ

١٨- صَبِيحٌ مَلِيحٌ أدْعَجُ الْعَيْنِ أَشْكَل — فَصِيحٌ لَّهُ، الإِعْجَامُ لَيْسَ بِشَائِبِ

١٩- وَأَحْسَنُ خَلْقِ اللّٰهِ خُلْقاً وَّ خِلْقَةً — وَأَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ عِنْدَ النَّوَائِبِ

٢٠- وَأَجْوَدُ خَلْقِ اللّٰهِ صَدْرًا وَنَائِلاً — وَأَبْسَطُهُمْ كَفًّا عَلَى كُلِّ طَالِبِ

٢١- وَأَعْظَمُ حُرٌّ لِلْمَعَالِي نُهُوْضُهُ، — إِلَى الْمَجْدِ سَامٍ لِلْعَظَائِمِ خَاطِبِ

٢٢- تَرىٰ أَشْجَعَ الْفُرْسَانِ لَاذَ بِظَهْرِهِ — إِذَا احْمَرَّ بَأْسٌ فِيْ بَئِيسِ الْمَوَاجِبِ

٢٣- وَآذَاهُ قَوْمٌ مِنْ سَفَاهَةِ عَقْلِهِمْ — وَلَمْ يَذْهَبُوا مِنْ دِيْنِهِ بِمَذَاهِبِ

٢٤- وَمَا زَالَ يَدْعُوا رَبَّهُ، لِهُدَاهُمْ — وَإِنْ كَانَ قَدْقَاسَى أَشَدَّ الْمَتَاعِبِ

٢٥- وَمَا زَالَ يَعْفُوْ قَادِراً عَنْ مُسِيْئِهِم — كَمَا كَانَ مِنْهُ عِنْدَ جَبْذَةِ جَاذِبِ

٢٦- مَازَالَ طُوْلَ الْعُمْرِ لِلّٰهِ مُعْرِضاً — عَنِ الْبَسْطِ فِيْ الدُّنْيَا وَعَيْشِ الْمَرَازِبِ

٢٧- بَدِيْعُ كَمَالٍ فِيْ الْمَعَانِيْ فَلاَ امْرَئٌ — يَكُوْنُ لَهُ مِثْلاً وَلاَ بِمُقَارِبِ

الفصل الخامس : في أحوال العرب قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وهو من دلائل النبوة

٢٨- أَتَانَا مُقِيْمُ الدِّيْنِ مِنْ بَعْدِ فَتْرَةٍ — وَتَحْرِيْفِ أَدْيَانٍ وَطُوْلِ مَشَاغِبِ

٢٩- فَيَاوَيْلَ قَوْمٍ يُّشْرِكُوْنَ بِرَبِّهِمْ — وَفِيهِمْ صُنُوفٌ مِنْ وَّخِيْمِ الْمَثَالِبِ

٣٠- وَدِيْنُهُمْ مَا يَفْتَرُوْنَ بِرَأْيِهِمْ — كَتَحْرِيْمِ حَامٍ وَّاخْتِرَاعِ السَّوَائِبِ

٣١- وَيَاوَيْلَ قَوْمٍ حَرَّفُوْا دِيْنَ رَبِّهِمْ — وَافْتَوْا بِمَصْنُوْعٍ لِحِفْظِ الْمَنَاصِبِ

٣٢- فَيَاوَيْلَ مَنْ أَطْرىٰ بِوَصْفِ نَبِيِّهِ — فَسَمَّاهُ رَبَّ الْخَلْقِ إِطْرَآءَ خَائِبِ

٣٣- وَيَاوَيْلَ قَوْمٍ قَدْ أَبَارَ نُفُوْسَهُمْ — تَكَلُّفُ تَزْوِيْقٍ وَّحُبُّ الْمَلَاعِبِ

٣٤- وَيَاوَيْلَ قَوْمٍ قَدْ أَخَفَّ عُقُوْلَهُمْ — تَجَبُّرُ كِسْرىٰ وَاصْطِلَامُ الضَّرَائِبِ

٣٥- فَأَدْرَكَهُمْ فِيْ ذَاكَ رَحْمَةُ رَبِّنَا — وَقَدْ أَوْجَبُوْا مِنْهُ أَشَدَّ الْمَعَاتِبِ

٣٦- فَأَرْسَلَ مِنْ عُلْيَا قُرَيْشٍ نَبِيَّهُ، — وَلَمْ يَكُ فِيْمَا قَدْ بَلَوْهُ بِكَاذِبِ

٣٧- وَمِنْ قَبْلِ هٰذَا لَمْ يُخَالِطْ مَدَارِسَ ... اليَهُودِ وَلَمْ يَقْرَأْ لَهُمْ خَطَّ كَاتِبِ
٣٨- وَأَوْضَحَ مِنْهَاجَ الْهُدىٰ لِمَنِ اهْتَدىٰ ... وَمَنَّ بِتَعْلِيمٍ عَلٰى كُلِّ رَاغِبِ
٣٩- وَأَخْبَرَ عَنْ بَدْءِ السَّمَآءِ لَهُمْ وَعَنْ ... مَقَامٍ مُخَوِّفٍ بَيْنَ أَيْدِى الْمُحَاسِبِ
٤٠- وَعَنْ حُكْمِ رَبِّ الْعَرْشِ فِيمَا يُعِنُّهُمْ ... وَعَنْ حِكَمٍ تُرْوىٰ بِحُكْمِ التَّجَارِبِ
٤١- وَأَبْطَلَ أَصْنَافَ الْخَنٰى وَأَبَادَهَا ... وَأَصْنَافَ بَغْيٍ لِلْعُقُوبَةِ جَالِبِ
٤٢- وَبَشَّرَ مَنْ أَعْطَى الرَّسُولَ قِيَادَهُ ... بِجَنَّةِ تَنْعِيمٍ وَحُورٍ كَوَاعِبِ
٤٣- وَأَوْعَدَ مَنْ يَّابٰى عِبَادَةَ رَبِّهِ ... عَقُوبَةَ نِيرَانٍ وَعِيشَةِ قَاطِبِ
٤٤- فَأُنْجِى بِهِ مَنْ شَآءَ مِنَّا نَجَاتَهُ ... وَمَنْ خَابَ فَلْتَنْدُبْهُ شَرَّ النَّوَادِبِ
٤٥- فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ ... بِحَقٍّ وَّلَا شَيْءَ هُنَاكَ بِرَائِبِ
٤٦- وَقَدْ كَانَ نُورَ اللهِ فِينَا لِمُهْتَدٍ ... وَصَمْصَامَ تَدْمِيرٍ عَلٰى كُلِّ نَاكِبِ

الفصل السادس : في بيان التدبير والتفكّر في شريعته صلى الله عليه وسلم

٤٧- وَأَقْوىٰ دَلِيلٍ عِنْدَ مَنْ تَمَّ عَقْلُهُ ... عَلٰى أَنَّ شَرِبَ الشَّرْعِ أَصْفٰى الْمَشَارِبِ
٤٨- تَوَاطِئُ عُقُولٍ فِيْ سَلَامَةِ فِكْرَةٍ ... عَلٰى كُلِّ مَا يَأْتِىْ بِهِ مِنْ مَطَالِبِ
٤٩- سَمَاحَةُ شَرْعٍ فِيْ رِزَانَةِ شِرْعَةٍ ... وَتَحْقِيقُ حَقٍّ فِيْ إِشَارَةِ حَاجِبِ
٥٠- وَمَكَارِمُ أَخْلَاقٍ وَإِتْمَامُ نِعْمَةٍ ... نُبُوَّةُ تَأْلِيفٍ وَّسُلْطَانُ غَالِبِ
٥١- نُصَدِّقُ دِينَ الْمُصْطَفٰى بِقُلُوبِنَا ... عَلٰى بَيِّنَاتٍ فَهْمُهَا مِنْ غَرَائِبِ

الفصل السابع : في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

٥٢- بَرَاهِينُ حَقٍّ أَوْ ضَحَتْ صِدْقَ قَوْلِهِ ... رَوَاهَا وَ يَرْوِيْ كُلُّ شَبٍّ وَّشَائِبِ
٥٣- مِنَ الْغَيْبِ كَمْ أَعْطَى الطَّعَامَ لِجَائِعٍ ... وَكَمْ مَرَّةٍ اَسْقَى الشَّرَابَ لِشَارِبِ
٥٤- وَكَمْ مِنْ مَّرِيضٍ قَدْ شَفَاهُ دُعَاءُهُ ... وَإِنْ كَانَ قَدْ اَشْفٰى لِوَجْبَةِ وَاجِبِ
٥٥- وَدَرَّتْ لَهُ شَاةٌ لَدَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ ... حَلِيبًا وَلَا تَسْطَاعُ حَلْبَةُ حَالِبِ
٥٦- وَقَدْ سَاخَ فِيْ اَرْضٍ حِصَانُ سُرَاقَةَ ... وَفِيهِ حَدِيثٌ عَنْ بَرَاءِ بْنِ عَازِبِ

٥٧- وَقَدْ فَاحَ طِيباً كَفُّ مَنْ مَّسَّ كَفِّهِ   وَمَا حَلَّ رَأساً جَسَّ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
٥٨- وَأَلْقَى شَقَّى الْقَوْمِ فَرْثَ جُزْوُرِهِمْ   عَلَى ظَهْرِهِ وَاللّٰهُ لَيْسَ بِعَازِبِ
٥٩- فَأُلْقُوْا بِبَدْرٍ فِي قَلِيْبٍ مُخَبَّثٍ   وَعَمَّ جَمِيْعُ الْقَوْمِ شُوْمُ الْمُدَاعِبِ
٦٠- وَاخُبَرَانَ اَعْطَاهُ مَوْلَاهُ نُصْرَةً   وَرُعْباً إِلَى شَهْرٍ مَسِيْرَةَ سَارِبِ
٦١- فَاَوْفَاهُ وَعْدَ النَّصْرِ وَالرُّعْبِ عَاجِلاً   وَأَعْطَى لَهُ فَتْحُ التَّبُوْكِ وَ مَارِبِ
٦٢- وَاَخْبَرَ عَنْهُ اَنْ سَيَبْلُغَ مُلْكُهُ   اِلَى مَا أُرىٰ مِنْ مَّشْرِقٍ وَمَغَارِبِ
٦٣- فَاَسْبَلَ رَبُّ الأَرْضِ بَعْدَ نَبِيِّهِ   فُتُوْحاً تَوَارىٰ مَالَهَا مِنْ مَّنَاكِبِ
٦٤- وَكَلَّمَهُ الأَحْجَارُ وَالْعُجْمُ وَالْحَصٰى   وَتَكْلِمُ هٰذَا النَّوْعِ لَيْسَ بِرَائِبِ
٦٥- وَحَنَّ لَهُ الْجِذْعُ الْقَدِيْمُ تَحَزُّناً   فَاِنَّ فِرَاقَ الْحِبِّ أَدْهَى الْمَصَائِبِ
٦٦- وَأَعْجَبُ تِلْكَ الْبَدْرَ يَنْشَقُّ عِنْدَهُ   وَمَا هُوَ فِيْ إِعْجَازِهِ مِنْ عَجَائِبِ
٦٧- وَشَقَّ لَهُ جِبْرَئِيْلُ بَاطِنَ صَدْرِهِ   لِغُسْلِ سَوَادٍ بِالسُّوَيْدَاءِ لَازِبِ
٦٨- وَأَسْرىٰ عَلٰى مَتْنِ الْبُرَاقِ إِلَى السَّمَآءِ   فَيَاخَيْرَ مَرْكُوبٍ وَيَاخَيْرَ رَاكِبِ
٦٩- وَشَاهَدَ أَرْوَاحَ النَّبِيِّيْنَ جُمْلَةً   لَدىٰ الصَّخْرَةِ الْعُظْمٰى وَفَوْقَ الْكَوَاكِبِ
٧٠- وَشَاهَدَ فَوْقَ الْفَوْقِ أَنْوَارَ رَبِّهِ   كَمِثْلِ فَرَاشٍ وَّافِرٍ مُّتَرَاكِبِ
٧١- وَرَاعَتْ بَلِيْغُ الآيِ كُلَّ مُجَادِلٍ   خَصِيْمٍ تَمَادىٰ فِيْ مُرَاءِ الْمُطَالِبِ
٧٢- بَرَاعَةُ اُسْلُوْبٍ وَّعِجْزُ مُعَارِضٍ   بَلاغَةُ أَقْوَالٍ وَّأَخْبَارُ غَائِبِ
٧٣- وَسَمَّاهُ رَبُّ الْعَرْشِ أَسْمَاءَ مَدْحِهِ   تُبَيِّنُ مَا اَعْطٰى لَهُ مِنْ مَّنَاقِبِ
٧٤- رَؤُوْفٌ رَّحِيْمٌ اَحْمَدُ وَ مُحَمَّدٌ   مُقَفّىٰ وَمِفْضَالُ يُسَمّٰى بِعَاقِبِ

الفصل الثامن :في ذكر شجاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء لآله واصحابه صلى الله عليه وآله وسلم

٧٥- إِذَا مَا أَثَارُوْا فِتْنَةً جَاهِلِيَّةً   تَقُوْدُ بِبَحْرٍ زَاخِرٍ مِّنْ كَتَائِبِ
٧٦- يَقُوْمُ لِدَفْعِ الْبَأْسِ أَسْرَعَ قَوْمَةٍ   بِجَيْشٍ مِّنَ الأَبْطَالِ غُرِّ السَّلَاهِبِ

٧٧- أَشِدَّاءُ يَوْمَ الْبَأْسِ مِنْ كُلِّ بَاسِلٍ ... وَمِنْ كُلِّ قَدْمٍ بِالأَسِنَّةِ لَاعِبِ
٧٨- تَوَارَثَ إِقْدَاماً وَنَيْلاً وَجُرْأَةً ... نُفُوسُهُمْ مِنْ أُمَّهَاتٍ نَجَائِبِ
٧٩- جَزَى اللهُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... جَمِيعاً كَمَا كَانُوا لَهُ خَيْرَ صَاحِبِ
٨٠- وَآلَ رَسُولِ اللهِ لَا زَالَ أَمْرُهُمْ ... قَوِيماً عَلَى إِرْغَامِ أَنْفِ النَّوَاصِبِ
٨١- ثَلَاثُ خِصَالٍ مِنْ تَعَاجِيبِ رَبِّنَا ... نَجَابَةُ أَعْقَابٍ لِوَالِدِ طَالِبِ
٨٢- خِلَافَةُ عَبَّاسٍ وَّدِينُ نَبِيِّنَا ... تَزَايَدَ فِي الأَقْطَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

الفصل التاسع: في ذكر الصالحين الذين رفعوا علم الدين قرنا بعد قرنٍ وفي الدعاء لهم.

٨٣- يُؤَيِّدُ دِينَ اللهِ فِي كُلِّ دَوْرَةٍ ... عَصَائِبُ تَتْلُوا مِثْلُهَا مِنْ عَصَائِبِ
٨٤- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَّدْفَعُونَ عَدُوَّهُمْ ... بِسُمْرِ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ الْقَوَاضِبِ
٨٥- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَّغْلِبُونَ عَدُوَّهُمْ ... بِأَقْوَى دَلِيلٍ مُّفْحِمٍ لِلْمُغَاضِبِ
٨٦- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ بَيَّنُوا شَرْعَ رَبِّنَا ... وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ وَّوَاجِبِ
٨٧- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَّدْرُسُونَ كِتَابَهُ ... بِتَجْوِيدِ تَرْتِيلٍ وَحِفْظٍ مَرَاتِبِ
٨٨- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ فَسَّرُوهُ بِعِلْمِهِمْ ... وَهُمْ عَلَّمُونَا مَا بِهِ مِنْ غَرَائِبِ
٨٩- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ لِلْحَدِيثِ تَوَلَّعُوا ... وَمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ صَحِيحٍ وَّذَاهِبِ
٩٠- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ مُّخْلِصُونَ لِرَبِّهِمْ ... بِأَنْفَاسِهِمْ خِصْبُ الْبِلَادِ الأَجَارِبِ
٩١- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَّهْتَدِي بِعِظَاتِهِمْ ... فِئَامٌ إِلَى دِينٍ مِّنَ اللهِ وَاصِبِ
٩٢- عَلَى اللهِ رَبِّ النَّاسِ حُسْنُ جَزَاءِهِمْ ... بِمَا لَا يُوَافِي حَدَّهُ ذِهْنُ حَاسِبِ

الفصل العاشر : في بيان عشق النبي ﷺ

٩٣- فَمَنْ شَاءَ فَلْيَذْكُرْ جَمَالَ بُثَيْنَةٍ ... وَمَنْ شَاءَ فَلْيَغْزِلْ بِحُبِّ الزَّيَانِبِ
٩٤- سَأَذْكُرُ حُبِّي لِلْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ... إِذَا وَصَفَ الْعُشَّاقُ حُبَّ الْحَبَائِبِ
٩٥- وَأَذْكُرُ وَجْداً قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... حَوَاهُ فُؤَادِي قَبْلَ كَوْنِ الْكَوَاكِبِ

٩٦- وَيَبْدَؤُا مَحْيَاهُ لِعَيْنِي فِي الْكَرى بِنَفْسِي أُفَدِّيهِ إِذًا وَّالأَقَارِبِ
٩٧- وَيُدرِكُنِي فِي ذِكْرِهِ قُشْعَرِيرَةٌ مِنَ الْوَجْدِ لا يَحْوِيهِ عِلْمُ الأَجَانِبِ
٩٨- وَأَلْفى لِرُوحِي عِنْدَ ذٰلِكَ هَزَّةً وَأُنْساً وَّرَوْحاً دُوْنَ وَثْبَةِ وَاثِبِ

الفصل الحادي عشر: في بيان التوسل إلى حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإشارة إلى انتهاء القصيدة

٩٩- وَصَلّى عَلَيْكَ اللّٰهُ يَاخَيْرَ خَلْقِهِ وَيَاخَيْرَ مَأْمُولٍ وَّيَاخَيْرَ وَاهِبِ
١٠٠- وَيَاخَيْرَ مَنْ يُّرْجى لِكَشْفِ رَزِيَّةٍ وَمَنْ جُوْدُه، قَدْفَاقَ جَوْدَ السَّحَائِبِ
١٠١- فَأَشْهَدُ أَنَّ اللّٰهَ رَاحِمُ خَلْقِهِ وَأَنَّكَ مِفْتَاحٌ لِكَنْزِ الْمَوَاهِبِ
١٠٢- وَأَنَّكَ أَعْلَى الْمُرْسَلِيْنَ مَكَانَةً وَأَنْتَ لَهُمْ شَمْسٌ وَّهُمْ كَالثَّوَاقِبِ
١٠٣- وَأَنْتَ شَفِيْعٌ يَّوْمَ لَا ذُوْ شَفَاعَةٍ بِمُغْنِي كَمَا أَثْنٰى سَوَادُ بْنُ قَارِبِ
١٠٤- وَأَنْتَ مُجِيْرِيْ مِنْ هُجُوْمٍ إِذَا أَنْشَبَتْ فِي الْقَلْبِ شَرَّ الْمَخَالِبِ
١٠٥- فَمَا أَنَا أَخْشٰى أَزْمَةً مُدْلَهِمَّةً وَلا أَنَا مِنْ رَّيْبِ الزَّمَانِ بِرَاهِبِ
١٠٦- فَإِنِّي مِنْكُمْ فِي قِلَاعٍ حَصِيْنَةٍ وَحَدِّ حَدِيْدٍ مِنْ سُيُوْفِ الْمُحَارِبِ
١٠٧- وَلَيْسَ مَلُوْماً عَيُّ صَبٍ أَصَابَه، غَلِيْلُ الْهَوىٰ فِي الأَكْرَمِيْنَ الأَطَائِبِ

الفصل الثالث

تعارف

و

تحليل موضوعات أطيب النغم

تعارف قصيدة أطيب النغم وتحليل موضوعاته :

تشتمل هذه القصيدةأطيب النغم على ١٠٧ بيتاً واختار لها "البحر الطويل" وقسمها في أحد عشر فصلا وذكر فيها مناقبه ﷺ بأسلوب بديع ، وطراز أخاذ واستخدم لها كلمات فصيحة.

يقول الشاه ولي الله قد وردت في القصيدة المدحية ألفاظ غريبة وصعبة ما جعلني استحسنت أن أقسم هذه القصيدة إلى موضوعات متعددة ينفر د كل فصل لبيان معنى خاص ينضمه .(١)

إن أول موضوع بدأ به الشاه ولي الله قصيدة أطيب النغم في مدح رسول الله ﷺ هو يشتمل على ذكر كوارث الدهر وصروف الزمان التي أحاطت بالدنيا وأهلها وفيهم الشاه رحمه الله تعالى حتى نجده يعبر عن ضيق نفسه وخثر قلبه وبأن مصائب الزمان المتتالية دوما قد شغلته حتى عن نفسه وحتى جعلته يفكر في النجاة عن المصائب السماوية التي تحيط به وبالكون عن جميع الجوانب ، وفي شدة هذه الشدائد والظلمات يلتمس عن خحد يلوذ به من خوف سوء العواقب فلا يجد إلا شخصية رسول الله ﷺ لأنه من يلوذ به ويعتصم يغتنم في هذه الدار وينجح في الآخرة كما يقول الشيخ محمد الفيومي :

وأكرم الرسل يعلو من يلوذ به

وأيضا يقول :

من يصل عليه فاز مغتنما (٢)

وتلكئذ يجد مرامه من عنده فإنه حقا وبلا ريب ناصره ومساعده فصاحب لمناقب الجمة يعتصم به المكروب عند كل ضيق وحرج.

فيقول الشاه ولي الله تعالى في الفصل الأول :

١- أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم للشاه ولي الله الدهلوي ص ٢٤.

٢- الكواكب الدرية في مدح خير البرية ﷺ .

كأن نجوما أومضت في الغياهب | عيون الأفاعي أو رؤوس العقارب
إذا كان قلب المرء في الأمر خاثرا | فأضيق من تسعين رجب السباسب
تشغلني عني وعن كل راحتي | مصائب تقفوا مثلها من مصائب
إذا ما أتتمني أذمة مدلهمة | تحيط بنفسي من جميع جوانب
تطلبت هل من ناصر أو مساعد | ألوذبه من خوف سوء العواقب
فلست أرى إلا الحبيب محمدا | رسول إله الخلق جم المناقب
ومعتصم المكروب في كل غمرة | ومنتج الغفران من كل تائب(١)

وفي **الفصل الثاني** في قصيدته يأتي الشاعر بذكر شفاعة النبي ﷺ ، يذكر الشاه رحمه الله تعالى المنقبة العظيمة من مناقب رسول الله ﷺ فيقول :

أن جميع الناس عند ما تستولي عليهم الحيرة والاضطراب الحازم في ميدان الحشر يوم الفزع الأكبر يوم لا شفيع ولا ناصر ، يوم يجازى المحسنون والآثمون بأعمالهم الماضية في الدنيا ، يريدون الأمن والعافية ويقصدون إلى آدم ونوحا وأبراهيم وموسى وعيسى من الأنبياء الكرام وأولى العزم من الرسل العظام ، وكانت مصائب هذا اليوم الأكبر قد هالت الجميع منهم فيتبادرون إلى المعذرة وعدم التمكن من الاستشفاع لهم من جناب رب العالمين فعندما تنقطع حبال الرجاء من جميعهم فيحضرون في حضرة رسول الله ﷺ الذي هو ملاذ عباد الله وملجأهم في خوفهم يوم القيامة فينحو لربه شفيعا وفتاحا لباب المواهب فيعطيه الرب سؤاله وقد ورد ذكر هذه الشفاعة الكبرى في الصحيحين بالتفصيل (٢).

يقول الشاه ولي الله :

ملاذ عباد الله ملجأ خوفهم | إذا جاء يوم فيه شيب الذوائب
إذا ما أتوا نوحا وموسى وآدما | وقد هالهم أبصار تلك المصائب

١- أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم للشاه ولي الله الدهلوي ص ٣٩،٢٦.

٢- الجامع الصحيح للبخاري ، كتاب الإيمان ، كتاب الصلاة .

فمـا كـان يغنـى عنهـم عند هذه　　　نبـي ولـم يظفرهـم بـالمآرب
هـنـالك رسـول الله يـنحـو لـربـه　　　شـفيعـا وفتـاحـا لباب المواهـب
فيـرجـع مسـرورا بـنيل طـلابـه　　　أصـابـه مـن الرحمن أعلى المراتب

كـان النبـي الأكرم ﷺ خير الناس نسبا وشرفا وسلالة وأبوة وأمومة بل وقد اصطفاه ربه عزوجل على جميع الورى سيد الأنبياء وخاتما للمرسلين .

ذكـر الشـاه ولـي الله رفعة وعلو نسبه ﷺ مادحا بإنه قد حاذه خير الأبوة وبإنه خير الناس نسبا وسلالة . قد رواه مسلم جاء فيه ما معناه (١)

قد اصطفى الله تعالى من ولد إسماعيل نبي كنانة ، ومن بني كنانة قريشا، ثم اصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من أسرة بني هاشم .

ثم ينتقل في **الفصل الثالث** الشـاه ولـي الله بعد ذكره سلالة نسبه ﷺ الشريفة إلى ذكـر النبي ﷺ حيث هو الذي قد سبق وأنه بشربه عيسى ابن مريم عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم .

﴿ وإذا قـال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله　　إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاء هم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ (٢).

ودعا به سيدنا إبراهيم عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم :

﴿ربنـا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾.(٣)

سـلالة إسمـاعيـل والعـرق نـازع　　　وأشـرف بيـت مـن لـوي بـن غـالب

١- الجامع الصحيح للمسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة .

٢- سورة الصف ، الآية ٦ .

٣- سورة البقرة ، ١٢٩ .

بشـــــارة عيسى والذي عنه عبروا   بشـدة بـأس بـالـضحوك المحارب
ومـن أخبـروا عـنـه بـأنـه ليس خلقه   بـفـظ وفـي الأسـواق ليس بصاخب
ودعـــوة إبـــــراهيـم عـنـد بناء ه   بـمـكة بيتـا فيــه نيـل الـرغـائـب

وفي **الفصل الرابع** ينتقل شاعرنا بعد ذكر تبشير الأنبياء الكرام عليهم السلام بالنبي ﷺ (١) إلى أخلاق النبي وشمائله ﷺ والتدبر فيها وفهمها وما ذكر في هذا الموضوع ، يدور حول ذكر الأوصاف الخلقية والشمائل الحسنة ، بجانب ذكر بلاغة اللسان وفصاحة المنطق وفيه أيضا ذكر شجاعته وعلوهمته وجوده وكرمه وسخائه وعفوه وحلمه وزهده ﷺ وغير ذلك كما قال:

جـمـيـل الـمـحيـا أبيـض الـوجـه ربعة   جـلـيـل كـراديـس أزج الـحـواجـب
صبيـح مـليـح أدعـج الـعيـن أشكـل   فـصيـح لـه الأعـجـام ليس بشـائـب
وأحسـن خـلـق الله خـلـقـا وخـلـقـه   أوأنـفـعـهـم لـلـنـاس عـنـد الـنـوائـب
وأجـود خـلـق الله صـدرا ونـائـلا   وأبسـطهـم كـفـا عـلـى كل طـالـب
وأعـظـم حـر لـلـمـعـاني نهـوضـه   إلـى الـمـجـد سـام لـلعظـائم خـاطب
تـرى أشـجـع الـفـرسـان لاذ بـظهـره   إذا احـمـر بـأس فـي بئيـس المواجب
وآذاه قـوم مـن سـفـاهة عـقـلهـم   ولـم يـذهبـوا مـن دينـه بـمـذاهـب
ومـا زال يـدعـو ربـه لهـداهـم   وإن كـان قـد قـاسى أشد المتاعـب
ومـازال يـعـفـو قـادرا عـن مسيئهـم   كـمـا كـان مـنـه عند جبذة جـاذب
ومـا زال طـول الـعـمـر لله معـرضـا   عـن البسـط فـيا الدنيا وعيش المرازب
بـديـع كـمـال فـي الـمـعـاني فلا أمري   يـكـون لـه مثـلا ولا مـقـارب

في **الفصل الخامس** يـأتـي الشاه بالأبيات الساطعة التي تدل على صدق نبوة سيدنا

١ـ أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم للشاه ولي الله الدهلوي ص ٤٤ ـ٤٨ .

محمد ﷺ كان رسول الله ﷺ موضح طريق الحق مبين سبيل الرشاد، صراط الله ، قد اهتدى به من شاء الله تعالى هدايته في حال ، قد جعله الله تعالى صمصاما ، مدمرا كل من عائده وعارضه ولم يهتدوا بنوره الشريف .

ويقول الشاعر:

أتانا مقيم الدين من بعد فترة — وتحريف أديان وطول مشاغب
فياويل قوم يشركون بربهم — وفيهم صنوف من خيم المثالب
ودينهم ما يفترون برأيهم — كتحريم حام واختراع السوائب
ويا ويل قوم حرفوا دين ربهم — وافتوا بمصنوع لحفظ المناصب
ويا ويل قوم قد أخف عقولهم — تجبر كسرى واصطلام الضرائب
ومن قبل هذا لم يخالط مدارس — اليهود ولم يقرأ لهم خط كاتب
وأوضح منهاج الهدى لمن اهتدى — ومن بتعليم على كل راغب
وأخبر عن بدء السماء لهم وعن — مقام مخوف بين أيدي المحاسب
وعن حكم رب العرش فيما يعنهم — وعن حكم تروى بحكم التجارب
وأوعد من يأبى عبادة ربه — عقوبة نيران وعيشة قاطب
فأنجى به من شاء منانجاته — ومن خاب فلتنند به شر النوادب
فأشهد أن الله أرسل عبده — بحق ولا شئ هناك برائب
وقد كان نور الله فينا لمهتد — وصمصام تدمير على كل ناكب (١)

وفي **فصل السادس** يحاول الشاعر ما يغمر قلبه وعقله وإيضاح ما يحتوى عليه ذهنه من صدق نبوة سيدنا الكريم محمد ﷺ مبنيا على علم تام ، وفكر راسخ وقلب يقظ وبين أن الشرع الإسلامي الذي جاء به نبينا الكريم ﷺ هو أصفى المشارب ، وذلك لمن رزقه الله

١- أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم للشاه ولي الله الدهلوي ص ٦٧-٨٥.

عقلا راسخا وفهما كاملا لأن الشرع الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على حضرته القدسية الطاهرة ﷺ يشتمل على حسنين ، إحداهما:

سهولة ويسر أحكامه وسماحة شرائعة القوانينية التطبيقية وأما الثانية: فإنه رغم سهولته ويسره وسماحته شرع رصين متين مؤقر ، أعز الله تعالى، ثم أعز به من اتبعه .

ويقول الشاه ولي الله:

" أن رسول الله النبي الأمي ﷺ متصف بالأخلاق الفاضلة والخصال النبيلة ، والعادات المرغوبة فيها كما أتم الله عليه ﷺ نعمه وفضله ، فأرسله بنبوة تجمع فيه الرأفة بجانب الغلظة والرحمة بجانب الشدة ، والعفو بجانب الغضب والحلم عند المقدرة والسماح عند الطاقة ، فنحن نصدق بنبوته ودينه بصميم قلوبنا ورضاء أنفسنا ، مستمدين أمول تصديقنا له ، ولنبوته ولدينه من الدلائل القاهرة والبينات الواضحة التي فهمها من الغرائب والعجائب ".

وأقوى دليل عند من تم عقله ... على أن شرب الشرع أصفى المشارب
تواطي عقول في سلامة فكره ... على كل ما يأتى من مطالب
سماحة شرع في رزانة شرعة ... وتحقيق حق في إشارة حاجب
ومكارم أخلاق وإتمام نعمة ... نبوة تأليف و سلطان غالب
نصدق دين المصطفى بقلوبنا ... على بينات فهمها من غرائب(١)

وفي **الفصل السابع** يذهب الشاه ولي الله بالقاري بعد إيمانه بالنبي ﷺ وتصديقه لنبوته الحقة ، إلى شيء ثابت آخر ، ألا وهو التدبر والإمعان في معجزات النبي ﷺ المتعددة والتبي هي أفضل الدلائل وأحسنها في إثبات صدق نبوته مايقول به ويرويه عن ربه بعد ما ينزله عليه ربه.

فنجده قائلا : إن براهين الحق أوضحت أقوال النبي ﷺ وصقدقت به ، وقد رواها عنه السابقون وستظل تروي على ألسنة المتأخرين الشباب منهم والشيب ويحصى بعضا من

١- أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم للشاه ولي الله الدهلوي ص ٨٩-٩٣.

هـذه البـراهيـن والـمـعـجـزات ، ومـن أعـجـب معجزاته ﷺ أن ينشق البدر بإشارة يده (بل إصبعه).

أسـرى الله بــه ليـلا وركبــه ﷺ البـراق لـلـمعـراج شـاهد ﷺ أنوار ربـه فوق سبع سماوات، عند سدرة المنتهى ، عند ما كان قاب قوسين أو أدنى .

فقال الشاه ولي الله :

بـراهيـن حـق أوضـحت صدق قولـه — رواهـا ويـروي كـل شـب وشـائـب
مـن الـغيـب كـم أعطى الطعام لجائع — وكـم مـرة أسقى الشراب لشارب
وكـم مـريـض قـد شـفـاه دعـائـه — وإن كـان قـد أسقى لـوجبة واجـب
وأعـجـب تـلك الـبـدر ينـسق عنده — ومـا هـو فـي إعـجـازه مـن عجـائـب
وأسـرى عـلـى متن البراق إلى السماء — فيـاخيـر مـركـوب ويـاخيـر راكـب
وشـاهـد فـوق الـفـوق أنـوار ربـه — كـمثـل فـراش وافـر متـراكـب
وراعـت بـليـغ الآي كـل مـجـادل — خـضـم تـمـادى فـي مـراء المطالب(١)

وفي **الفصل التاسع** الـموضوع الأهم الذي تتناوله أشعار الشاه ولي الله يتعلق بذكره طوائف المسلمين الذين لا يزالون على الدين القويم وينصرونه ، يؤيدونه ، لا يخافون فيه لومة لائم ، ظاهرين على الحق ، فيقول:

إنـه لا بـد أن تـوجـد في كل عصر طائفة مسلمة مؤمنة ظاهرة على الحق مؤيدة لدين الله وتـليـه طـائـفة أخـرى في عصر ما بعده هكذا تتوالى وتستمر الطوائف الموازرة للحق إلى أنواع:

فقال:

يـؤيـد ديــن الله فــي كل دورة — عـصـائـب تتـلـو مثلهـا من عصائب
ومـنـهـم رجـال يـدفـعـون عـدوهـم — بسـمـر الـقـنـا والـمـرهـقـات القواصب

١ـ أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم للشاه ولي الله الدهلوي ص ٩٦ـ ١٢٤ .

ومنهم رجال يغلبون عدوهم | بأقوى دليل مفحم للمغاضب
ومنهم رجال بينوا شرع ربنا | وما كان فيه من حرام و واجب
ومنهم رجال مخلصون لربهم | بأنفاسهم خصب البلاد الأجادب
على الله رب الناس حسن جزاء هم | بمالا يوافى في حده ذهن حاسب(١)

وفي **الفصل العاشر** ينقل الشاه ولي الله من العشق المجازي إلى العشق الحقيقي في أبياته ، ويقول للناس مذاهب ولي مذهب في العشق أي حب النبي ﷺ فهو مذهبي ، وفيه نور الهداية ونجاة الآخرة ، وأحبه الحب الذي يغمر قلبي حتى يقشعر من الوجد جسمي ، وأجدني في كيفية لا يدركها إلا من له باع طويل في مجال التصوف والإنابة إلى الله تصور رسول الله ﷺ فقال الشاه في ذلك ما يأتي :

فمن شاء فليذكر جمال بثينة | ومن شاء فليغزل الزيانب
سأذكر حبي للحبيب محمد ﷺ | إذا وصف العشاق حب الحبائب
وأذكر وجدا قد تقادم عهده | حواه فؤادى قبل كون الكواكب (٢)

وفي نهاية القصيدة البائية نجد الشاعر يخضع مناديا الرسول الكريم ﷺ في ذل وابتهال ، راجيا منه حضرته القدسية الذكية الزاكية العاطرة نواله يوم القضاء وحفظه وصيانته من كل شر وسوء إذا أدلهمت إليه الخطوب والنكبات ، فيتوجه ويستند إليه ويطمع فيه ويرتجي منه كما أنه رحمه الله تعالى يصف حبيبه ﷺ بصفات الكمال ، وصفات الجود والعطاء والبذل ، وصفات الرحمة والرأفة والتودد ، حيث يقول :

صلى عليك الله يا خير خلقه | وياخير مأمول وياخير واهب
وياخير من يرجى لكشف رزية | ومن جوده قد فاق جود السحائب
فإني منكم في قلاع حصينة | وحد حديد من سيوف المحارب (٣)

١- أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم للشاه ولي الله الدهلوي ص ١٣٨ـ ١٤٦ .

٢- أيضاً ، ص ١٤٩-١٥٢ .

٣- أيضاً، ص ١٥٦ - ١٦٣ .

الفصل الرابع

الخصائص الفنية لأطيب النغم

الخصائص الفنية

يشتمل على :

١ـ الموسيقي الشعرية .

٢ـ الصورة والأخيلة .

٣ـ الأسلوب والآداء التعبيري (الألفاظ والعبارات)

٤ـ الإشارات التاريخية

١- الموسيقي الشعرية

الموسيقي من أهم مميزات الشعر من أصناف البيان الأخرى ، وهي التي تزينة وتبعث إليه انتباه السامعين . والمراد بها نواحيه الجمالية من جرس الألفاظ والتراكيب القطيعة التي يتألف بها الشعر ، والانسجام في تواليها و تردد بعضها بقدر معين منها .

أ- وزن القصيدة :

نظم الشاه ولي الله قصيدته على البحر الطويل . وهو ثمان تفعيلات :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن　　　فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

إذا كان قلب المرء في الأمر خاثرا　　　فأضيق من تسعين رحب السباسب (١)

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن　　　فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

أما القافية فهي البائيه ، وهو حرف مجهور وكثير الاستعمال في الشعر الغنائي الذي يميل إلى الرفق واللطف والشوق والحنين والشكوى عن الحب والغرام والتغريب من صميم القلب عن العواطف والمشاعر وآلام والشجون .

موسيقا الأبيات في أطيب النغم حلوة وإيقاعها متوازن أو متقارب ، وألفاظ عذبة وأنها تنساب في ائتلاف متسق يمضى في إيقاع موسيقى جذاب ، تسيطر عليه أذن شديدة الحس بأدق الأصوات والأنغام .

يدبج الشاعر القصيدة بمحسنات لفظية ومحسنات معنوية ، ويوازنها و قافية حيث يسرى في القصيدة نغم موسيقى ساحر ينبعث من ائتلاف الكلمات في جرس عذب. حيث يقول :

وَمِـنْ قَبْـلِ هٰـذَا لَـمْ يُـخَـالِـطْ مَـدَارِسَ　　　اِلْيَهُـوْدِ وَلَـمْ يَـقْـرَأْ لَهُـمْ خَطَّ كَـاتِـبِ

وَأَوْضَـحَ مِـنْـهَـاجَ الْهُـدىٰ لِمَنِ اهْتَدىٰ　　　وَمَـنَّ بِتَـعْـلِـيْـمٍ عَـلٰـى كُـلِّ رَاغِـبِ

وَأَخْبَـرَ عَـنْ بَـدْءِ السَّـمَـآءِ لَهُـمْ وَعَـنْ　　　مَـقَـامٍ مُـخَـوِّفٍ بَيْنَ أَيْدِى الْمُحَاسِبِ

١- انظر : البيت رقم :٢ .

وَعَـنْ حُـكْـمِ رَبِّ الْـعَـرْشِ فِيـمَا يُعَنِّهِمْ ... وَعَـنْ حِـكَـمٍ تُـرْوىٰ بِحُكْمِ التَّجَارِبِ
وَأَبْـطَـلَ أَصْـنَـافَ الْـخَـنَـى وَأَبَـادَهَـا ... وَأَصْـنَـافَ بَـغْـيٍ لِـلْـعُـقُوبَةِ جَـالِـبِ
وَبشَّـرَ مَـنْ أَعْـطَـى الـرَّسُـولِ قِيَـادَهُ ... بِـجَـنَّةِ تَـنْـعِيـمٍ وَحُـورٍ كَـوَاعِـبِ
وَأَوْعَـدَ مَـنْ يَّـابَـىٰ عِبَـادَةَ رَبِّـهِ ... عَـقُـوبَةَ نِيْـرَانٍ وَعِيْشَةِ قَـاطِـبِ
فَـأُنْـجِـي بِـهِ مَنْ شَـآءَ مِنَّـا نِجَـاتَـه ... وَمَنْ خَـابَ فَـلْتَـنْـدُ بُـهُ شَرَّ النَّوَادِبِ
فَـأَشْهَـدُ أَنَّ اللّٰهَ أَرْسَـلَ عَبْـدَه ... بِـحَـقٍّ وَّلَا شَـيْءُ هُـنَـاكَ بِـرَائِـبِ
وَقَـدْ كَـانَ نُـورَ اللّٰهِ فِيْـنَـا لِـمُهْتَـدٍ ... وَصَـمْـصَامَ تَدْمِيرٍ عَلىٰ كُلِّ نَاكِبِ(١)

وفي الأبيات حسن الانسجام والموازنة والمطابقة :

لم يخالط مدارس اليهود ـ لم يقرأ لهم خط كاتب ، منهاج الهدى ـ لمن اهتدى ، عن حكم رب العرش ـ وعن حكم تروى بحكم التجارب ، وبشر من اعطى الرسول ـ وأوعد من يابى عبادة ربه ، لجنة تنعيم ـ عقوبة نيران ، وحور كواعب ـ وعيشة قاطب .

فهذه الأبيات تجرى على اللسان بمجرى الماء بسلامة وعذوبة ، ونسق الكلام فيها جيدة ، وديباجة الشعر متينة ، لألفاظها حلاوة وطلاوة ، ولكلماتها جزالة ، وهي قرب المأتى، رقة الحواش الكلام ، متانة الأسر ،سب الكلام، محكمة الصياغة ، قوية النسج ، كثيرة الماء والرونق . وهي تثير التغور وتطرب السماع بإيقاع متردد وموسيقى فاتن ، وتلذذ العقل والقلب .

ب ـ شكل القصيدة و بناؤها :

سلك الشاعر في قصيدته نهج الغزل العذري الذي يترجم عن لواعج الحب ترجمة صادقة ، ويعبر عن مواجده وأشواقه وما يحسه إزاء الدين من مجاهدات تنقى نفسه وروحه ، و يشعر بكثرة الأثام فيشجن ، ويقرض هذا الشعر الغزلي الحزين الذي يجد قراؤه أغذية روحية لا يقدر . ويغوص في بحر الشعور ، لا يستطيع الظفر به والخروج منه ، فيفتح به من قلبه

١ـ انظر : البيت رقم :٣٧ـ ٤٦ .

أبواب الحنين والبكاء والشوق .

معظم القصائد العربية في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي لا تخلو عن المراحل الأربعة :-

المرحلة الأولى : وصف الأطلال والأحباء والبكاء عليهما -

المرحلة الثانية : وصف الصحراء وما يركبه الشاعر من فرس أو ناقة ومن يجرى في ذلك من وحشي أو حيوان -

هاتان المرحلتان توجدان في أكثر قصائد عصور ثلاثة ، الجاهلي والإسلامي والأموي(١)

وفي المرحلة الثالثة : ينتقل الشاعر إلى المقصود ، فيمدح .

وفي المرحلة الرابعة : يقدم الشاعر شيئا من الحكمة أو الموعظة أو الحديث القصير عن نفسه.

فعلى هذا المنوال تنتهى قصائدهم .

بين الشاعر الشاه ولي الله منهجه على خطوات ، وافتتح قصيدته بما جرت به عادة الشعر بذكر الصحراء وغياهبها ولمعان الكواكب والنجوم فيها و ضيق قلبه وثقل نفسه ومصائب الزمان ونوائب الدهر وأزمات الأيام وسوء العواقب.

ج- التلميح :

هو أن يشير الناثر أو الناظم في قرينة سجع أو بيت أو شعر إلى قصة معلومة أو نقطة مشهورة .

قال الشاه ولي الله :

ملاذعياء الله ملجاء خوفهم إذا جاء يوم فيه شيب الذوائب(٢)

١- العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف : ص ١٣٨ .

٢- انظر : البيت رقم : ٨.

فـي هـذا البيت كلمة "شيب" لتلميح إلى فول الله عزوجل : فكيف تتقون إن كفرتم يوم يجعلون الولدان شيبانِ السماء منفطر به .(١)

وقال كما قال :

سـلالة إسـمـاعيـل والـعـرق نـازئ وأشـرف بيـت من لوئ بن غالب(٢)

في هذا البيت كلمة "سلالة اسماعيل" تلميح إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله اصـطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم (٣).

وكما قال :

وَ أَخْبَـر أن اعـطـاه مـولاه نُـصُــرَةً وَرُعبـاً إلـى شهـر مسيرة سـارب(٤)

وكـلـمة رعبـا إلى شهر تلميح الى الحديث النبوي ـ نصرت بالرعب مسيرة شهر(٥) وفي الحديث الآخر نصرت بالرعب شهرين.(٦)

وكما قال الشاعر :

بشـاره عيســى والـذي عـنـه عبـروا بشـدة بـأس بـالـضحوك المحارب(٧)

في هذا البيت كلمة "بشارة عيسى" تلميح الى قول الله عزوجل . مبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد .(٨)

١- سورة المزمل ، الآية : ١٧-١٨. ٢- انظر : البيت رقم : ١٣.
٣- انظر: صحيح مسلم ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، الحديث رقم : ٢٢٧٦.
ـ سنن الترمذي ، باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم ، الحديث رقم : ٣٥٠٥، ٣٥٠٦.
ـ المعجم الكبير ، الإمام الطبراني : ج ٢٢، ص ٢٧ ، رقم : ١٦١.
ـ الشعب الإيمان ، الإمام البيهقي ، ج ٢ ، ١٣٩ ، رقم :١٣٩١.
٤- انظر : البيت رقم : ٦٠.
٥- انظر: صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، الحديث رقم : ٣٢٨.
ـ وصحيح مسلم ، كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، الحديث رقم : ٥٢١.
٦- انظر : مجمع الزوائد ، الحافظ الهيثمي ، كتاب علامات النبوة ، الحديث رقم : ١٣٩٤٩.
٧- انظر: البيت رقم : ١٤. ٨- سورة الصف ، الآية: ٦.

٢- الصور والأخيلة

معناهما لغةً واصطلاحاً :

الصور : وهو جمع الصورة والصورة لغةً : من صار صوراً.الشيئ: قطعه وفصله ، صوره : جعل له صورة وشكلاً ورسمه ونقشه ، وصور لي : خيل لي ، (ومن ثم) تصور الشيئ أي : توهم صورته وتخيله وتصور له الشيئ : صارت له عنده صورة وشكل (والصورة) جمعها صور و صور (بكسر الفاء) وصور (بسكون العين) و معنى الصورة : الشكل وكل ما يصور وهي صفة.

يقال : صورة الأمر كذا أي صفته ، ومعناه : النوع أي الوجه .(١)

الأخيلة : وهو جمع الخيال وهو لغة :

الخيال والخيالة : ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة جمعه : أخيلة ، وشخص الرجل ، وطلعته ، وخيل للناقة ، وأخيل : وضع لولدها خيالاً ليفزع منه الزئب.(٢)

أ- الصور والأخيلة في فن شعري:

عند ما يريد أي شاعر أن يكون كلامه فصيحاً لا إغماض فيه ، و واضحاً لا تعقيد فيه و ذافهم عند من يقرأه ففي تلك الحال يزين أسلوبه الشعري بما وجد من المحسنات المستخدمة في البلاغة والفصاحة التي تكون كلامه جسيماً وتجعله رفيعاً وتكسوه كسوة ملائمة بالإدراك والدراية لمن قصد أن يقطف من أزهار أبياته شيئاً في شتى المواقع .

فمن هذه الأضاف "الصور والأخيلة " وهاتين الكلمتين ترادفان في المعنى ولو فصلت بإيراد "الواو " العطفية ، حينما يسلك الشاعر مسلك البلاغة في موارده يختار هذا النوع يبين في شطر أول من البيت حال من أراد أن يعينه في الكلام أما في الشطر الثاني يأتي بمثال موضح وبرهان قاطع يرشد القارئ إلى أن صاحب الشعر المطلوب وصفه أو الموصوف

١- أنظر: المنجد في اللغة والأعلام ،جماعة من العلماء اللغويين ، تحت المادة : ص ور.

٢- انظر: القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحت المادة خ ي ل.

وصـفـه أقـوى مـمـا تبيـن واتـضـح ويـقدر القائل الصورة والخيال أو المشهد البهج أو الكناية البـليـغة، أو الـحـادث الترفيهي ويراد بقوله إتقان صفة صاحبه في ذهن القارئ راسخاً ومعقماً قوياً.

ويجدر بالذكر أن في أبيات قصيدة "أطيب النغم" يرى كثرة استعمال هذه الماحسن بمختلف صوره فمنها :

قال الشاه ولي الله :

ومـنـهـم رجـال مـخـلـصون لربهم　　　بـأنفاسهم خصب البلاد الأجارب(١)

في هذا البيت تطرق الشاعر لذكر بعض الرجال الصالحين و المخلصين لربهم بألفاظ سـليـمة مـن التعقدو الإغماض ثم وصفهم بطريق آخر وهو أن وجودهم في أي أرض أو بلاد هو سبب للخصوبة فمثل حضورهم بخصب الأرض .

وقال الشاعر :

وأذكـر وجـدا قـد تـقـادم عـهـده　　　حـواه فـؤادي قبل كون الكواكب(٢)

فـي جـزء البيـت الأول وفـي الثـانـي نرى الشاعر يخيل بنفسه ويقول أن حب الرسول صـلـى الله عـليـه وسـلم غلب قلبه و فؤاده قبل تخليق النجوم والكواكب فيمشى بنا إلى أودية التصور والتخيل بحسن بديعي وأين الشاعر ؟ وأين الكواكب ؟ ولا شيئ يقارن وجوده بوجود الـكـواكـب والنجوم ؟ وهناك مـدة طويلة لا يمكن تمثيلها مع مدة حياة الشاعر . فجواب على الأسئلة هذه أن السيد ولي الله أراد بقوله أن وجوده كان مستغرقاً في حب نبيه صلى الله عليه وسلم قبل خلقه ويأتي إلينا بالصور فقط .

وكما أكد قوله في الأبيات للقصيدة المذكورة ومثال ذلك نتناول كالآتي :

وأنك أعـلـى الـمـرسلين مكـانة　　　وأنـت لـهـم شـمـس وهم كالثواقب (٣)
إذا كـان قـلـب المرء في الأمر خاثرا　　　فـأضيـق من تسعين رحب السباسب (٤)

١ـ انظر: البيت رقم : ٩٠.　　٢ـ انظر: البيت رقم : ٩٥.
٣ـ انظر: البيت رقم : ١٠٢.　　٤ـ انظر: البيت رقم : ٢.

وأجـود خـلـق الله صـدراً ونـائـلا   وأبسـطهـم كـفـا عـلـى كل طالب (١)
وأقـوى دليـل عـنـد مـن تـم عـقلـه   عـلـى أن شـرب الشرع أصفى المشارب (٢)
إذا مـا أثـاروا فتـنةً جـاهـليةً   تـقـود ببـحـر زاخـر مـن كـتـائـب (٣)

يشبه هذا الصنف الاستعارة والمجاز لأن في كليهما يقصد بالقول الإشارة إلى أصل بمعونة بعض الأخيلة والصور من حيث يظهر الكلام بإتقان وإصابة في التأثير ، وعندما بلغت الاستعارة و المجاز مبلغها العالي فيحصل تمام الخيال والصورة ولكنها لا يعنيان الكذب بل هناك أمر مستتر يؤتى به للتأكيد البلاغي والشعري.

التعليق على ما مر من الأبيات في استخدام صنف الصور الفنية بأنواعها العديدة منها :

١ـ ظاهرة التجسيد والتشخيص

٢ـ الصورة والحركة .

٣ـ الصورة واللون .

ب ـ ظاهرة التجسيد والتشخيص :

من فطرة الإنسان أن يدرى ما يوجد حوله ، كي يدرك الحياة وسر الكون ، وكما يميل إلى الحصول على معرفة عجائب هذا العالم ويستغرق في فهمها فهو دوماً يتخيل ويعيش في حياة يسير فيها بالصور الخيالية والظنية التي في معظم الأحيان لا حقيقة لها فهي تستقل على الأوهام والظنات .

مرة يدخل في مخيلة ويطير في آفاق السماء ليلةً هادئة ملآى بالكواكب والنجوم، وفجأة يطلق قصده إلى أعماق الأبحار ويشرع يتجول حول السمكته ويتفكر عن اللؤلؤ والمرجان واليواقيت والجوهر المكنية في أنحاء عمقها ثم تتقلب وجهة نظرة إلى مشارق الأرض ومغاربها وأنحاء الكون.

١ـ انظر : البيت رقم : ٢٠.   ٢ـ انظر : البيت رقم : ٤٧.

٣ـ انظر : البيت رقم : ٧٥.

فمن أعجب العجائب أن يشعر بهذه الأمور الاعتيادي العائش ولكن لا يحسس بها الشاعر المبين محض الأخيلة حسب ما كثر فيها الوعي من حيث الشمول وسهولة التناول . لم لا ؟ فهو يتأثر بها ويؤثر بها سامعيه وقاري كلامه وهذا مبدأه منذ جعل أول شاعر يكرر خياله على أي تبياض . ومثال ذلك تجد في أبيات قصيدة "أطيب النغم" :

مثلا يقول:

وأنك أعلى المرسلين مكانة وأنت لهم شمس وهم كالثواقب (١)

في هذا البيت فكرة ساذجة ألقاها الشاعر في مضمون بديعي واختار لإبلاغ مرماه كلمات تعينه على إثبات قوله وتكوين كلامه راسخا في من وعي أفهم أو أراد أن يدرك ما هو قصد الشاعر بقوله هذا ؟

كما نحلله فيما يلي : أن لا ريب في أن مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعته وعلاؤه على جميع الأنبياء والرسل قد أثبتت ذلك الآيات القرآنية والأحاديث والآثار وهو منتج قراء الكتاب الناسخين في شأن النبي صلى الله عليه وسلم أو فيما انفرد به نبينا صلى الله عليه وسلم عن سائر الأنبياء والمرسلين وهذا يجري ولا يدوم يجري إلى أن يأتي يوم الحساب ولا ينتهي وصفه بل يزيد بكل يوم مضى.

إذا ننظر في الشعر أعلاه من حيث استخدم الشاعر الصور مع ملازمته بالتجسيد والتشخيص فيبرز لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل شاعرنا ذاته الكريم وشبهه بالشمس وكما يواظب في تشبيهه للمرسلين ويوضح توضيحاً بارعاً مفهماً لا غموض فيه . فهو صير النبي صلى الله عليه وسلم شمساً والمرسلين الذين جاء وا قبله قد شبههم بالثواقب أي الكواكب ذات الجهم الضخيم الثقيل وفضل مكانة النبي (عليه الصلاة والسلام) على جميع الأنبياء عليهم السلام وفرده عنهم شأناً وعظمةً .

١- انظر : البيت رقم : ١٠٢ .

وكذا يقول الشاعر في أبيات منها :

ويـاويـل قـوم قـد أبـار نـفـوسهـم تـكـلف تـزويـق وحـب الملاعـب (١)
فـأوفـاه وعد النصر والرعب عاجلاً وأعـطـى لـه فتـح التبوك ومـآرب (٢)
فـأشهـد أن الله راحـم خـلـقـه وأنك مـفـتـاح لـكـنـز الـمـواهـب (٣)
وأنـت مـجـيـري مـن هـجـوم إذا أنشبت فـي القلب شر المخالب (٤)

فـي البيـت الأول ذكر الإبـارة معناها التدمير والإهلاك . فالناظم هم أن جعل "تكلف تـزويق" جسديا ويكسوه كسـوة شخصيته وأيضا عطف عليه كلمة "حب الملاعب" والقصد بهـمـا الـصورة التـي ابتنت في ذهنه والمراد بها : أن هاتين السجيتين اللتين اتصفت بهما قوم جهلاء قد أدمرناهم وهم لا يعرفون ما حدث بهم .

وفـي البيـت الثـانـي بـخـاصة الشـطر الثاني نرى أن "الفتح " قد جعله الشاعر جسيماً وشيئا محسوساً ليستطيع أحد أن يعطيه أحد أو يعطي ويأخذه شخص ويؤخذ ولكن الحقيقة تـدور عـلـى الـعـكـس وهـي : الـفتـح ليس بحسي بل ظني وخيالى وهو أمر يشعر به ولا يرى جسده.

وعـندما نتطرق إلى الشعر الثالث تحيرنا رؤية هذا البيت ولا نقوم بقراء ته إلا و يعجبنا ذكـاوة لـكـلام الـتي أوردها القائل لهذا القصيدة أن الله يرحم خلقه وولى نبيه منصب تقسيم كـنـائـزه الممكنية والمخبؤة وكلفه بتوزيع المواهب فجعل حضرة النبي صلى الله عليه وسلم مفتاحاً لتلك الكنوز الواسعة .

وفي الشعر الرابع أي الأخير في هدفنا أن الهجوم معناه الوثبات المراد بها المحاولات الـمستميتة والمواظبة التي يوظفها الهاجم والواثب للإحاطة بعدوه . لا جسم لها بل هي أشياء خيـالية تـجـول فـي الأذهـان ولا يـقـدر أحـد مسيـطرتها وامتدادها على أي قرطاس ولو كان مقدارها أو كيفيتها في إمكان الإحصار والحد .

١- انظر : البيت رقم : ٣٣. ٢- انظر : البيت رقم : ٦١.
٣- انظر : البيت رقم : ١٠١. ٤- انظر : البيت رقم : ١٠٤.

أمـا الشـاعـر قـصـد بـقـولـه :" إذا انشبت في القلب شر المخالب " أن الهجوم سباع وحشيته ذات الـمـخـالـب الحادة والمؤذية والمؤلمة ويلوذ بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم عـنـد حلول هذه الوثبات من قبل السباع التي إذا أدخلت مخالبها القطاعة والقراضة في قلب رجل جرحته وتركته متقلباً ألماً شديداً .

ج- الصورة والحركة :

مكّن لنا الشاعر أن يصور لنا صورا متحركة ،ويعمل الحواس في أودية أبياته ويحاول أن يـجري بنا فيها بمعونة بعض الألوان والحركات والأصوات والرائحة . يأتي بفكرة ومن ثم بتوكيـده عـلى غرار يشبه هذه الفكرة . فنشاهد أن الشاعر يرسم ويصور حركات كثيرة منها حـركة الـذهـن فـي مشهد تاريخي ، وحركة الناس إشباها بطغيان البحر التراخر ، أو بحركة شـخـص أو مـا نـوع حـركتـه ، وحـركة الـعيـون في تصور أي ذات ، وحركة المحسوسات الأخرى قد تتزايد في كلامه . فمن مصوراته المتحركة فيما يلي:

كما قال الشاعر:

تـرى أشـجـع الـفرسان لاذ بظهره إذا احـمـر بـأس في بئيس المواجب (١)

إذا مـــا أثـــاروا فتـــنة جـــاهـــلية تـقـود ببـحـــر زاخـــر من كتـائـب (٢)

فـالشـاعـر يـصـور لـنـا مـنـظر ملاذ قام به أشجع الناس الفوارس في الحرب الشديدة الـحـمـراء ويـقـول : هـل إنك تـرى تـلك الرؤية يرى فيها رجل يعرف ببسالته وشجاعته فهو يستـطـلـب مـلـجأ ومأوى في ظل النبي صلى الله عليه وسلم حينما دارت الحرب درها وبدأ المقاتلون يستقطون على الأرض وتهب رياح الدماء والبكاء .

إذن يـمـكـن الـقـول أنـه قـد حـرك أذهاننا وحولها إلى تلك المشهدة الجميلة ولو لم تستطع مشاهدتها . فتحصل منه كلامه الصور فقط.

١- انظر: البيت رقم : ٢٢.

٢- انظر: البيت رقم : ٧٥.

وكذا في البيت المقبل صير فتنة الجاهلية بحرا زاخرا أي فياضا بالماء ويكاد يهجم على ما أشاع الرسول صلى الله عليه وسلم من نور الهداية وضياء الإيمان وقال أن البحر نقود هل البحر يقود؟ وبماذا يقود فما هذه إلا صورة قد خيلها الشاعر وجعل لبحر حركة قائد يتحرك بها ثم نتقدم في مشينا في القصيدة فنجد على هذا المنوال أبياتها منها:

ويا خير من يرجى لكشف رزية ومن جوده قد فاق جود السحائب (١)

يرسم الشاعر في هذا البيت صورة جواد النبي صلى الله عليه وسلم وسخاوته أنه قد سبق جود السحاب في سرعته عطاء نديةً.

د- الصورة واللون:

ومن الصور الفنية التي يوردها الشاعر من خلال القصيدة أنه لا تخلو أبياته من الصور التي قد استعان فيها بالألوان المختلفة وكما استعان فيما سبق بالحركات، والأصوات وتجسيد الجوامد و تحريك السواكن.

ويذكر النجوم، وعيون الأفاعي ورؤوس العقارب للضياء والبيضاء كما يستخدم الغياهب للظلمة السوداء، واحمرار الحرب لإمتان معنى الشدة، ويؤظف معظم الألوان مثل وجه النبي صلى الله عليه وسلم المبارك لمراد اللمعة والسطعة في الظلمات.

فمن استخداماته للألوان قوله الذي مطلع قصيدته:

كأن نجوماً أومضت في الغياهب عيون الأفاعي أو رؤوس العقارب (٢)

حينما نشغل معقاسنا في البيت نرى أن وجود النبي ثبت لامعاً ومضيأ في المظلمات السوداء كأن عيون الأفاعي ورؤوس العقارب تبرز في ظلمة الليل يبدو من النظر إليها كأنها نجوم قد تورت المكان المظلم.

ويقول:

ترى أشجع الفرسان لاذ بظهره إذا احمر بأس في بئيس المواجب (٣)

١- انظر: البيت رقم: ١٠٠. ٢- انظر: البيت رقم: ١.

٣- انظر: البيت رقم: ٢٢.

يـرى الـقـارئ أو يظن السامع في كيفية احمرار الحرب أو البأس فالشاعر قد أعملها تـلـميـحـاً وكـنـايةً وجـعـلـها صورة الشدة في ميدان القتال يعني بقوله : احمر بأس أي بدأت الحرب تشتد لا يستهان بها واللون الأحمر قد استخدم للحرب إذا صارت شديدة.

وقوله :

ويـبـدؤ مـحيـاه لـعيـنـي في الكرى بـنـفسـي أفـديـه إذاً والأقـارب (١)

نتـوجـه إليـه تفسيراً يقول : أن وجه محبوبه صلى الله عليه وسلم يظهر أمام عينيه نوماً ويريد أن يفدي بنفسه وبجميع أقاربه إياه صلى الله عليه وسلم ففيه إشارة مستمرة إلى كمال نـور وبيـاض ولـمـعة تتـخـرج من محيا الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أفادنا الشاعر بحلية وجـمـال وجهـه وحسنـه ووظف أذهـاننا في صورة ملونة يعني بها بياض يظهر على من رأى النبي صلى الله عليه وسلم نوماً وحلما.

١- انظر : البيت رقم : ٩٦.

٣ـ الأسلوب والأداء التعبيري (الألفاظ والعبارات)

يسلك الشاه ولي الله مسلكا تقليديا ، حيث افتتح القصيدة بتذكر جيران محبوب وبكاء شديد عليه ، وغلت مشاعره على نار العشق ، وما استطاع سيطرة على نفسه ، و استعجل إلى شكوى الغرام بعاطفة صادقة وكلام فاخر ولفظ حر ، تعبيرا عما في قلبه من أحاسيس جياشة ، وصورها بأسلوب جزلة وألحان ساحرة و ألفاظ طلاوة إيصالا إلى مطلوبه.

إن أسلوب الشاه ولي الله حافل بالظواهر الآتية :-

١ـ استخدام "الفاء"

٢ـ كثرة استخدام : "أسماء"

٣ـ تكرار الأسماء.

٤ـ كثرة استخدام" اسم الفاعل "

٥ـ كثرة استخدام إسم تفضيل.

٦ـ استعمال كلمة ـ قد .

٧ـ كثرة استعمال جمع الجمع .

٨ـ الألوان البلاغية

أـ الأسلوب الرمزى

ب ـ أسلوب التشبيه

ج ـ أسلوب الاستعارة والمجاز

د ـ أسلوب القصر

ه ـ المحسنات البديعية

٩ـ الإشارات التاريخية

أـ الأماكن التاريخية

ب ـ الحوادث التاريخية

١ـ استخدام الفاء :

أكثر الشاه ولي الله من استعمال **الفاء** وهي كظاهرة عامة تنتشر في أبيات أطيب النغم وأقدم بعضها لغرض الدراسة على سبيل المثال:

فياويل قوم يشركون بربهم وفيهم صنوف من وخيم المثالب (١)
فأرسل من عليا قريش نبيه ولم يك فيما قد بلوه بكاذب (٢)
فأنجىٰ به من شاء مناجاته ومن خاب فلتنند به شر النواء ب (٣)
فأشهد أن الله أرسل عبده بحق ولا شئ هناك برائب (٤)

أتى الشاعر في الأبيات بعدة الفاء : فياويل ، فأرسل ، فانجو، فأشهد، الفاء في القصيدة "أطيب النغم" كثيرة الاستخدام عطفياً أم جزائياً ، سببيا أم مسببياً وهي ظاهرة جمال أطيب النغم وكلماتها وسطورها .

٢ـ كثرة استخدام الأسماء :

يميل الشاعر إلى استعمال الاسم كثيراً .

كما قال الشاعر:

جميل المحيا أبيض الوجه ربعة جليل كراديس أزج الحواجب (٥)
صبيح مليح أدعج العين أشكل فصيح له الإعجام ليس بشائب (٦)
ترى أشجع الفرسان لاذ بظهره إذا احمر بأس في بئيس المواجب (٧)
وأجود خلق الله صدراً ونائلا وأبسطهم كفا على كل طالب (٨)

يوجد في هذه الأبيات أكثر من ثلاثين اسماً : جميل ، المحيا ، أبيض ، ربعة ، الوجه، جليل ، كراديسى ، أزج ، الحواجب ، صبيح ، مليح ، أدعج ، العين ، أشكل ،

١ـ انظر: البيت رقم : ٢٩ .
٢ـ انظر: البيت رقم : ٣٦ .
٣ـ انظر: البيت رقم : ٤٤ .
٤ـ انظر: البيت رقم : ٤٥ .
٥ـ انظر: البيت رقم : ١٧ .
٦ـ انظر: البيت رقم : ١٨ .
٧ـ انظر: البيت رقم : ٢٢ .
٨ـ انظر: البيت رقم : ٢٠ .

فصيح، الإعجام ، شائب ، أجود ، خلق الله ، صدراً ، نائلاً ، أبسط ، كف ، طالب ، كل ، أشجع ، الفرسان ، ظهر ، بأس ، بئيس ، المواجب.

والأفعال فيها ما تجاوز بثلاثة افعال : ترى ، لاذ ، احمر .

يضح عقب الإحصار أن الشاه ولي الله يميل إلى الأسماء استخداما على الأفعال.

٣- تكرار الأسماء :

يميل الشاعر إلى تكرار الأسماء وظاهرة التكرار في القصيدة توجد بصورة عامة وتنتشر في أكثر الأبيات وأذكر بعض الأبيات على سبيل المثال :

تشغلني عني وعن كل راحتي مصائب تقفوا مثلها عن مصائب (١)

وأحسن خَلق الله خُلقا وخِلقة وأنفعهم للناس عند النوائب (٢)

وعن حكم رب العرش فيما يعنهم وعن حِكم تروى بحُكم التجارب (٣)

وأبطل أصناف الخنى وأبادها وأصناف بغي للعقوبة جالب (٤)

يكرر الشاعر في البيت الأول : مصائب ، مرتين ويكرر في البيت الثاني: خلق ، ثلاثة مراتٍ ويكرر في الثالث : حكم ثلاث مرات وفي الرابع : أصناف مرتين .

٤- كثرة استخدام اسم الفاعل:

ظهر في القصيدة أطيب النغم أسلوب آخر و هو كثرة استعمال اسم الفاعل.قال الشاعر:

و أجود خلق الله صدراً ونائلاً وأبسطهم كفا على كل طالب (٥)

وما زال يعفو قادراً عن مسيئهم كما كان منه عند جبذة جاذب (٦)

و راعت بليغ الآي كل مجادلٍ خصيم تمادى في مراء المطالب (٧)

براعة أسلوب وعجز معارض بلاغة أقوال وأخبار غائب (٨)

١- انظر: البيت رقم : ٣.
٢- انظر: البيت رقم : ١٩.
٣- انظر: البيت رقم : ٤٠.
٤- انظر: البيت رقم : ٤١.
٥- انظر: البيت رقم : ٢٠.
٦- انظر: البيت رقم : ٢٤.
٧- انظر: البيت رقم : ٧١.
٨- انظر: البيت رقم : ٧٢

جـاء اسـم الـفاعل في الأبيات السابقة بعدد غير قليل : نائل ، طالب ، قادر ، جاذب، مجادل ، مطالب ، معارض ، غائب.

٥- كثرة استعمال اسم التفضيل :

نـلاحـظ عـند دراسة القصيدة أطيب النغم يستخدم الشاعر إسم التفضيل كثيراً، كما يقول الشاعر :

صبيـح مـليـح أدعـج العين أشكل　　　فـصيـح لـه الإعـجـام ليس بشائب
وأحسـن خـلـق الله خـلـقا وخلقة　　　وأنـفـعهـم لـلـنـاس عـند النوائـب
وأجـود خـلـق الله صـدراً و نـائلاً　　　وأبسـطهـم كـفـا عـلى كل طالب (١)
وأقـوي دليـل عـنـد مـن تـم عقلـه　　　عـلى أن شـرب الشرع أصفى المشارب (٢)

يـوجـد فـي الأبيـات السـابـقة أن الشاعر استخدم اسم التفضيل بعدد غير قليل وهي: أدعج ، أشكل ، أنفع ، أحسن ، أصفى ، أقوى ، أجود ، أبسط.

٦- استعمال كلمة "قد" :

أكثـر الشـاعـر مـن استـعـمال "قد" وهي كظاهرة عامة تنتشر في أبيات أطيب النغم وأقدم بعضها على سبيل المثال :

ويـاويـل قوم **قد** أبـار نـفـوسهم　　　تـكـلف تـزويق وحـب الملاعـب (٣)
ويـاويـل قوم **قد** أخف عـقـولهم　　　تـجبرّ كسـرىٰ واصطلام الضرائب (٤)
و**قد** ساخ في أرض حصان سراقة　　　وفيـه حـديـث عـن براء بن عـازب (٥)
وكـم من مريض **قد** شفاه دعاء ه　　　وإن كـان **قد** اشـفـى لوجبة واجب (٦)

١- انظر: البيت رقم : ١٨-٢٠.　　٢- انظر: البيت رقم : ٤٧.
٣- انظر: البيت رقم : ٣٣.　　٤- انظر: البيت رقم : ٣٤.
٥ - انظر: البيت رقم : ٥٦.　　٦ - انظر: البيت رقم : ٥٤.

٧ـ كثرة استخدام "جمع الجمع".

التعريف بجمع الجمع :

ماكان من الجموع على زنة "مفاعل" أو "مفاعيل" لم يجز تكسره لا يطلق على أقل من تسعة ، لأنه لا نظيرله في الآحاد حتى يحمل عليه ولكنه قد يجمع بالواو والنون كقولهم في : نواكس ـ نواكسون ففي "أيامن ـ أيامنون".(١)

فنظر في أبيات الشاعر ما أورد الكلمات من جمع المجموع على زنة "مفاعل" فكثيراً ما استخدمها ومثال ذلك .

المواهب	الرغائب	المناصب	مطالب	نوادب
مصائب	كواكب	اللاهب	قواضب	النواصب
الحبائب				

ويلاحظ في نهاية أبيات كثيرة أن الشاعر قد جرى خلاف القاعدة وهي أن "جمع الجموع" ممنوع من الصرف ويكتفي علةً واحدة لكون المنصرف غيره إلا في حالة الإضافة أو الإلحاق بلام التعريف . ولكن السيد ولي الله رحمه الله جاء بالعكس وجعل هذا الصنف من الجمع مجروراً بعضه بإتيان حرف جر وبعضه بالإضافة . وهذا يدل على أنه أخذ هذا الطريق لضرورية شعرية لأن قصيدته المقصود عنها قيام زنة الأبيات وتقويم القوافي كما أنها تنصدر قاضيتها من كلمة "الغياهب" و"العقارب" المجرورتين فلذا وجب أوزان القوافي من حيث الابتداء في القصيدة . ومن أمثلة ما ذكرنا أعلاه كالآتي:

الكلمة المستخدمة	رقم الشعر	أصلها
مِن عصائبِ	(٨٣)	مصائبَ

---

١ ـ انظر : معجم النحو ، عبدالغني الدقر : ص١٤٩ .

بمذاهبِ	(٢٣)	مذاهبَ
طولِ مشاغبِ	(٢٨)	مشاغبَ
حفظِ مراتبِ	(٨٧)	مراتبَ
أمهاتِ نجائبِ	(٧٨)	نجائبَ
جميع جوانبِ	(٤)	جوانبَ

٨- الألوان البلاغية :

الشعــر صــورة يـرسمـها الشاعـر بكـلمة ويلوّنها بألوان بلاغية و بديعية ، ويـجسمها بوسيلة من الوسائل كالتشبيه ، والاستعارة والمجاز والكناية لكي يكون الشعر مثل إنسان ذي دم يدور في عرقه ويسيل في جسمه ويحرك أشلائه .

أسلوب التشبيه:

بيـان أن شيئـاً أو أشيـاء شـاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أ و نحوها ملفوظة أو ملحوظةً (١)

ومـن أسلوب الشاه ولي الله أساليب يميل إليه أشد من غيره وهو تشبيه وأذكر بعضه على سبيل المثال:

يقول الشاه ولي الله :

كأن نجوماً أو مضت في الغياهب	عيونَ الأفاعي أو رؤوس العقارب (٢)
وديـنهـم مـــا يـفترون بـرأيهـم	كتـحـريـم حـام واختراع السوائب (٣)
ومـازال بـعـفـو قـادرا عن مسيئهم	كـمـا كـان منه عند جبذة جاذب (٤)
وشـاهــد فـوق الـفـوق أنـوار بــه	كــمثــل فــراش وافــر متـراكـب (٥)

١- البلاغة الواضحة ، علي الجارم و مصطفى امين : ص ٢٠.

٢- انظر : البيت رقم : ١.

٣- انظر : البيت رقم : ٣٠.

٤- انظر: البيت رقم : ٢٥.

٥- انظر : البيت رقم : ٧٠.

جزى الله اصحاب النبي محمد　　جميعاً كما كانوا له خير صاحب (١)

وأنك اعلى المرسلين مكانة　　وأنت لهم شمس وهم كالثواقب

وأنت شفيع يوم لاذو شفاعة　　بمغنى كما أثنى سواد بن قارب (٢)

أتى الشاعر في الأبيات بستة تشبيهات التي تعتمد على حرف أداة التشبيه "الكاف" كتحريم ، كما كان ، كمثل ، كما كانوا ، كالثواقب، كما أثنى .

وكل تشبيه منها أدى وظيفته الخاصة ، حيث أتى الشاعر بستة صور للمتلقين ورسمها وصيدها أمامهم يروتها دون حاجز .

في البيت الأول يشبه الشاعر نجوماً بعيون الأفاعي و رؤوس العقارب . وفي البيت الثاني شبه الشاعر افتراء دينهم لتحريم حام و اختراع السوائب ، كما في البيت الثالث شبه الشاعر عفو النبي صلى الله عليه وسلم عند قدرة الانتقام بعفو الأعرابي الذي جبذ رداء النبي صلى الله عليه وسلم . وفي البيت الرابع شبه الشاعر أنوار الله عزوجل بفراش وافر متراكب التي رأى ها صلى الله عليه وسلم في المعراج وفي البيت الخامس شبه الشاعر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بخير صاحب ف وفي السادس شبه الشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشمس والأنبياء السابقين بالنجوم والثواقب .

المحسنات البديعية :

تنقسم هذه المحسنات قسمين : اللفظية والمعنوية.

١ـ المحسنات اللفظية :

كما يبدو من الاسم أن هذه هي المحسنات التي تراعي من حيث الألفاظ والكلمات وما ورد فيها من المتغيرات اللفظية ومثال ذلك : الجناس ، والسجع ، والاقتباس .

١ـ انظر : البيت رقم : ٧٩.

٢ـ انظر: البيت رقم : ١٠٢-١٠٣.

يؤتى بها عندما أراد الشاعر أو الناثر قصده مستخدماً روح المعاني دون أن يهدف إلى الألفاظ والكلمات وخلافاً للمحسنات اللفظية منها : التورية ، والطباق ، والمقابلة وحسن التعليل .

الجناس :أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى وهو نوعان:

١ـ تام : وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي : نوع الحروف ، وشكلها ، وعددها ، وترتيبها .

ب ـ غير تام : وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المقدمة ـ(١)

السجع :

السجع توفق الفاصلتين في الحرف الأخير ، وأفضله ما تساوت فقره ، والسجع موطنه النثر ، قد يجئ في الشعر . (٢) (قد استخدم الشيخ الشاعر هذا النوع البديعي في أبياته مع أغصان شتى فنطلع عليها بعضا لغوض في هذه الأبيات ونؤيد القول من أخذ المثال كالآتي):

النوائب ـــ المذاهب		رائب ـــ ناكب

المرازب ـــ المثالب		كتائب ـــ سلاهب

٢ـ المحسنات المعنوية :

ا . الطباق :

الجمع بين الشيئ وهذه في الكلام وهو نوعان :

الف: طباق الإيجاب ، وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً .

ب: طباق السلب :وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا و سلباً .(٣)

ومن هذا القسم ما أورد شاعرنا في كلامه :

١ـ انظر: البلاغة الواضحة ، على الجارم و مصطفى امين : ص ٢٦٥ .

٢ـ نفس المرجع: ص ٢٧٣ .

٣ـ نفس المرجع : ص ٢٨١ .

فصيح له الإعجام ــــ ليس بشائب

جنة تنعيم ــــ عقوبة نيران

حور كواعب ــــ عيشة قاطب

٢ـ المقابلة:

المقابلة أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك لأو إذا نضاعف الطباق فتضع المقابلة . والفرق بينهما أن الطباق يجرى فيه شيئ واحد و ضده كذلك وأما في المقابلة يضاعف عدد الشيئ وأيضاً صفته -(١)

انطلق الشاعر على النهج الذي يبدو من مورده الأصناف البديعة بالكثرة وهكذا جاء بصفة بديعته مذكورة تعني "المقابلة" وحسن بها أبياته ، وزين أشطاره ، وجمل تركيباته وأحسن تعبيراته ، ومثال ذلك :

وأخبر عن بدء السماء(٢) ــــ وأبطل أضاف الخنى(٣)

وبشر بجنة تنعيم (٤) ــــ وأوعد من يأبى (٥)

وقد كان نور الله فينا لمهتد ... وصمصام تدمير على كل ناكب (٦)

فأنجى به من شاء منا نجاته ... ومن خاب فلتندبه شرا النوادب (٧)

١ـ انظر : البلاغة الواضحة ، على الجارم و مصطفى امين : ص ٢٨٥ .

٢ـ انظر : البيت رقم : ٣٩ .

٣ـ انظر : البيت رقم : ٤١ .

٤ـ انظر : البيت رقم : ٤٢ .

٥ـ انظر : البيت رقم : ٤٣ .

٦ـ انظر : البيت رقم : ٤٦ .

٧ـ انظر : البيت رقم : ٤٤ .

٤ ـ الإشارات التاريخية

ذكر الشاه ولي الله في قصيدته الإشارات التاريخية المختلفة ومنها:

١ـ انشقاق القمر

وهو من أمهات المعجزات ، وأصول الكرامات التي لم تقع لغيره صلى الله عليه وسلم من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

وذلك لأن كفار مكة لما كذبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، طلبوا منه آية تدل على صدقة في دعواه ، فأعطاه الله هذه الآية العظيمة.

وقد ذكر الشيخ الشاه ولي الله في قصيدته هذه القصة حيث يقول :

وَأَعْجَبَ تِلْكَ الْبَدْرُ يَنْشَقُّ عِنْدَه' وَمَا هُوَ فِيْ إِعْجَازِهِ مِنْ عَجَائِبِ (١)

وقال السبكي : والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن، مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق شتى ،كما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : إن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين . وعنه أيضاً : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أية فانشق القمر بمكة فرقتين مرتين .(٢)

وعن عبدالله بن مسعود . قال: "بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى إذا انفلق القمر فلقتين . فكانت فلقة وراء الجبل ، وفلقة دونه . فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم " اشهدوا " .(٣)

فقالوا: سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فقال رجل منهم ــ قيل : أبو جهل لعنه الله ـ : إن كان محمد سحركم فإنه لا

١ـ انظر: البيت رقم : ٦٦.

٢ـ صحيح البخاري ، الإمام البخاري ، كتاب المناقب ، الحديث رقم : ٣٦٢٧.

٣ـ صحيح مسلم ، مسلم بن حجاج القشيري ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، الحديث رقم: ٤٤.

يستطيع سحر الناس كلهم . فقال كفار قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة ! .

فقال بعضهم : ألا تنظرون من يأتيكم من السفار ؛ فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . فجاء سفار فأخبروهم بذلك .

وروى الترمذي بسنده عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : "انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقالوا: سحرنا محمد فقال بعضهم : لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم" وقد روى بعضهم هذا الحديث عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده جبير ابن مطعم نحوه .(١)

٢- **شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم**

وَ شَقَّ لَـه' جِبْـرَئِيْـلُ بَـاطِنَ صَدْرِهِ　　لِغُسْـلِ سَـوَادٍ بِـالسُّوَيْدَآءِ لَازِبِ (٢)

وقد ورد في هذا البيت ذكر شق صدره الشريف كما شُقّ وغسل ليقرر فيه معارف النبوة ، ويتمكن فيه أسرارها ، كذلك القمر شُقّ لتتحقق النبوة ، وتظهر عند الناس أحوالها باعتبار أن القمر كما يتلألأ نوراً كذلك قلبه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم يتلألأ نوراً ، بما أفرغ فيه من معارف النبوة ، وأسرار الرسالة على وجه أكمل من تلألؤ القمر .

شق قلبه صلى الله عليه وآله وسلم وقع له مرات:

أولها : وهو عند حليمة السعدية ، كما جاء في حديث أبي نعيم وغيره أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

"كنت مسترضعاً في بني ليث بن بكر ؛ فبينا أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان ؛ فإذا أنا برهط ثلاثة ، معهم طست من ذهب ملىء ثلجاً ، فأخذوني من بين أصحابي ، وانطلق الصبيان مسرعين إلى الحي ، فعمد أحدهم فأضجعني إلى الأرض

١- سنن الترمذي ، محمد بن عيسىٰ الترمذي ، الحديث رقم : ٣٣٤٣.

٢- انظر: البيت رقم : ٦٧.

إضجاعاً لطيفاً ، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهي عانتي ، وأنا أنظر إليه ، ولم أجد لذلك مساً ، ثم أخرج أحشاء بطني وغسلها بذلك الثلج ، فأنعم غسلها ، ثم أعادها مكانها ، ثم قام الثاني ، فقال لصاحبه : تنح عنه . ثم أدخل يده في جوفي ، وأخرج قلبي ، وأنا أنظر إليه ، فصدعه ، ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ، ثم قال بيده يمينة ويسرة كأنه يتناول شيئاً ، فإذا خاتم من نور يحار الناظرون (به) ، فختم به قلبي ، فامتلأ نوراً ، وذلك نور النبوة والحكمة . ثم أعاده مكانه ؛ فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثم قال الثالث لصاحبه: تنح فأمر يده بين مفرق صدري إلى منتهي عانتي ، فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى . ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً " .(١)

وثانيها :وهو ابن عشر سنين على ما روى أبو نعيم ، وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ما أول ما ابتداء ت به من أمر النبوة ؟ .

قال: إني لفي صحراء أمشي وأنا ابن عشر حجج ، إذ أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم. فأخذاني فأضجعاني لحلاوة القفاء ثم شقا بطني ، وكان أحدهما يختلف بالماء في طشت من ذهب ، والآخر يغسل جوفي ، فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره . فإذا صدري فيما أرى مفلوق لا أجد له وجعاً . ثم قال : اشقق قلبه . فشق قلبي ، فقال : أخرج الغل والحسد منه . فأخرج شبه العلقة ، فنبذ به . ثم قال : أدخل الرحمة والرأفة قلبه ، فأخرج شيئاً كهيئة الفضة ، ثم أخرج ذروراً كان معه فذرّ عليه ، ثم نقر إبهامي ، ثم قال : اغدُ . فرجعت بما لم أغد به من رحمتي للصغير ، ورأفتي للكبير " -(٢)

والحكمة في شق صدره صلى الله عليه وسلم- حالة صباه ، واستخراج ما مرّ من تطهيره عن نقائص الصبا ، ليكون من ابتداء عمره على أكمل الصفات ، وأتمِ الحالات .

وثالثها:عند مجيء جبريل عليه السلام ، وهو صلى الله عليه وسلم بغار حراء . وممن رواه : أبو نعيم ، ولفظه : "إن جبريل وميكائيل شقا صدره صلى الله عليه وسلم ، وغسلاه

١- كنز العمال ، الإمام المتقي الهندي ، الحديث رقم : ٣٥٤٣٠.

٢- فقه السيرة ، محمد سعيد رمضان البوطي : ص ٧٣ .

ثـم قـال : ﴿ اقـرأ بـاسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . (١)

والحكمة فيه كمال تهيئه ، والتقوى على ما سيلقى عليه من الوحي بقلب قوي مطهّر .

ورابعتها :ليلة الإسراء .

ففـي الـصحيحين عـن أبي ذر رضي الله عنه : "فرج سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريـل ، ففـرَّج صـدري ، ثـم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطشت من ذهب ممتلء حكمة وإيمانا ، فأفرغها في صدري ، أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء" . (٢)

والـحكمة في هذا الشق : الاستعداد للرقي إلى الملأ الأعلى ، والتقوى على ما وقع له تلك الليلة مما لم يقع لنبي مرسل ، ولا ملك مقرب .

٣ـ **معراج النبي** صلى الله عليه وآله وسلم

وَ أَسْـرىٰ عَلىٰ مَتْنِ الْبُرَاقِ إِلىٰ السَّمَآءِ فَيَـا خَيْـرَ مَـرْكُـوْبٍ وَّ يَـا خَيْرَ رَاكِب (٣)

والبيـت يشيـر إلى قصة الإسراء به صلى الله عليه وسلم ، وهي من أشهر المعجزات ، وأوضـح الـكرامات ، وأصدق البراهين الواضحات ، ورد بها القرآن في سورة الإسراء ، ودلت عـليها الأخبار الصحيحة الصريحة وتواترت عن الصحابة ، وانعقد عليها إجماع المسلمين ؛ لأن الـعـلماء أوردوها على روايات مختلفة ، وذهبوا فيها مذاهب عديدة : فقيل : كان الإسراء بـالـروح فقط ، مناماً . وقيل : بالروح والجسد يقظة. وقيل : بهما كذلك إلى بيت المقدس . وبـالروح فقط إلى السماء . والصحيح الذي عليه الجمهور : أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحـدة ، بالروح والجسد . يقظة من مكة إلى بيت المقدس ، ثم إلى السموات العلى ، ثم إلى سـدرة المنتهى ، ثم إلى ما شاء الله العلي الأعلى . وذهب جماعة إلى أن الإسراء وقع مرتين ؛

١ـ سورة العلق : الآية: ١ـ ٥.

٢ـ صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، الحديث رقم : ٣٤٢.

ـ وصحيح مسلم ، مسلم بن حجاج القشيري ، الحديث رقم : ٢٦٣ .

٣ـ انظر: البيت رقم : ٦٨.

في النوم ، ومرة في اليقظة . قالوا : مرة النوم توطئة ، وتيسيراً عليه كما بدئت نبوته بالرؤيا الصالحة . وقد اختلفوا فيه ـ أيضاً ـ زماناً ، ومكاناً : والصحيح أنه كان قبل الهجرة بسنة ، وبالغ ابن حزم فنقل عليه الإجماع . وأنه في ليلة سبع وعشرين من رجب ، وأنه من مكة . قيل : من شعب أبي طالب . وقيل : من بيته . وقيل : من بيت أم هانئ .

ثم قال الإمام الشاه ولي الله :

وَ شَاهَدَ فَوْقَ الْفَوْقِ أَنْوَارِ رَبِّهِ ۞ كَمِثْلِ فَرَاشٍ وَّافِرٍ مُّتَرَاكِبِ (١)

أي : قدرها في القرب المعنوي من الله تعالى ، كما قال الله تعالى : ﴿ ثم دنا فتدلى 0 فكان قاب قوسين أو أدنى0 ﴾ . (٢)

أي : أنه كان في القرب كقرب الواحد من الآخر بقدر قوسين أو أقل ، والله سبحانه وتعالى منزه عن المكان .

ولم يزل صلى الله عليه وآله وسلم في خفارة كما أدبه مع ربه ، وتكميل مرتبة عبوديته ، حتى خرق السماوات ، وجاوز سدرة المنتهى ، و وصل إلى محل من القرب سبق به الأولين والآخرين ، فانشقت عنه سحائب الحجب ، وأفيضت عليه أقسام القرب، وأقيم مقاماً غبطه فيه الأنبياء والمرسلون ، وقصر عن الوصول إليه الأولون والآخرون .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه : "عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى " . والمعنى الجامع لهذه الروايات : أن كلاً منهما قرب من الآخر كما هو شأن المحبين إذا تلاقوا ، ووجود الحب من الجانبين يستلزم كمال القرب ومزيد الإنعام ، فلذلك أفاض الله تعالى عليه تلك الليلة ما لم يفضه على نبي مرسل ، ولا ملك مقرب . وشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنوار ربه .

وقال الشاه ولي الله :

وَشَاهَدَ أَرْوَاحَ النَّبِيِّينَ جُمْلَةً ۞ لَدىٰ الصَّخْرَةِ الْعُظْمىٰ وَفَوْقَ الْكَوَاكِبِ (٣)

١ـ انظر : البيت رقم : ٧٠.

٢ـ سورة النجم ـ الآية ٨ ـ ٩.

٣ـ انظر : البيت رقم : ٦٩.

والبيت يشير إلى تقديمه صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء في الصلاة، وإمامته بهم ليلة الإسراء ، كما ثبت ذلك في أحاديث :

منها :"فحانت الصلاة ؛ فأممتهم " .(١)

ومنها :أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى ببيت المقدس مع الملائكة ، وأنه أتي بأرواح الأنبياء ، فأثنوا على الله عزوجل ، وفيه قول إبراهيم -على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- : "لقد فضلكم محمد " .(٢)

وفي رواية : "ثم بعث له آدم فمن دونه ، فأمهم تلك الليلة " (٣)

وفي رواية : " فلما أتى -صلى الله عليه وآله وسلم- المسجد الأقصى ، قام يصلي؛ فإذا النبيون يصلون معه " .(٤)

٤- غزوة بدر

فَأُلْقُوا بِبَدْرٍ فِي قَلِيبٍ مُخَبَّثٍ　　　وَعَمَّ جَمِيعُ الْقَوْمِ شُوْمُ الْمُدَاعِبِ (٥)

وقد أشار الشاعر في هذا البيت غزوة بدر وهو من أهم غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وأول المعركة بين الحق والباطل .

بدر

وهو موضع بين مكة والمدينة، إلى المدينة أقرب ، وبه قرية مشهورة ، سمي باسم من نزل به ، وهو بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة ، وقيل : بدر بن الحارث ، حافر بئرها. وقيل: سمي باسم البئر ، وسميت البئر بدراً لاستدارتها كالبدر ، أو لصفائها و رؤية البدر منها . وقال العلامة العسقلاني في "الفتح " : هي قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها ، ويقال بدر بن الحارث ، ويقال بدر اسم البئر التي بها ، سميت بذلك

١- صحيح مسلم ، مسلم بن حجاج القشيري ، كتاب الإيمان ، الحديث رقم : ٢٧٨.

٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر عسقلاني ، باب حديث الإسراء : ج ٧.

٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر عسقلاني ، باب حديث الإسراء : ج ٧.

٤- راجع للتفصيل : مجمع الزوائد ، الحافظ الهيثمي ، ابواب الإسراء والمعراج : رقم الحديث : ٢٤١.

٥- انظر: البيت رقم : ٥٩.

لاستدارتها أو لصفاء مائها فكان البدر يرى فيها. وحكى الواقدي إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بني غفار ، وإنما هي مأوانا ومنازلنا وما ملكها أحد قط يقال له بدر ، وإنما هو علم عليها ، كغيرها من البلاد .(١)

وكانت غزوة بدر من غير قصد ولا ميعاد من المسلمين ، يوم الجمعة ، سبع عشرة خلت من رمضان ، عام اثنين من الهجرة ، وهي وقعة بدر الكبرى ، التي أعز الله بها الإسلام، قتل فيها من صناديد قريش سبعون ، وأسر منهم سبعون . وكان عدد المسلمين فيها ثلاث مائة وبضعة عشر . وعدد الكفار فيها ما ينوف على ألف .

رُوي : إن جبريل عليه السلام نزل في خمس مائة ، وميكائيل في خمس مائة من الملائكة ، في صور رجال عليهم ثياب بيض ، أرخوا أطرافها بين أكتافهم ، راكبين على خيل بلق . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء، ويوم حنين عمائم حمراء ، ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر . وكانوا فيما سواه عدداً و مدداً .(٢)

٥- قصة شاة أم معبد

وَ درت له شاة لدي أم معبد حليباً ولا تسطاع حلبة حالب(٣)

وفي هذا البيت ذكر الشاعر الشاه ولي الله قصة شاة أم معبد وهي من أهم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم . و وقع هذه القصة عند هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم . وفيه أحاديث كثيرة . ومنها : عن أبي معبد الخزاعي قال:

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة هجرته من مكة إلى المدينة ، هو و أبوبكر الصديق و عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، ودليلهم عبدالله ابن الأريقط الليثي ، فمروا على

١- انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، العلامة العسقلاني ، كتاب المغازي ، باب قصة البدر: ج٧.

٢- انظر: مجمع الزوائد ، الحافظ الهيثمي ، ابواب في غزوة بدر ، الحديث رقم :٩٩٨٥.

٣- انظر: البيت رقم :٥٥.

خيمتي أم معبد الخزاعية ـ وكانت امرأة برزة جلدة ، تحتبي ، وتجلس بفناء الخيمة ، وتطعم و تسقي ـ ، فسألوها تمراً ولحماً ليشتروه فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وإذا القوم مرملون مسنتون .

فقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كسر خيمتها فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، قال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذاك ، قال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت: نعم بأبي وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسح ضرعها ، وذكر اسم الله وقال: اللهم بارك لها في شاتها ، فتفاجت ، ودرت فاجترت ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بإناء لها يربض الرهط ، فحلب فيه فشربوا حتى رووا ، فشرب صلى الله عليه وسلم آخرهم ، وقال : ساقي القوم آخرهم شرباً، فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل ، حتى أراضوا ، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء ، فغادره عندها ، ثم ارتحلوا عنها.

قال : فقَلّ ما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق اعنُزاً حيّلَا عجافاً ، يتساوكن هزلًا، مخهن قليل ، لا نقي بهن ، فلما رأى اللبن قال: من أين لكم هذا والشاء عازب ولا حلوبة في البيت ؟ قالت: لا والله ، إلا أنه مربنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، قال : والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلب ، صفيه لي يا أم معبد؟ قالت: رأيت رجلاً، مليح الوجه حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزريه صعله ، وسيم قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف : وفي وصوته صحل ، أحور أكحل ، أزج أقرن ، شديد سواد الشعر ، في عنقه سطع ، وفي لحيته كثافة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما و علاه البهاء ، كأن كلامه خرزات نظم ينحدرن منه ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر، أبهى الناس وأجمله من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب ،ربعة لا تشنؤه عين من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به إن قال استمعوا لقوله ،

وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند.

قال : هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر ، ولو كنت واقفته لألتمست أن أصحبه ولأفعلنه إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

قال : وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقوله، وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه   رفيقين حلّا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به   فأفلح من أمسي رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به   من فعال لا تجازي وسؤيد
سلوا أختكم عن شاتها   وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
أتاها بشاة حائل فتحلبت له   بصريح ضرّة الشاة مزُبد
فغادره رهنا لديها لحالب   يدر لها في مصدر ثم مورد

قال : فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم   وقد سر من يسري إليهم ويفتدي
ترحل عن قوم فزالت عقولهم   وحل على قوم بنور مجدد
وهل يستوي ضلال قوم تسكعوا   عمي وهداة يهتدون بمهتد
نبي يرى مالا يرى الناس حوله   ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غايب   فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد
ليهن أبا بكر سعادة جده   بصحبته من يسعد الله يسعد
ويهن بني كعب مقام فتاتهم   ومقعدها للمؤمنين بمرصد (١)

١- انظر: الطبقات ، ابن سعد : ج ١ ، ص ٢٣٠.
- المنتظم، ابن الجوزي : ج ٣، ص ٥٧.
- الدلائل النبوة ، الإمام البيهقي : ج ١ ، ص ٢٧٦ - ٢٨١.
- المعرفة ، ابو نعيم ، الرقم ٧٠٠١.
- التاريخ، ابن عساكر ، ج ٣ ، ص ٣١٦.

البـــــاب الثـــالـــث

دراسة مقارنة بين القصيدتين

فيه فصلان

الفصل الأول: أوجه التشابه

الفصل الثاني: أوجه الخلاف

الفصل الأول:

أوجه التشابه

بعد مجاورة بردة الإمام البوصيري وأطيب النغم للشاه ولي الله في الصفحات السابقة ، لاحظت ما يلي . أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بينهما .

١- **أوجه التشابه:**

١- إن البردة وأطيب النغم كلتاهما مبنية على أساس فكرة المدح النبي صلى الله عليه و سلم . وكلتاهما تتساير في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتتشاكل في الروعة و الجمال . واتصل بالمتلقين إلى معرفة الروح الإسلامية الحقيقة ، وشيم النبي صلى الله عليه وسلم الرفيعة مثل الوقار والصبر والأمانة والوفاء والعفو والصفح والحلم والجود والرحمة.

٢- إن في صدر القصيدتين النسيب . والنسيب يتصل بالشوق إلى المعالم العربية إنهما اختار تلك المواطن لصلتها بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم . وخاصة إذالاحظنا أن النسيب لم يقصد لذاته وإنما هو نسيب وقع موقع التمهيد لقصيدة دينية و لولا حرص الشاعرين على متابعة القدماء في افتتاح القصيدة بالنسيب لما كان للتغزل في مثل هاتين القصيدتين من مكان.

كما قال البوصيري:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جيران بِذِي سَلَمٍ ... مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَة بِدَمِ
أَمْ هَبَّتْ الريحُ مِنْ تِلْقاء كاظِمَةٍ ... وأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظُلْماء مِنْ إضَمِ
فما لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفا هَمَتا ... فَما لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ
أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكتِمٌ ... ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومُضْطَرِمِ
لولَا الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ ... ولا أرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ (١)

وقال الشاه ولي الله بالنسيب :

كَأَنَّ نُجُوماً أَوْ مَضَتْ فِي الْغَيَاهِبِ ... عُيُوْنَ الْأَفَاعِي أَوْ رُؤُوسَ الْعَقَارِبِ
إِذَا كَانَ قَلْبُ الْمَرْءِ فِي الأَمْرِ خَاثِراً ... فَأَضْيَقُ مِنْ تِسْعِيْنَ رُحْبُ السَّبَاسِبِ

١- انظر: البيت رقم : ١-٥.

تَشْغُلُنِي عَنِّي وَعَنْ كُلِّ رَاحَتِي ... مَصَائِبُ تَقْفُوا مِثْلُهَا مِنْ مَّصَائِبِ
إِذَا مَا أَتَتْنِي أَزْمَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ ... تُحِيطُ بِنَفْسِي مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِ
تَطَلَّبْتُ هَلْ مِنْ نَاصِرٍ أَوْ مُسَاعِدٍ؟ ... أَلُوذُ بِهِ مِنْ خَوْفِ سُوءِ الْعَوَاقِبِ (١)

٣ـ وعقب تمام التمهيد للقصيدتين دخل الشاعران في صلب الموضوع ـ مدح النبي صلى الله عليه وسلم ـ بالرغم من أن البردة للإمام البوصيري أطول من أطيب النغم للشاه ولي الله . و أتى البوصيري فيها بعدة فصول عمت حياة النبي صلى الله عليه ، مولده وشرفه ومعجزاته الكثيرة وجهاده العظيم على سبيل المثال ولكن لا تختلف إحداهما عن الأخرى بصورة عامة في صلب الموضوع ـ مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ـ ومن أساليب الشاعرين أسلوب يميل إليه أكثر من غيره وهو "التشبيه" وأذكر بعضه على سبيل المثال:

قال البوصيري :

كالشمس تظهر للعينين من بعد ... صغيرة و تكل الطرف من امم (٢)
كالزهر في ترف والبدر في شرف ... والبحر في كرم والدهر في همم
كأنه هو فرد من جلالته ... في عسكر حين تلقاه وفي حشم
كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف ... من معدني منطق منه ومبتسم (٣)

ونسمع الآن ما يقوله الشاعر الشاه ولي الله .

كأن نجوما أو مضت في الغياهب ... عيوب الأفاعي أو رؤوس العقارب (٤)
و دينهم ما يفترون برأيهم ... كتحريم حام واختراع السوائب (٥)
وشاهد فوق الفوق أنوار ربه ... كمثل فراش وافر متراكب (٦)
وأنك أعلى المرسلين مكانة ... وأنت لهم شمس وهم كاالثواقب (٧)

١ـ انظر: البيت رقم : ١ـ٥.
٢ـ انظر البيت رقم :٤٩.
٣ـ انظر البيت رقم :٥٥ ـ٥٧.
٤ـ انظر البيت رقم :١.
٥ـ انظر البيت رقم :٣٠.
٦ـ انظر البيت رقم :٧٠.
٧ـ انظر البيت رقم :١٠٢.

٥ـ في مطلع القصيدتين براعة الاستهلال . لأن فيهما إشارة إلى أن هاتين القصيدتين في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

قال البوصيري :

أمــن تــذكــر جيـران بـذي سـلـم   مـزجـت دمـعـاً جـرى من مقلة بدم

وقال الشاه ولي الله :ـ

كـأن نـجوما أو مضت في الغياهب   عيـون الأفـاعـي أو رؤس العقـارب

٦ــ إن الشـاعـريـن كـليهـما يتحدثان في قصيدتهما عن تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم وشريعته على الأنبيآء السابقة .

قال البوصيري :

فــاق الـنبييـن فـي خـلق و في خلق   ولــم يـدانــواه فـي عـلـم ولا كـرم

وكـلهـم مـن رسـول الله مـلتـمـس   غـرمـا مـن البـحر أو رشفا من الديم (١)

فـإنــه شـمــس فـضل هـم كواكبها   يـظهـرون أنـوارهـا للناس في أعظم (٢)

وقال ولى الله :

وأنك أعـلــى الـمــرسلين مكـانة   وأنــت لهـم شـمــس وهـم كالثواقب (٣)

٧ ـ ذكر الشاعران اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم " محمدا" في قصيدتهما.

قال البوصيري:

فــإن لــي ذمة مــنـــه بتسـميتـي   مـحـمـداً ، وهـو أوفى الخلق بالذمم (٤)

مـحـمـد سيد الـكـونيـن والثـقلين   والـفـريـقيـن مـن عـرب ومـن عجم (٥)

وذكر ولي الله أيضاً اسم "محمد " في قصيدته حيث قال :ـ

١ـ انظر البيت رقم :٣٨ـ٣٩.
٢ـ انظر البيت رقم :٥٣.
٣ـ انظر البيت رقم :١٠٢.
٤ـ انظر البيت رقم :١٤٦.
٥ـ انظر البيت رقم :٣٤.

فلست أرىٰ إلا الحبيب محمداً   رسول إله الخلق جم المناقب (١)

رؤف رحيم أحمد ومحمد   مقفّى ومفضال يسمى بعاقب (٢)

سأذكر حبي للحبيب محمد   إذا وصف العشاق حب الحبائب (٣)

جزى الله أصحاب النبي محمد   جميعا كما كانوا له خير صاحب (٤)

٨ـ ذكر الشاعران عن شجاعة الصحابة رضي الله عنهم :

حيث قال البوصيري :

هم الجبال فسل عنهم مصاد مهم   ماذا رأىٰ منهم في كل مصطدم

وسل حنينا وسل بدرا وسل أحد   فصول حتف لهم أدهى من الوخم

المصدرى بيض حمرا بعد ما وردت   من العدا كل مسود من اللمم (٥)

وقال الشاه ولي الله :

أشداء يوم البأس من كل باسل   ومن كل قدم بالأسنة لاعب

توارث إقداما ونيلا وجرأة   نفوسهم من أمهات نجائب

جز الله أصحاب النبي محمد   جميعا كما كانوا له خير صاحب (٦)

٩ـ وإن الشاعرين يتحدثان عن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم .

حيث قال البوصيري :

هو الحبيب الذي ترجىٰ شفاعته   لكل هول من الأهوال مقتحم (٧)

وقال الشاه ولي الله :

ملاذ عباد الله ملجأُ خوفهم   إذا جاء يوم فيه شيب الذوائب (٨)

هناك رسول الله ينحو لربه   شفيعا وفتاحا لباب المواهب (٩)

١ـ انظر البيت رقم :٦.

٢ـ انظر البيت رقم :٧٤.

٣ـ انظر البيت رقم :٩٤.

٤ـ انظر البيت رقم :٧٩.

٥ـ انظر البيت رقم :١٢٧ــ١٢٩.

٦ـ انظر البيت رقم :٧٧ ـ ٧٩.

٧ـ انظر البيت رقم :٣٦.

٨ـ انظر البيت رقم :٨.

٩ـ انظر البيت رقم :١١.

١٠ـ يذكران الشاعران في قصيدتهما عن شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم وعن شق القمر وهما من المعجزات العظيمة والحوادث الأهمة .

قال الشاه ولي الله :ـ

وأعجب تلك البدر ينشق بدره ... وما هو في إعجازه من عجائب

وشق له جبريل باطن صدره ... لغسل سوادٍ بالسويداء لازب (١)

وقال البوصيري :

أقسمت بالقمر المنشق إن له ... من قلبه نسبة مبرورة القسم (٢)

١١ـ وذكر الشاعران معراج النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدتهما حيث قال البوصيري:

سريت من حرم ليلا إلى حرم ... كما سرىٰ البدر في درج من الظلم

وبت ترقى إلى أن نلت منزلة ... من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم (٣)

وقال الشاه ولي الله :

وأسرى على متن البراق إلى السماء ... فياخير مركوب وياخير راكب

وشاهد فوق الفوق أنوار ربه ... كمثل فراش وافر متراكب (٤)

١٢ـ وإذ توازن بقصيدتين فنجدهما بأن الشاعرين في قصيدتهما يتفقان في الإشارة ببعض فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا يتفقان على بعض محاسن الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال ولي الله :ـ

هناك رسول الله ينحو لربه ... شفيعا وفتاحا لباب المواهب (٥)

وأعظم حر للمعالي نهوضه ... إلى المجد سام للعظائم خاطب

١ـ انظر البيت رقم :٦٦ـ ٦٧.

٢ـ انظر البيت رقم :٧٥.

٣ـ انظر البيت رقم :١٠٧ـ ١٠٨.

٤ـ انظر البيت رقم :٦٨ـ٦٩.

٥ـ انظر البيت رقم :١١.

تـرى أشـجـع الـفـرسان لاذ بظهره إذا احـمـر بأس في بئيس المواجب (١)
بـديـع كمال في المعاني فلا إمرئ يـكـون لـه مثلا ولا بـمـقـارب (٢)
وأخبـر عـن بـدء السـمـاء لهم وعن مـقـام مخوف بين أيدي المحاسب (٣)

ويظهر من أبياته بأنه تأثر في هذا المجال من البوصيري حيث يمدح ولي الله الرسول صـلـى الله عـلـيـه وسـلـم يـعـرف مـا فـي المدح والقلم وهو الأمان في كل الأهوال وهو جواد يـحسـب ألف ديـنار دينارا واحدا وشجاع يحسب ألف رجل من عسكر العدو رجلا واحدا. ويتحدث عن معراجه.

فـإذا نـرجـع إلـى الـبـوصـيـري فنجده يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بأن علم اللوح والـقـلـم جزء مـن عـلمه وهو مرجو الشفاعة في كل الحوادث ويتحدث عن زهده عن الغنى ومـظـاهـر الـنـعـيـم ورفـضـه أن تكون الجبال له ذهبا في الوقت الذي كان في شديد الحاجة. وكذلك يتحدث عن معراجه ونزول المطر في السنة الشهباء.

قال البوصيري:

فـإن مـن جـودك الدنيا وضـرتهـا ومـن عـلـومك عـلـم الـلـوح والـقلم (٤)
هـو الـحبيـب الذي ترجى شفاعته لـكـل هـول مـن الأهـوال مـقـتـحـم (٥)
و راودتـه الـجبـال الشم من ذهب عـن نـفـسـه فـأراهـا أيـمـا شـمـم (٦)
وبـت تـرقـى إلـى أن نـلـت مـنزلة مـن قـاب قـوسيـن لـم تدرك ولم ترم (٧)
وأحيـت السـنة الشهبـاء دعـوتـه حـتـى حـكـت غرة في الأعصر الدهم (٨)

١٣ــ اشتـرك الشـاعـران فـي إنهـاء الـقـصيدة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول البوصيري:ـ

١ـ انظر البيت رقم: ٢١ـ٢٢.
٢ـ انظر البيت رقم: ٢٧.
٣ـ انظر البيت رقم: ٣٩.
٤ـ انظر البيت رقم: ١٥٤.
٥ـ انظر البيت رقم: ٣٦.
٦ـ انظر البيت رقم: ٣١.
٧ـ انظر البيت رقم: ١٠٨.
٨ـ انظر البيت رقم: ٨٦.

وائـذن لسـحـب صـلـوة منك دائمة　　　عـلـى الـنبـي بـمـنهـل ومـنسـجـم
مـا رنـحت عذبات البان ريح صبا　　　واطـراب الـعيـس حـادي العيس بالنغم (١)

ويقول الشاه ولي الله :ـ

وصـلـى عـليك الله يـا خيـر خلقـه　　　ويـاخيـر مـأمـول ويـاخيـر واهـب (٢)

١ـ　انظر البيت رقم :١٥٩ـ١٦٠ .
٢ـ　انظر البيت رقم :٩٩ .

الفصل الثاني

أوجه الخلاف

٢ـ أوجه الخلاف

سأحاول فيما يلي ذكر أوجه الاختلاف بعد ذكر أوجه التشابه بين البردة وأطيب النغم لتتكون لدينا صورة إجمالية – ولو مبسطة .

١ـ يختلف الهدف في نظم البردة و أطيب النغم . إن البوصيري كان مريضا ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأنشد قصيدته أمامه ، فمسح بيده عليه ، ولفه في بردته فبرئ لوقته . فنظم البوصيري قصيدته بقصد البراء من داء الفالج الذي أصابه وأبطل نصفه .

والشاه ولى الله نظم قصيدته البائيه (أطيب النغم) باتباع قصيدة سواد بن قارب رضي الله عنه الصحابي البائية التي يقول فيها.

وأنت شفيع يوم لا ذو شفاعة بمغني كما أثنى سواد بن قارب (١)

والآن نحن نذكر ترجمة سواد بن قارب رضي الله عنه ونموذج كلامه ملخصاً.

ترجمة سواد بن قارب رضى الله عنه ونموذج من كلامه

قد سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة القصائد المدحية وأحبها ورضي عن المادحين كالقصيدة اللامية لكعب بن زهير ، والقصيدة الهمزية لسيدنا حسان بن ثابت، والقصيدة البائية لسواد بن قارب رضي الله تعالى عنهم وغيرها من القصائد فنحن نرى كثيرا من الشعراء المتأخرين وهم يتبعونهم في تلك القصائد المدحية ، ومنهم **شيخنا الشاه ولي الله الدهلوي** ، فإنه قد اتبع في قصيدته البائية الصحابي الجليل والمادح الكبير سيدناسواد بن قارب رضي الله عنه تعالى عنه ، ويذكره في أبياته معترفا له واتباعا له حيث قال:

وأنت شفيع يوم لا ذوشفاعة بمغنى كما أثنى سواد بن قارب

نظرا إلى ما تأثر به الشاه ولي الله بالقصيدة البائية لسواد بن قارب ، نحن نرى واضحا بأنه نحا نحوه ونهج منهجه ، واقتدى أثره ، يحسن بنافي هذا المقام أن نذكر هذا المادح

١ـ انظر البيت رقم :١٠٣.

الكبير الجليل موجزا ونرى قصيدته البائية .

ومـن حـديث هذه الأبيات أن سيدنا سواد بن قارب السدوسي من بني سدوس وكان يتكهن في الجاهلية، وكان شاعرا فحلاثم أسلم .

وعـن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال ما سمعت عن رضي الله عنه يقول لشيء قط إني لأظنه هكذا إلا كان كما يظن : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس إذ مر به رجـل جـميـل فقال لقد أخطأ ظني أو أن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنا ، عليّ بـالـرجـل ، فـدعى له فقال له ذلك: فقال: فما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم قال: فإني أعـزم عـليك إلا مـا أخبرتنى قال كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما أعجب ما جاء تك به جنيتك قال بينما أنا يوما في السوق جاء تني أعرف فيها الفزع فقالت :

ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاس وحلاسها .

قـال عمر رضي الله عنه: صدق، بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فـصـرخ بـه صـارخ لـم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يـقـول لا إله إلا الله قال نوثب القوم فقلت لا أبرح حتى أعلم ماوراء هذا ثم نادى يا جليح أمر نـجح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله فقمت فما نشبنا أن قيل هذا نبي . هذا سياق البخاري ، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب بنحوه ثم قال وظاهر هذه الرواية يؤتم أن عمر رضي أو عنه بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عـمر رضي الله عنه وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته و سـمـاعـه والله أعـلـم ، وهذا الذي قاله البيهقي هو المنجه وهذا الرجل هو سواد بن قارب . وقـال البيهقي حديث سواد بن قارب ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح .

وروى البيهقي في "الدلائل" بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال بينما عمر بـن الـخطاب رضي الله عنه يخطب الناس علي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال:

أيها الناس أفيكم سواد بن قارب ؟ قال فلم يجبه أحد تلك السنة فلماكانت السنة المقبلة قال: أيها الناس أفيكم سواد بن قارب؟ قال فقلت ياأمير المؤمنين وما سواد بن قارب ؟ قال فقال له عمر رضيا الله عنه إن سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئا عجيباً: قال فبينما نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب قال: فقال له عمر رضي الله عنه: يا سواد حدثنا ببدء إسلامك كيف كان؟ قال سواد رضي الله عنه: فإني كنت نازلا بالهند وكان لي رئي من الجن قال: فبينا أنا ذات ليلة نائم إذ جاء ني في منامي ذلك قال: قم فافهم واعقل إن كنت تعقل قد بعث رسول من لؤى بن غالب ثم أنشأ بقول:

عجبت للجن وأنجاسها　　وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغي الهدي　　ما مؤمنوها مثل أرجاسها
فانهض إلى الصفوة من هاشم　　واسم بعينيك إلى رأسها

قال ثم أنبهني فأفزعني وقال: يا سواد بن قارب إن الله عزوجل بعث نبياً فانهض إليه تهتد وترشد.

فلما كان من الليلة الثانية أتانى فأنبهني ثم أنشأ يقول كذلك :

عجبت للجن وتطلابها　　وشدها العيس بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى　　ليس قدماها كأذنابها
فانهض إلى الصفوة من هاشم　　وأسم بعينيك إلى نابها

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني ثم قال كذلك :

عجبت للجن وتخبارها　　وشدها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى　　ليس ذو و الشر كأخيارها
فانهض إلى الصفوة من هاشم　　ما مؤمنو الجن ككفارها

قال :فلما سمعته يكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حب الإسلام من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله قال فانطلقت إلى رحلى فشددته على راحلتي فما حللت

تسعة ولا عقدت أخرى حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو بالمدينة يعني مكة والناس عليه كعرف الفرس فلما رأني النبي صلي الله عليه وسلم قال: مرحبا بك يا سواد بن قارب! قد علمنا ما جاء بك ، قال قلت يا رسول الله قد قلت شعراً فاسمعه منى قال صلى الله عليه وسلم : قل يا سواد! فقلت:

أتاني رئيٌّ بعد ليل وهجعة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الإزار و وسّطت بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين شفاعة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب
فرفعت أذيال الإزار وشمرت بي القرين الوجناء بين السباسب
فاشهد أن لا إله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب

فمن ذلك : ما جاء أنه هتف هاتفٌ على الحجون فقال:

فأقسم ما أنثى من الناس أنجبت ولا ولدت أنثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات معجزة مجنّبة لؤم القبائل ماجده (١)

قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقالى لى: أفلحت يا

١- راجع للتفصيل : تفسير القرآن ، ابن كثير: ج٥ ، ص ٥٨٤ .
- أسدالغابة ، ابن الأثير : ج٢ ، ص٤٨٤، ٤٨٥ .
- والمعجم الكبير، الإمام الطبراني :ج٧، ص٩٢ .
- والمجمع الزوائد ،الحافظ الهيثمي : ج٨ ، ص٢٥٣.
- والإصابة ،ابن حجر: ج٢ ، ص ٩٦.
- وسبل الهدى والرشاد ، الصالحي الشامي ، ج ١ ، ص : ٣٥١ - ٣٥٢-
- ودلائل النبوة ، الإمام البيهقي : ج ٢ ، ص ٣٤٨.

سواد ، فقال له عمر رضي الله عنه: هل يأتيك رئيك الآن ؟ فقال: منذ قرأت القرآن لم يأتني ونعم العوض كتاب الله عزوجل من الجن .

٢ـ إن البردة نموذجاً للشعراء وهم ينسجون على منوالها ويحرصون على مجراتها كما أنها كانت مثالا لأصحاب البديعيات لكثرة ما تضمت من المحسنات البديعية ولكن لا أحد نظم القصيدة على منوال القصيدة أطيب النعم .

٣ـ إن الألفاظ والعبارات في القصيدة أطيب النغم فيها شئ من الصعوبة والتكلف وألفاظ البردة ومفرداتها سلسلة واضحة وعميقة وفيها السهولة والكيونة.

٤ـ إن البوصيري تأثر من بردة كعب بن زهير وفي أكثر قصائده أسلوبا ، أم منهجا، له أن تعبير عروضا أما قافية . و ولى الله تأثر في القصيدة أطيب النغم من سواد بن قارب الصحابي رضي الله عنه أسلوبا أم منهجا ، لغة أم تعبيرا .

والآن نحن نذكر ترجمة سيدنا كعب بن زهير رضي الله عنه ونموذج من شعره.

سيدنا كعب بن زهير رضي الله عنه

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى ، والأخ بجير ، وابنه عقبة ، وحفيده العوام ، كلهم شعراء مجيدون . أما قصة إسلام كعب رضي الله عنه فأوردها البيهقي في دلائل النبوة فقال: خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزاف فقال بجير لكعب: اثبت في هذا المكان حتى آتي هذا الرجل يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمع ما يقول. فثبت كعب وخرج بجير فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فأسلم؛ فبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة   على أي شيء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا   عليه ولم تدرك عليه أخا لكا
سقاك أبوبكر بكأس روية   وأنهلك المأمون منها وعلّكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دمه ، وقال : من لقي كعباً

فليقتله . فكتب بذلك بجير إلى أخيه وذكر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه ، ويقول له النجاء ، وما أراك تنفلت . ثم كتب إليه بعد ذلك إعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك ؛ فإذا جاء ك كتابي هذا فأسلم وأقبل . قال :فأسلم كعب ، وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كالمائدة بين القوم متحلقون معه حلقة خلف حلقة ، يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم ، وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم . قال كعب : فأنخت راحلتي بباب المسجد؛ فعرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفة حتى جلست إليه فأسلمت وقلت: أشهد أن لا اله إلا الله وأنك محمد رسول الله الأمان يا رسول الله . قال : ومن أنت ؟ قال : كعب بن زهير . قال : الذي يقول ......، ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كيف قال يا أبابكر؟ فانشده أبو بكر .

سقاك بها المأمون كأسا روية　　　وأنهلك المأمون منها وعلكا

قال : يارسول الله ما قلت هكذا . قال : فكيف قلت ؟ . قال : قلت : سقاك بها المأمون كأسا روية وأنهلك المأمون منها وعلكا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مأمون والله" . ثم أنشده قصيدة .

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول　　　متيم عندها لم يغد مكبول

وذكر أبو عمر بن عبدالبر في كتاب "الاستيعاب" أن كعباً لما انتهي إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به　　　مهند من سيوف الله مسلول

أنبئت أن رسول الله أوعدني　　　والعفو عند رسول الله مأمول

قال : فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من معه أن اسمعوا . وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في مغازيه ولله الحمد والمنة . قال ابن كثير : ورد في بعض الروايات أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه بردته حين أنشده القصيدة ، وقد نظم ذلك الصرصري في بعض مدائحه وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن ابن الأثير في الغابة قال: وهي البردة التي عند الخلفاء . وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قال: (بانت سعاد): ومن سعاد ؟ قال زوجتي يا رسول الله . قال: لم تبن ولكن لم يصح ذلك ، وكأنه على ذلك توهم أن بإسلامه تبين امرأته والظاهر أنه إنما أراد البينونة الحسية لا الحكمية والله تعالى أعلم . (١)

نموذج من شعره

من عيون شعره مشوبته التي مدح بها الرسول ، ومطلعها :

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبول مُتيّم إثرها لم يفد مكبول

ومنها :

وقال كل خليل كنت آمله لا ألهينك إني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء خمول
أنبئت أن رسول الله أوعدني والوعد عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظ و تفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وقد كثرت في الأقاويل

ومن قوله:

السامع الذم شريك له ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق و بالباطل

١- انظر : دلائل النبوة، الإمام البيهقي : ج٥ ، ص ٢٠٧ .
- وسيرة النبوية ، ابن هشام : ج٤، ص ١١٦-١١٧.

شروح القصيدة البردة (بانت سعاد)

١- شرح أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب نشره باسيه في باريس ١٩١٠.

٢- شرح ابن دريد (المتوفى ٣٢١/٩٣٣).

٣- شرح التبريزي (المتوفي ٥٠٢ / ١١٠٨).

٤- شرح عيسى بن عبدالعزيز الغزولى (المتوفى ٦٠٧ / ١٢١٠).

٥- شرح عبدالله بن يوسف بن هشام (المتوفى ٧٦١ /١٣٦٠).

— ونشرهذا الشرح جويدي في ليبزج ١٨٧١/٤.

— ونشر بالقاهرة مع حاشية على القصيدة للشيخ إبراهيم الباجوري (المتوفى ١٢٧٧/١٨٦١).

٦- شرح أبي بكر بن حجة (المتوفى ٨٣٧/١٤٣٣).

٧- مصدق الفضل شرح لشهاب الدين أحمد بن شمس الدين عمر الهندي الدولت آبادي الزاولي الغزنوي (المتوفى ٨٤٨ / ١٤٤٤).

٨- شرح جلال الدين المحلي (المتوفى ٨٦٤/١٤٥٩).

٩- كنه المراد من شرح بانت سعاد للسيوطي (المتوفى ٩١١/١٥٠٥).

١٠- شرح شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي (المتوفى ٩٧٣/١٥٦٥).

١١- شرح على بن محمد القارى الهروي (المتوفى ١٠١٤/١٦٠٦).

١٢- شرح عبدالعزيز بن الزمزى (المتوفى ٩٦٣/١٥٥٦).

١٣- شرح صالح بن صديق الخزرجى (حوالى ٩٤٩/١٥٤٢).

١٤- شرح عطاء الله بن أحمد بن عطاء الله الأزهرى، (أتمه ١١٧٠/١٧٥٦).

١٥- شرح عبدالباقي بن أحمد الورنوى (المتوفى ١١٨٧/١٧٧٣).

١٦- شرح محمد بن حميد الكفوى (في القرن الثاني عشر الهجري).

١٧- شرح أحمد بن محمد الأنصاري الشرواني (أتمه في ٧من رمضان ١٢٣١/١٤ من أغسطس ١٨١٧).

١٨- شرح العلامة الناصري (في القرن الثاني عشر الهجري): القاهرة ٣:١٥٩ .

تخميس بانت سعاد

١- تخميس لمحمود النجار (حوالى ١٠٨٨ /١٦٧٧).

٢- تخميس لصدقة الله القاهري (المتوفي ١١١٥ /١٧٠٣).

٣- تخميس لشعبان بن محمد القرشي (المتوفي ٨٢٨/١٤٥٢).

٤- تخميس لشمس الدين البدماصي .

٥- تخميس لشهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي (المتوفى ٥٨٧/١١٩١).

٦- تخميس لفخر الدين عثمان بن على المارديني (كان معاصراً للسهروردي) .

- تخميس لخليل الأشرفي نائب الإسكندرية .

- تنقيس الشدة وبلوغ المراد ، للواسطي .

- تخميس لأحمد بن محمد الشرقاوي الجرجاوي (المتوفى ١٢٢٠/١٨٠٥).

- تخميس لإبراهيم بن محمد الباجوري ، ألفه ١٢٣٤ /١٨١٨ .

- نيل المراد ، يشتمل على ثلاثة تخميسات لشعبان بن أحمد الآثاري(المتوفى ٨٢٨/٩٣٢) .

تشطير بانت سعاد

- تشطير بانت سعاد لعلى آغا الجليلى (حوالى ١١٨٠/١٧٦٦)

- عبدالرزاق الجندي (المتوفى ١١٨٩/١٧٧٥).

نيل المراد في تشطير الهمزية والبردة وبانت سعاد ، لعبدالقادر سعيد ابن سعيد بن عبدالقادر الرافعي الفاروقي الحنفي الطرابلسي (في القرن الرابع عشر الهجري).(١)

٥- إن ولي الله جدد في موضوعات الأدب العربي في شبه القارة الهندية . ونقل ألوان البديع الهندية في شعره العربي . وهو اشتهر لأنه نظم في القوالب الشعرية معان صافية سهلة ليتغنى بها الناس ويلحنها الملحنون كما لحنوا الموشحات . فمهارة الشاعر الهندي هذه خير شاهد على رفع مستوى أدب شبه القارة الهندية التي انتجت رجالا كانوا يملكون قدرة كاملة في جميع أصناف الشعر .

ولكنه اشتغل بحشو القوالب بكلمات توافق الوزن بصرف النظر إلى معانيه لأنه اهتم بالقالب والشكل ولم يهتم كثيرا بالمعنى والمضمون .

ولكن البوصيري اهتم بالشكل والمعنى معاً.

٦- إن البردة تشتمل على مائة وستين بيتاً ، منها: اثنا عشر في الغزل وشكوى الغرام(المطلع)و ستة عشر في التحذيرمن هوى النفس وثلاثون في مدائح الرسول عليه السلام وثلاثة عشر في مولده عليه افضل الصلاة والسلام ، وستة عشر في معجزاته صلى الله عليه وسلم وسبعة عشر في شرف القرآن الكريم ومدحه وثلاثة عشر في إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وسلم ، واثنان وعشرون في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم واثنتا عشر في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآخر تسعة في المناجات وعرض الحاجات وزاد بعض الصالحين في القصيدة المديحة المباركة سبعة أبيات.

وأطيب النغم تشتمل على مائة وسبع بيتا منها : سبع في النسيب وخمسة في شفاعة الكبرى وأربعة في دلائل النبوة وإحدى عشر في أخلاق النبي وتسعة عشر في أحوال العرب

١- راجع للتفصيل : تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ، مترجم : عبدالحليم النجار ، ص١٥٦-١٦٢.

- وسيرة ابن هشام ، ص ٨٨٩ و ما بعدها .

- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة : ٦٧ و ما بعدها .

قبل بعثته وثلاثة وعشرون في معجزات النبي وخمسة في بيان التدبير في شريعته وثمانية في أصحاب النبي وآله وعشرة في ذكر الصالحين وستة في عشق النبي وتسعة في ابتهال النبي صلى الله عليه وسلم .

٧ـ دخل ولي الله في صلب الموضوع ـ مدح الرسول عليه السلام ـ في البيت السادس حيث قال :

فلست أرىٰ إلا الحبيب محمدا　　رسول إله الخلق جم المناقب

ومعتصم المكروب في كل غمرة　　ومنتجع الغفران من كل تائب

والبوصيري دخل في صلب الموضوع – مدح الرسول عليه السلام – في البيت التاسع والعشرين حيث قال :

ظلمت سنة من أحياء الظلام إلى　　ان اشتكت قدماه الضر من ورم

٨ـ إن ولي الله ما يتحدث في قصيدته عن هوى النفس والبوصيري يتحدث عنها وأبياته في هذا المعني جيدة وفيها شطرات تجرى مجرى الأمثال كقوله :

والشيب أبعد في نصح ممن التهم (١)

إن الطعام يقوى شهوة النهم (٢)

إن الهوى ما تولى يُصمِ أو يَصمِ (٣)

فربَّ مخمصة شر من التخم (٤)

وله نظرات في سياسة النفس على جانب من الدقة ، كالتحذير من دسائس الشبع والجوع وتشبيه النفس بالطفل وإن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم.

٩ـ إن القصيدة أطيب النغم لا تشتمل على الموضوعات التالية التي تشتمل عليها البردة.

١ـ　انظر : البيت رقم : ١٢ .　　٢ـ　انظر : البيت رقم : ١٧ .

٣ـ　انظر : البيت رقم : ١٩ .　　٤ـ　انظر : البيت رقم : ٢٢ .

١- التحذير من هوى النفس .

٢- ذكر الميلاد .

٣- شرف القرآن .

٤- جهاد النبي صلى الله عليه وسلم .

١٠- يتحدث الشاه ولي الله عن أحوال العرب قبل بعثته صلى الله عليه وسلم حيث قال:

أتان مقيم الدين من بعد فترة ... وتحريف أديان وطول مشاغب

فياويل قوم يشركون بربهم ... وفيهم صنوف من وخيم المثالب

ودينهم ما يفترون برأيهم ... كتحريم حام واختراع السوائب (١)

ولكن ما يتحدث البوصيري في قصيدته عن أحوال العرب قبل بعثته .

١١- موسيقي الشعر في القصيدة البردة متعمدة على البحر البسيط وهو ثمان تفعيلات:

مُسْتَفْعِلن فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ ... مُسْتَفْعِلن فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

ولكن موسيقي الشعر في القصيدة أطيب النغم متعمدة على البحر الطويل وهو ثمان تفعيلات :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ... فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

١١- إن البردة شرحت باللغات المختلفة في مختلف أرجاء العالم حتى أصبح البوصيري بها علما فذا ، وصوفياً عملاقاً ، ومتخصصاً في مدح الرسول حتى أنه أتى في هذا المجال بما لم تستطعه الأوائل . والقصيدة أطيب النغم ما شرحت باللغات المختلفة وما اشتهرت اشتهار البردة .

وهكذا وجدنا الشاعرين من خلال المقارنة بينهما بأنهما يشاركان في بعض الأشياء و يختلفان في بعض الأشياء . ولكن في اختيار الألفاظ وفي اتساع المعنى البردة أفضل

١- انظر : البيت رقم : ٢٨-٣٠.

وأفصح من أطيب النغم . وهي هبة نفسية قدمها البوصيري للنبي صلى الله عليه وسلم ولها غلاف فاخر و جوهر قيم ، مربوطة بخيوط ذهبية ، حيث نظم له عليه السلام العقد الفريد الذي تتكون من مائة وستين لؤلؤة ، وهي كسبحة يسبح بها للنبي عليه السلام غداة وعشيا .

وجملة القول إن أطيب النغم لا تصل إلى مكانة البردة . رحم الله أصحابهما وأسكنهما جوار رحمته .

خاتمة البحث

إن من أهم النتائج قد توصلت إليها من خلال هذا البحث المتواضع ما يلي :

١- إن البردة تركت تأثيرا بالغا في نفوس الأجيال القادمة من شعراء اللغة العربية في كل مكان ، فقد ضمنوها ، وشطروها ، وخمسوها ، وسبعوها، وعشروها وعارضوها.

ويمكن القول بأن جميع المدائح النبوية التي قيلت بعد البوصيري كان أصحابها مسوقين بالروح البوصيرية . ولكن ما اشتهرت مثل اشتهار البردة ، حفظتها الجماهير الشعبية في مختلف الأقطار الإسلامية و رتلتها في مناسباتها الدينية ، ونشرتها المطابع في الشرق والغرب . والبوصيري بهذه البردة : هو الأستاذ الأعظم لجماهير المسلمين ، ولقصيدته أثر في تعليمهم الأدب والتاريخ والأخلاق ، فعن البردة تلقى الناس طوائف من الألفاظ والتعابير غنيت بها لغة التخاطب ، وعن البردة عرفوا أبوابا من السيرة النبوية.

٢- والحقيقة أن أسلوب الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي هو ليس أهل اللغة العربية وعاش بيئة غير عربية لا ينقصه جمال فني وروعة أدبية . منحه الله قدرة على نظم الشعر بلغتين الفارسية والعربية .

٣- وهكذا ثبتت له براعة أدبية قلما تثبت للشعراء ومن خير الأدلة على ذلك قصيدته أطيب النغم التي درسناها في هذا البحث المقارن.

٤- استخرجه بعض الألوان من البلاغة الهندية و أسمائها و أسماء عربية ثـم استعملها في قصيدته - التي درست في هذا البحث - والبحث عما يماثلها فـي البـلاغة الـعـربية وأرى أنـه بهـذا العمل فاق نظرائه حيث جمع بين هذه المهارات الأربعة في قصيدته واحدة.

٥- إن دراسة شعر الشاعرين البوصيري و الشاه ولي اللّٰه ، تمكن الدارس مـن الاطـلاع عـلـى كثيـر من المحسنات البيانية والبديعية ، وطرق استخدام الألـفـاظ والـكـلـمات والموسيقي الفاتنة من ناحية ، كما تمكن الباحث من الاطلاع على كثير من الشمائل السامية من صفح وعفو وصدق وتوبة وابتعاد عن الهوى والإثم من ناحية أخرى.

ويمكن للمتلقين التعرف على ما جاء في القصيدتين من حكم و أمثال و مـأثورات تنتشر في ألفاظ المديحين وكلماتها ، ينقلها الناس بأفواهم جيلا بـعـد جيـل ، تبـقـي مـع الـزمان . وهي أغذية روحية يغتذى الناس منها مدى الـحياة ، و يضع الناس تلك الأمثال نصب عيونهم كإرشاد أو عبرة أو موعظة تحذرهم عن الضلال والفساد أو معلم يهديهم إلى مسلك مستقيم وسبيل فيه خير ونعمة .

هـذ البـحـث الـموجـز عـن الموضوع العميق الذي له جوانب كثيرة أخرى لم أتمكن من تناولها ، وتحتاج الدراسة العميقة الموسعة وإنني وإن لم أحـط بـكـل الجوانب اجتهدت بقدر ما استطعت وأخيرا أرجو من اللّٰه تعالى أن يـجـعـل هـذا فـي ميـزان حسـناتي يوم الميزان وأشكر السادة أعضاء لجنة المناقشة على اتعابهم أنفسهم في مطالعة هذا البحث و مناقشة صاحبته.

ترتيب أبيات القصيدة البردة ألف بائيا

ترتيب أبيات القصيدة البردة ألف بائيا

٥٩ أبانَ مَولِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ ... يا طِيبَ مُبْتَدَإٍ منه ومُخْتَتَمِ

١٣٧ أحَلَّ أُمَّتَهُ في حِرزِ ملَّتِه ... كاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأشبالِ في أُجَمِ

١٤١ إذْ قَلَّداني ما تُخْشَى عَواقِبُهُ ... كأنَّني بِهِما هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ

٢٦ أسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بلاَ عَمَلٍ ... لقد نَسَبْتُ به نَسْلاً لذي عُقُمِ

١٤٢ أطعتُ غيَّ الصِّبَا في الحالَتين وَما ... حَصَلْتُ إلاَّ عَلَى الآثامِ والنَّدَمِ

٤٨ أعْيا الوَرَى فَهْمُ معْناهُ فليس يُرَى ... في القُرْبِ والبُعْدِ فيه غيرُ مُنْفَحِمِ

٧٥ أقْسَمْتُ بالقَمَرِ المُنْشَقِّ إنَّ لَهُ ... مِنْ قَلْبِه نِسْبَةً مَبْرُورَةَ القَسَمِ

٥٤ أكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زانَهُ خُلُقٌ ... بالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بالبِشْرِ مُتَّسِمِ

٢ أمْ هَبَّتْ الريحُ مِنْ تِلْقاءِ كاظِمَةٍ ... وأوْمَضَ البَرْقُ في الظلْماءِ مِنْ إضَمِ

٢٧ أمَرْتُكَ الخَيْرَ لكنْ ما ائْتَمَرْتُ به ... وما اسْتَقَمْتُ فما قَوْلي لَكَ اسْتَقِمِ

١ أمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بِذي سَلَمِ ... مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

١٤٥ إنْ آتِ ذَنْباً فما عَهْدي بِمُنْتَقِضٍ ... مِنَ النبيِّ ولا حَبْلي بِمُنْصَرِمِ

١٠٠ إنْ تَتْلُها خِيفَةً مِنْ حَرِّ نارِ لَظىً ... أطْفَأْتَ نارَ لَظىً مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ

١٤٧ إنْ لَمْ يكُنْ في مَعادي آخذاً بيَدي   فَضْلاً ، وإلاَّ فَقُلْ : يا زَلَّةَ القَدَ

١٢ إنِّي اتهَمْتُ نَصيحَ الشَّيْبِ في عَذَلٍ   والشَّيْبُ أبْعَدُ في نُصحٍ عَنْ التُّهَ

٩١ آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثَةٌ   قَديمَةٌ صِفَةُ المَوصوف بالقِدَ

٤ أيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكتِمٌ   ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومُضْطَرِمِ

١١٦ بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإسلامِ إنَّ لنا   مِنَ العِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ

٨٧ بعارِضٍ جادَ أوْ خِلْتَ البِطاحَ بها   سَيْباً مِنَ اليَمِّ أوْ سَيْلٌ مِنَ العَرِمِ

٨٤ تَبَارَكَ اللهُ ما وحْيٌ بمُكْتَسَبٍ   وَلا نَبيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ

١٢١ تَمْضِي اللَّيالي ولا يَدْرُونَ عِدَّتَها   ما لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيالي الأشْهُرِ الحُرُمِ

١٣٢ تُهْدي إليكَ رياحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ   فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ في الأكمامِ كلَّ كَمِي

٧٢ جاءتْ لدَعْوَتِه الأشْجارُ ساجِدَةً   تَمْشي إليهِ عَلَى ساقٍ بلا قَدَمِ

١٤٨ حاشاهُ أنْ يَحْرِمَ الرَّاجي مَكارِمَهُ   أوْ يَرْجِعَ الجارُ منهُ غَيرَ مُحْتَرَمِ

١١١ حتى إذا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لمُسْتَبِقٍ   مِنَ الدُّنُوِّ ولا مَرْقَىً لِمُسْتَنِمِ

٦٩ حَتَى غَدا عَنْ طَريقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ   من الشَياطينِ يَقْفُو إثْرَ مُنْهَزِمِ

١٢٥ حتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإسلامِ وهيَ بِهِمْ   مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِها مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

١٤٠ خَدَمْتُهُ بِمَديحٍ أسْتَقيلُ به   ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى في الشِّعْرِ والخِدَمِ

١١٢ خَفَضْتَ كلَّ مَقامٍ بالإضافَةِ إذْ   نُوديتَ بالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ

٩٣ دامَتْ لَدَيْنا فَفاقَتْ كلَّ مُعْجِزَةٍ   مِنَ النَّبِيِّينَ إذْ جاءَتْ ولَمْ تَدُمِ

٤٣ دَعْ ما ادَّعَتْهُ النَّصارَى في نَبيِّهِمِ ... وَاحْكُمْ بما شِئْتَ مَدْحاً فيه واحْتَكِمِ
٣٧ دَعا إلى الله فالمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ ... مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غيرِ مُنْفَصِمِ
٨٨ دَعْني وَوَصْفي آياتٍ لهُ ظَهَرَتْ ... ظُهورَ نارِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ
١١٨ راعتْ قلوبَ العدا أنباءُ بِعْثَتِهِ ... كَنَبْأَةٍ أجْفَلَتْ غَفْلاً مِنَ الغَنَمِ
٩٦ رَدَّتْ بَلاغَتُها دَعْوَى مُعارِضِها ... رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنِ الحُرَمِ
١٠٧ سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إلَى حَرَمٍ ... كَما سَرَى البَدْرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ
١٣١ شاكي السِّلاحِ لهمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ ... والوَرْدُ يَمْتازُ بالسيما عَنِ السَّلَمِ
٢٩ ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أحْيا الظَّلامَ إلَى ... أن اشتكت قدماه لضر من ورم
٧٨ ظَنُّوا الحَمامَ وظَنُّوا العَنْكَبُوتَ على ... خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ ولمْ تَحُمِ
١٠ عَدَتْكَ حالي لا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ ... عَنِ الوُشاةِ ولا دائي بِمُنْحَسِمِ
٦٦ عَمُوا وَصَمُّوا فإعْلانُ البَشائِرِ لَمْ ... تُسْمَعْ وَبارِقَةُ الإنْذارِ لَمْ تُشَمِ
١٣ فإنَّ أمَّارَتي بالسُّوءِ ما اتَّعَظَتْ ... مِنْ جَهْلِها بنذيرِ الشَّيْبِ وَالهَرَمِ
٤٥ فإنَّ فَضْلَ رسولِ الله ليسَ لهُ ... حَدٌّ فَيُعْرِبَ عنه ناطقٌ بفَمِ
١٤٦ فإنَّ لي ذِمَّةً منه بِتَسْمِيَتي ... مُحَمَّداً" ، وَهْوَ أوْفَى الخَلْقِ بالذِّمَمِ
١٥٤ فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ
٥٣ فإنَّه شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَواكِبُها ... يُظْهِرْنَ أنْوارَها للناسِ في الظُّلَمِ
١٩ فاصْرِفْ هَواها وَحاذِرْ أنْ تُوَلِّيَهُ ... إنَّ الهَوَى ما تَوَلَّى يُصْمِ أوْ يَصِمِ

٣٨ فاقَ النَّبِيِّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ... وَلَمْ يُدانُوهُ في عِلْمٍ ولا كَرَمِ
٨٩ فالدُّرُّ يَزدادُ حُسْناً وَهْوَ مُنْتَظِمٌ ... وَليس يَنْقُصُ قَدْراً غيرَ مُنْتَظِمِ
٧٧ فالصِّدْقُ في الغارِ والصِّدِّيقُ لَمْ يَرِما ... وَهُمْ يقولونَ ما بالغارِ منْ أَرِمِ
١١٤ فَحُزْتَ كلَّ فَخارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ ... وَجُزْتَ كلَّ مَقامٍ غيرَ مُزْدَحَمِ
٦ فكيفَ تُنْكِرُ حُبّاً بعدَ ما شَهِدَتْ ... به عليكَ عدولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ
١٧ فلا تَرُمْ بالمعاصي كَسْرَ شَهْوَتِها ... إنَّ الطعامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ
٩٠ فما تَطَاوَلَ آمالُ المَديحِ إلى ... ما فيهِ منْ كَرَمِ الأخلاقِ والشِّيَمِ
٩٨ فما تُعَدُّ ولا تُحْصى عَجائِبُها ... ولا تُسامُ عَلَى الإكثارِ بالسَّأَمِ
٣ فما لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفا هَمَتا ... وَما لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ
٥١ فمَبْلَغُ العِلْمِ فيهِ أنهُ بَشَرٌ ... وأنهُ خَيرُ خَلْقِ الله كلِّهِمِ
٤١ فهْوَ الذي تَمَّ معناهُ وصُورَتُه ... ثمَّ اصْطَفاهُ حَبيباً بارِئُ النَّسَمِ
١٤٣ فيا خَسَارَةَ نَفْسٍ في تِجارَتِها ... لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بالدُّنيا ولَمْ تَسُمِ
١٠٤ قد تُنْكِرُ العينُ ضَوْءَ الشَّمْسِ من رَمَدٍ ... ويُنْكِرُ الفَمُّ طَعْمَ الماءِ من سَقَمِ
٩٩ قَرَّتْ بها عَيْنُ قاريها فَقُلْتُ لهُ ... لقد ظَفِرتَ بِحَبْلِ الله فاعْتَصِمِ
٦٤ كأنَّ بالنارِ ما بالماءِ منْ بَلَلٍ ... حُزْناً وَبالماءِ ما بالنَّارِ منْ ضَرَمِ
١٢٢ كأنَّما الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ ... بكلِّ قَرْمٍ إلَى لحمِ العِدا قَرِمِ
٥٧ كأنَّما اللُّؤلُؤُ المَكْنونُ في صَدَفٍ ... مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ منهُ ومُبْتَسَمِ

٧٣كـأنَّمـا سَطَرَتْ سَطْراً لِمَا كَـتَـبَتْ — فُـرُوعُـهـا مِنْ بَديعِ الخَطِّ في اللَّقَمِ

٥٦كـأنَّهُ وَهْوَ فَـرْدٌ مِنْ جـلالَتِـه — في عَـسْكَرٍ حينَ تَلْقَـاهُ وفي حَـشَمِ

١٠١كَأنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجوهُ به — مِنَ العُـصاة وقـد جـاءُوهُ كَـالحُـمَمِ

١٣٣كـأنَّهمْ في ظُهُـورِ الخَـيْلِ نَبْتُ رُباً — مِنْ شَـدَّةِ الحَـزْمِ لاَ مِنْ شِـدَّةِ الحُـزُمِ

٧٠كـأنَّـهُـمْ هَرَبـاً أَبطالُ أَبْرَهَة — أوْ عَـسْكَرٌ بالحَصَى مِنْ رَاحَتَـيْـه رُمِي

٥٥كـالزَّهْرِ في تَرَفٍ والبَـدْرِ في شَـرَفٍ — والبَـحْـرِ في كَـرَمٍ والدَّهْرِ في هَمَمِ

٤٩كـالشَّمْسِ تَظْهَـرُ لِلْعَـيْنينِ مِنْ بُعُـدٍ — صَـغـيـرةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أُمَمِ

١٣٩كفـاكَ بالعِلْمِ في الأُمِيِّ مُعْجِزَةً — في الجـاهليَّـةِ وَالتَّـأديبِ في اليُـتُمِ

٨٥كَمْ أَبْرَأَتَ وَصِبـاً باللَّمْسِ راحَـتُـهُ — وأطْلَقَتْ أَرِباً مِنْ رِبْقَـةِ اللَّمَمِ

١٣٨كَمْ جَدَّلَتْ كلماتُ الله مِنْ جَدَلٍ — فـيـه وكم خَصَمَ البُـرْهانُ مِنْ خَصِمِ

٢١كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَـرْءِ قـاتِلَةً — مِنْ حَـيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ في الدَّسَمِ

١١٣كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ — عَنِ العُـيُـونِ وَسِـرٍّ أَيِّ مُكْتَـتَمِ

١٠٣ لا تَعْـجَبَنْ لِحَسُودٍ راحَ يُنْكِرُها — تَجـاهُلاً وهْوَ عَـيْنُ الحـاذِقِ الفَـهِمِ

٨٢لا تُنْكِرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إنَّ لَهُ — قَلْبـاً إذا نامت العَـيْنان لَمْ يَنَمِ

٥٨ لاطِيبَ يَعْـدِلُ تُرْباً ضَمَّ أعظُمَـهُ — طُوبَى لِمُنْتَشِـقٍ منهُ وَمُلْتَـثِمِ

١٥٦لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حينَ يَقْسِمُـهُ — تأتي عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ في القِسَمِ

٩٢لَمْ تَقْتَرِنْ بِزمـانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنا — عَنِ المعـادِ وعَنْ عـادٍ وعَنْ إرَمِ

٤٧ لَمْ يَمْتَحِنَّا بما تعْيا العُقولُ به   حِرْصاً علينا فلمْ ولَمْ نَهَمِ

١١٧ لَمَّا دَعَا اللهَ داعِينا لِطَاعَتِهِ   بأكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أكْرَمَ الأُمَمِ

٩٧ لها مَعانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ في مَدَدٍ   وفَوْقَ جَوْهَرِهِ في الحُسْنِ والقِيَمِ

١٥ لو كنت أعلم أني ما أوقِّره   كتمت سراً بدا لي منه بالكتمِ

٤٦ لو ناسَبَتْ قَدْرَهُ آياتُهُ عِظَماً   أحْيا اسمُهُ حينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

٥ لولاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ   ولا أرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ

٩٥ ما حُورِبَتْ قَطُّ إلاَّ عادَ مِنْ حَرَبٍ   أعدى الأعادي إليها مُلْقِيَ السَّلَمِ

١٦٠ ما رَنَّحَتْ عَذَبات البان ريحُ صَباً   وأطْرَبَ العِيسَ حادي العِيسِ بِالنَّغَمِ

١١٩ ما زالَ يَلْقاهُمَ في كلِّ مُعْتَرَكٍ   حتى حَكَوْا بالقَنا لَحْماً على وَضَمِ

٨٠ ما سامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ به   إلاَّ اسْتَلَمتُ النَّدَى منْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

٧٤ مِثْلَ الغَمَامَةِ أنَّى سَارَ سائِرَةٌ   تَقِيهِ حَرَّ وطيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي

١١ مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لكنْ لَسْتُ أسْمَعُهُ   إنَّ المُحِبَّ عَنْ العُذَّالِ في صَمَمِ

٩٤ مُحكَّماتٌ فما تُبْقِينَ منْ شُبَهٍ   لذي شِقاقٍ وما تَبْغِينَ منْ حكَمِ

٣٤ محمدٌ سيدُ الكونينِ والثَّقَلين   والفَريقين من عُربٍ ومن عَجَمِ

١٢٩ المُصْدري البِيضَ حُمْراً بعدَ ما وَرَدَتْ   منَ العِدا كُلَّ مُسْوَدٍّ منَ اللِّمَمِ

١٢٦ مَكْفُولَةً أبَداً منهمْ بِخَيْرِ أبٍ   وخيرِ بَعلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ ولَمْ تَئِمِ

٦٧ مِنْ بَعْدِ ما أخْبَرَ الأقْوامَ كاهِنُهُمْ   بأنَّ دينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

١٢٤ مِنْ كلِّ مُنْتَدِبٍ لله مُحْتَسِبٍ   يَسْطو بِمُسْتَأصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

١٦ مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا   كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الخَيْلِ بِاللُّجُمِ

٤٢ مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ   فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيهِ غَيرُ مُنْقَسِمِ

٧١ نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا   نَبْذَ المُسَبِّحِ مِنْ أحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

٣٥ نبيُّنا الآمِرُ النَّاهي فلا أحدٌ   أبرَّ في قولِ "لا" منه ولا "نعمِ"

٨ نَعَمْ سَرَى طَيفُ مَنْ أهوَى فَأرَّقَنِي   والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذاتِ بالألَمِ

١٢٧ همُ الجِبالُ فَسَلْ عنهمْ مُصادِمَهُمْ   ماذا رأى مِنْهُمُ في كلِّ مُصطَدَمِ

٣٦ هُوَ الحَبيبُ الذي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ   لكل من الأهوال مقتحَمِ

٧ وأَثْبَتَ الوجدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنًى   مِثْلَ البَهارِ عَلَى خَدَّيْكَ والعَنَمِ

٨٦ وأحْيَتِ السَنَةُ الشَهْبَاءُ دَعْوتُهُ   حتى حَضَتْ غُرَّةً في الأعْصُرِ الدُّهُمِ

٣٢ وأكَّدتْ زُهدَهُ فيها ضرورتُهُ   إنَّ الضَّرورةَ لا تعدو على العِصَمِ

١١٠ وأنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بِهِمْ   في مَوْكِبٍ كُنْتَ فيه صاحِبَ العَلَمِ

١٥٩ وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ منكَ دائمةً   عَلَى النَّبيِّ بِمُنْهَلٍّ ومُنْسَجِمِ

٢٢ وَاخْشَ الدَّسائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ   فربَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ

٢٣ واستَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قد امْتَلأَتْ   مِنَ المَحارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

٦٥ والجِنُّ تَهْتِفُ وَالأنْوارُ ساطِعَةٌ   وَالحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى ومِنْ كَلِمِ

١٥٨ وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ في الدَّارَيْنِ إنَّ لَهُ   صَبْراً مَتى تَدْعُهُ الأهوالُ يَنْهَزِمِ

١٣٠ وَالكاتبينَ بِسُمْرِ الخَطِّ مَا تَرَكَتْ … أقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

٦٢ والنارُ خَامِدَةُ الآنفاسِ من أسفٍ … عليهِ والنَّهْرُ ساهي العَيْنِ منْ سَدَمِ

١٨ والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى … حُبِّ الرِّضَاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

٤٤ وانْسُبْ إلى ذاته ما شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ … وَانْسُبْ إلى قَدْرِه ما شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

٦١ وباتَ إيوانُ كِسْرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ … كَشَمْلِ أصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

١٠٨ وَبِتَّ تَرْقَى إلَى أنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً … مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

٦٨ وبَعْدَ ما عايَنُوا في الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ … مُنْقَضَّةٍ وفْقَ ما في الأرْضِ مِنْ صَنَمِ

١١٥ وَجَلَّ مِقْدَارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ … وعَزَّ إدْرَاكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ

٢٤ وخالفِ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهِما … وإنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ

١٢٠ وَدُّوا الفِرارَ فكادُوا يَغْبِطُونَ به … أشْلاءَ شالَتْ مَعَ العِقْبَانِ والرَّخَمِ

٨٣ وذاكَ حينَ بُلوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ … فليس يُنْكَرُ فيهِ حالُ مُحْتَلِمِ

٢٠ وَراعِها وهيَ في الأعمالِ سائمَةٌ … وإنْ هيَ اسْتَحْلَتِ المَرعَى فلا تُسِمِ

٣١ وَرَاوَدَتْهُ الجِبالُ الشُّمُّ من ذهبٍ … عن نفسِهِ فَأَراها أيَّما شَمَمِ

٦٣ وساءَ ساوَةَ أنْ غاضَتْ بُحَيْرَتُها … ورُدَّ وارِدُها بالغَيْظِ حينَ ظَمِي

١٢٨ وسَلْ حُنَيْناً وسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً … فُصُولُ حَتْفٍ لهُمْ أدْهَى مِنَ الوَخَمِ

٣٠ وشَدَّ من سَغَبٍ أحشاءَهُ وطَوى … تحتَ الحِجَارةِ كَشْحاً مترَفَ الأدَمِ

٧٩ وِقايةُ اللهِ أغنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ … مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عالٍ مِنَ الأطمِ

١٠٩ وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأنبياءِ بِها ... والرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

١٠٢ وكَالصِّراطِ وكَالمِيزانِ مَعْدَلَةً ... فَالقِسْطُ مِنْ غَيرِها في الناسِ لَمْ يَقُمِ

٥٢ وكلُّ آيٍ أتَى الرُّسْلُ الكرامُ بِها ... فَإنَّما اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِه بِهِمِ

٣٩ وكلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ ... غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

٣٣ وكيفَ تدعو إلى الدُّنيا ضَرورةُ مَن ... لولاه لم تخرجِ الدُّنيا من العَدَمِ

٥٠ وكيفَ يُدْرِكُ في الدُّنيا حَقِيقَتَهُ ... قَومٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عنهُ بالحُلُمِ

١٤ ولا أعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَى ... ضَيفٍ ألمَّ بِرَأسِي غيرَ مُحْتَشِمِ

٨١ ولا التمستُ غِنَى الدارين من يده ... إلا استلمت الندى من خير مستلمِ

٢٨ ولا تَزَوَّدْتُ قَبلَ المَوْتِ نافلةً ... ولَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ ولَمْ أصُمِ

٢٥ ولا تُطِعْ منهما خَصْماً ولا حَكَماً ... فأنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ

١٥١ ولَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنيا التي اقتَطَفَتْ ... يَدَا زُهَيْرٍ بِما أثْنَى عَلَى هَرَمِ

١٥٠ ولَن يَفُوتَ الغِنَى مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ ... إنَّ الحَيا يُنْبِتُ الأزهارَ في الأُكَمِ

١٣٦ ولَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ ... بِهِ ولا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ

١٥٣ ولَنْ يَضِيقَ رَسولَ اللهِ جاهُكَ بي ... إذا الكريمُ تَحَلَّى باسْمِ مُنْتَقِمِ

٧٦ ومَا حَوَى الغارُ مِنْ خَيرٍ ومِنْ كَرَمٍ ... وكلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ عنه عَمِي

١٣٥ ومَنْ تكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ ... إنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها تَجِمِ

١٠٦ ومَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ ... ومَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِمِ

١٤٤ وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً منهُ بِعاجلِه   يَبِن لهُ الغَبْنُ في بَيْعٍ وَفي سَلَمِ

١٤٩ وَمُنْذُ أَلزَمْتُ أفكاري مَدائحَهُ   وَجَدْتُهُ لِخَلاصِي خيرَ مُلْتَزِمِ

١٥٢ يا أَكْرَمَ الرُّسْلِ مالي مَنْ أَلوذُ به   سواك عند حلولْ الحادث العمم

٤٠ وواقفُونَ لَدَيْه عندَ حَدِّهِمِ   من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

١٠٥ يا خيرَ من يَمَّمَ العافُونَ ساحَتَهُ   سَعْياً وفَوْقَ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

١٥٧ يا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجائي غيرَ مُنْعكسِ   لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

٩ يا لائِمي في الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً   مِنِّي إليكَ ولو أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

١٥٥ يا نَفْسُ لا تَقْنُطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ   إنَّ الكَبائرَ في الغُفْرانِ كاللَّمَمِ

١٢٣ يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فوقَ سابحَةٍ   يَرْمي بِمَوجٍ مِنَ الأبطالِ مُلْتَطِمِ

٦٠ يَوْمٌ تَفَرَّسَ فيه الفُرْسُ أَنَّهمُ   قد أُنْذِروا بِحُلولِ البُؤْسِ والنِّقَمِ

ترتيب أبيات القصيدة أطيب النغم ألف بائيا

قصيدة أطيب النغم

٢٨- أَتَـانَـا مُـقِيمُ الـدِّيْـنِ مِـنْ بَـعْدِ فَتْــرَةٍ ... وَتَـحْـرِيْفِ أَدْيَانٍ وَطُـوْلِ مَشَـاغِـبِ

٢- إِذَا كَـانَ قَـلْـبُ الْـمَـرْءِ فِـيْ الأَمْرِ خَاثِراً ... فَـأَضْيَـقُ مِـنْ تِسْعِيْنَ رُحْبُ السَّبَاسِبِ

٤- إِذَا مَـــا أَتَتْـنِــيْ أَزْمَةٌ مُـــدْلَهِـمَّةٌ ... تُـحِيْـطُ بِـنَـفْسِـيْ مِـنْ جَـمِيْعِ جَوَانِبِ

٩- إِذَا مَـــا أَتَـوْا نُـوْحَـاً وَّمُـوْسَى وَآدَمَـاً ... وَقَـدْهَـا لَهُـمْ إِبْـصَـارُ تِـلْكَ الـصَّعَائِبِ

٧٥- إِذَا مَـــا أَثَــارُوْا فِتْــنَةً جَــاهِـلِيَّةً ... تَــقُـوْدُ بِبَـحْـرٍ زَاخِـرٍ مِّـنْ كَـتَـائِـبِ

٧٧- أَشِـدَّاءُ يَـوْمَ الْبَـأْسِ مِـنْ كُـلِّ بَـاسِـلٍ ... وَمِــنْ كُــلِّ قَــدْمٍ بِــالأَسِـنَّةِ لَاعِـبِ

٢٧- بَـدِيْعُ كَـمَـالٍ فِـيْ الْـمَعَانِيْ فَلاَ امْرَئً ... يَـكُــوْنُ لَـــهُ، مِثْلاً وَلاَ بِـمُـقَــارِبِ

٧٢- بَــرَاعَةُ أُسْـلُـوْبٍ وَّعِـجْـزُ مُـعَـارِضٍ ... بَــلاغَـةُ أَقْــوَالٍ وَّأَخْبَــارُ غَــائِــبِ

٥٢- بَـرَاهِيْـنُ حَـقٍّ أَوْ ضَـحَـتْ صِدْقَ قَوْلِهِ ... رَوَاهَــا وَ يَـرْوِيْ كُلُّ شَـبٌّ وَشَـائِـبِ

١٤- بَشَـــارَةُ عِيْسَــى وَالَّـذِيْ عَنْـهُ عَبَّـرُوْا ... بِشِدَّةِ بَـأْسٍ بِـالـضُّحُوْكِ الْمُحَارِبِ

٢٢- تَــرىٰ أَشْـجَـعَ الْـفُـرْسَـانِ لَاذَ بِظَهْـرِهِ ... إِذَا احْـمَـرَّ بَـأْسٌ فِـيْ بَئِيْـسِ الْمَوَاجِبِ

٣- تَشْـغُـلُـنِـيْ عَـنِّـيْ وَعَـنْ كُـلِّ رَاحَتِـيْ ... مَـصَـائِـبُ تَـقْـفُـوْا مِثْلُهَا مِنْ مَّصَائِبِ

٥- تَـطَـلَّبْـتُ هَـلْ مِـنْ نَـاصِرٍ أَوْ مُسَـاعِدٍ؟ ... أَلُــوْذُبِــهِ مِـنْ خَـوْفِ سُـوْءِ الْـعَوَاقِـبِ

٤٨- تَـوَاطِـىْ عُـقُـوْلٍ فِـيْ سَلَامَـةِ فِـــكْـرَةٍ ... عَـلٰى كُـلِّ مَـا يَـأْتِـىْ بِـهِ مِنْ مَطَالِبِ

٧٨- تَـوَارَثَ اِقْـدَامــاً وَنَـيْلاً وَجُـــرْأَةً ... نُــفُــوْسُهُــمْ مِـنْ أُمَّهَــاتٍ نَـجَـائِـبِ

٨١- ثَلَاثُ خِـصَــالٍ مِـنْ تَـعَـاجِيْـبِ رَبِّنَـا ... نَــجَــابَةُ أَعْـقَــابٍ لِـوَالِـدِ طَـالِـبِ

٧٩- جَـزَى اللّٰهُ أَصْـحَـابَ الـنَّبِـيِّ مُـحَـمَّـدٍ ... جَـمِيْـعاً كَـمَـا كَـانُوْا لَهُ خَيْرَ صَاحِبِ

١٧- جَـمِيْـلُ الْـمُـحَيَّـا أَبْيَـضُ الْوَجْـهِ رَبْعَةٌ ... جَـلِيْـلُ كَـرَادِ يُـسَ أَزَجُّ الْحَوَاجِبِ

٨٢- خِــلافَةُ عَبَّــاسٍ وَّدِيْــنُ نَبِيِّــنَـــا ... تَـزَايَـدَ فِـيْ الأَقْـطَـارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

٧٤- رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ اَحْمَدُ وَمُحَمَّدٌ ... مُقَفًّى وَمِفْضَالٌ يُسَمّٰى بِعَاقِبِ

٩٤- سَأَذْكُرُ حُبِّي لِلْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ... إِذَا وَصَفَ الْعُشَّاقُ حُبَّ الْحَبَائِبِ

١٣- سُلَالَةُ إِسْمَاعِيلَ وَالْعِرْقُ نَازِعٌ ... وَأَشْرَفُ بَيْتٍ مِنْ لُؤَىِ بْنِ غَالِبِ

٤٩- سَمَاحَةُ شَرْعٍ فِي رِزَانَةِ شِرْعَةٍ ... وَتَحْقِيقُ حَقٍّ فِي إِشَارَةِ حَاجِبِ

١٨- صَبِيحٌ مَلِيحٌ أَدْعَجُ الْعَيْنِ أَشْكَلٌ ... فَصِيحٌ لَّهُ الْإِعْجَامُ لَيْسَ بِشَائِبِ

٩٢- عَلَى اللّٰهِ رَبِّ النَّاسِ حُسْنُ جَزَاءِهِمْ ... بِمَا لَا يُوَافِي حَدَّهُ ذِهْنُ حَاسِبِ

٣٥- فَأَدْرَكَهُمْ فِي ذَاكَ رَحْمَةُ رَبِّنَا ... وَقَدْ أَوْجَبُوا مِنْهُ أَشَدَّ الْمَعَاتِبِ

٣٦- فَأَرْسَلَ مِنْ عُلْيَا قُرَيْشٍ نَبِيَّهُ ... وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْهُ بِكَاذِبِ

٦٣- فَأَسْبَلَ رَبُّ الْأَرْضِ بَعْدَ نَبِيِّهِ ... فُتُوحاً تَوَارَى مَا لَهَا مِنْ مَّنَاكِبِ

٤٥- فَأَشْهَدُ أَنَّ اللّٰهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ ... بِحَقٍّ وَّلَا شَيْءَ هُنَاكَ بِرَائِبِ

١٠١- فَأَشْهَدُ أَنَّ اللّٰهَ رَاحِمُ خَلْقِهِ ... وَأَنَّكَ مِفْتَاحٌ لِكَنْزِ الْمَوَاهِبِ

٥٩- فَأُلْقُوا بِبَدْرٍ فِي قَلِيبٍ مُخَبَّثٍ ... وَعَمَّ جَمِيعُ الْقَوْمِ شُوْمُ الْمُدَاعِبِ

٤٤- فَأَنْجَى بِهِ مَنْ شَاءَ مِنَّا نَجَاتَهُ ... وَمَنْ خَابَ فَلْتَنْدُبْهُ شَرَّ النَّوَادِبِ

١٠٦- فَإِنِّي مِنْكُمْ فِي قِلَاعٍ حَصِينَةٍ ... وَحَدِّ حَدِيدٍ مِنْ سُيُوفِ الْمُحَارِبِ

٦١- فَأَوْفَاهُ وَعْدَ النَّصْرِ وَالرُّعْبِ عَاجِلاً ... وَأَعْطَى لَهُ فَتْحَ التَّبُوكِ وَمَارِبِ

٦- فَلَسْتُ أَرَى إِلَّا الْحَبِيبَ مُحَمَّدًا ... رَسُولَ إِلٰهِ الْخَلْقِ جَمَّ الْمَنَاقِبِ

١٠٥- فَمَا أَنَا أَخْشَى أَزْمَةً مُدْلَهِمَّةً ... وَلَا أَنَا مِنْ رَّيْبِ الزَّمَانِ بِرَاهِبِ

١٠- فَمَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ عِنْدَ هٰذِهِ ... نَبِيٌّ وَّلَمْ يُظْفَرْهُمْ بِالْمَآرِبِ

٩٣- فَمَنْ شَاءَ فَلْيَذْكُرْ جَمَالَ بُثَيْنَةٍ ... وَمَنْ شَاءَ فَلْيَغْزَلْ بِحُبِّ الزَّيَانِبِ

١٢- فَيَرْجِعُ مَسْرُوراً بِنَيْلِ طِلَابِهِ ... أَصَابَ مِنَ الرَّحْمٰنِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ

٢٩- فَيَا وَيْلَ قَوْمٍ يُّشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ ... وَفِيهِمْ صُنُوفٌ مِنْ وَّخِيمِ الْمَثَالِبِ

٣٢- فَيَا وَيْلَ مَنْ أَطْرَى بِوَصْفِ نَبِيِّهِ ... فَسَمَّاهُ رَبَّ الْخَلْقِ إِطْرَآءَ خَائِبِ

١- كَأَنَّ نُجُوماً أَوْ مَضَتْ فِي الْغَيَاهِبِ   عُيُونَ الْأَفَاعِي أَوْ رُؤُوسَ الْعَقَارِبِ
٢٦- مَازَالَ طُولَ الْعُمْرِ لِلّٰهِ مُعْرِضاً   عَنِ الْبَسْطِ فِي الدُّنْيَا وَعَيْشِ الْمَرازِبِ
٨- مَلاذُ عِبَادِ اللّٰهِ مَلْجَآءُ خَوْفِهِمْ   إِذَا جَآءَ يَوْمٌ فِيهِ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
٥٣- مِنَ الْغَيْبِ كَمْ أَعْطَى الطَّعَامَ لِجَائِعٍ   وَكَمْ مَرَّةٍ اَسْقَى الشَّرَابَ لِشَارِبِ
٥١- نُصَدِّقُ دِينَ الْمُصْطَفٰى بِقُلُوبِنَا   عَلٰى بَيِّنَاتٍ فَهْمُهَا مِنْ غَرَائِبِ
٢٣- وَآذَاهُ قَوْمٌ مِنْ سَفَاهَةِ عَقْلِهِمْ   وَلَمْ يَذْهَبُوا مِنْ دِينِهِ بِمَذَاهِبِ
٨٠- وَآلَ رَسُولِ اللّٰهِ لَا زَالَ أَمْرُهُمْ   قَوِيماً عَلٰى إِرْغَامِ اَنْفِ النَّوَاصِبِ
٤١- وَأَبْطَلَ أَصْنَافَ الْخَنٰى وَأَبَادَهَا   وَأَصْنَافَ بَغْيٍ لِلْعُقُوبَةِ جَالِبِ
٢٠- وَأَجْوَدُ خَلْقِ اللّٰهِ صَدْرًا وَنَائِلاً   وَأَبْسَطُهُمْ كَفّاً عَلٰى كُلِّ طَالِبِ
١٩- وَأَحْسَنُ خَلْقِ اللّٰهِ خُلْقاً وَّخِلْقَةً   وَأَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ عِنْدَ النَّوَائِبِ
٣٩- وَأَخْبَرَ عَنْ بَدْءِ السَّمَآءِ لَهُمْ وَعَنْ   مَقَامٍ مُخَوِّفٍ بَيْنَ أَيْدِي الْمُحَاسِبِ
٦٢- وَاَخْبَرَ عَنْهُ اَنْ سَيَبْلُغَ مُلْكُهُ   اِلٰى مَا أَرٰى مِنْ مَّشْرِقٍ وَمَغَارِبِ
٦٠- وَاَخْبَرَ اَنْ اَعْطَاهُ مَوْلَاهُ نُصْرَةً   وَرُعْباً إِلٰى شَهْرٍ مَسِيرَةَ سَارِبِ
٩٥- وَأَذْكُرُ وَجْداً قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ   حَوَاهُ فُؤَادِي قَبْلَ كَوْنِ الْكَوَاكِبِ
٦٨- وَأَسْرٰى عَلٰى مَتْنِ الْبُرَاقِ إِلَى السَّمَآءِ   فَيَاخَيْرَ مَرْكُوبٍ وَيَاخَيْرَ رَاكِبِ
٦٦- وَأَعْجَبَ تِلْكَ الْبَدْرَ يَنْشَقُّ عِنْدَهُ   وَمَا هُوَ فِي إِعْجَازِهِ مِنْ عَجَائِبِ
٢١- وَأَعْظَمُ حُرٍّ لِلْمَعَالِي نُهُوضُهُ   إِلٰى الْمَجْدِ سَامٍ لِلْعَظَائِمِ خَاطِبِ
٤٧- وَأَقْوٰى دَلِيلٍ عِنْدَ مَنْ تَمَّ عَقْلُهُ   عَلٰى أَنَّ شَرْبَ الشَّرْعِ أَصْفَى الْمَشَارِبِ
٩٨- وَأَلْفٰى لِرُوحِي عِنْدَ ذٰلِكَ هَزَّةً   وَأُنْساً وَّرَوْحاً دُونَ وَثْبَةِ وَاثِبِ
٥٨- وَأَلْقٰى شَقِّي الْقَوْمِ فَرْثَ جُزُورِهِمْ   عَلٰى ظَهْرِهِ وَاللّٰهُ لَيْسَ بِعَازِبِ
١٠٣- وَأَنْتَ شَفِيعٌ يَّوْمَ لَا ذُوْ شَفَاعَةٍ   بِمُغْنِي كَمَا أَثْنٰى سَوَادُ بْنُ قَارِبِ
١٠٤- وَأَنْتَ مُجِيرِي مِنْ هُجُومِ   إِذَا أَنْشَبَتْ فِي الْقَلْبِ شَرَّ الْمَخَالِبِ

١٠٢- وَأَنَّكَ أَعْلَىٰ الْمُرْسَلِينَ مَكَانَةً ⁂ وَأَنْتَ لَهُمْ شَمْسٌ وَّهُمْ كَالثَّوَاقِبِ
٣٨- وَأَوْضَحَ مِنْهَاجَ الْهُدىٰ لِمَنِ اهْتَدىٰ ⁂ وَمَنَّ بِتَعْلِيمٍ عَلىٰ كُلِّ رَاغِبِ
٤٣- وَأَوْعَدَ مَنْ يَّابىٰ عِبَادَةَ رَبِّهِ ⁂ عَقُوبَةَ نِيرَانٍ وَعِيشَةِ قَاطِبِ
٤٢- وَبشَّرَ مَنْ أَعْطَى الرَّسُولَ قِيَادَهُ ⁂ بِجَنَّةِ تَنْعِيمٍ وَحُورٍ كَوَاعِبِ
٦٥- وَحَنَّ لَهُ الْجِذْعُ الْقَدِيمُ تَحَزُّناً ⁂ فَإِنَّ فِرَاقَ الْحِبِّ أَدْهَى الْمَصَائِبِ
٣٠- وَدِينُهُمُ مَا يَفْتَرُونَ بِرَأْيِهِمْ ⁂ كَتَحْرِيمِ حَامٍ وَّاخْتِرَاعِ السَّوَائِبِ
٥٥- وَدَرَّتْ لَهُ شَاةٌ لَدَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ ⁂ حَلِيباً وَلَا تَسْطَاعُ حَلْبَةُ حَالِبِ
١٦- وَدَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ بِنَاءِهِ ⁂ بِمَكَّةَ بَيْتاً فِيهِ نَيْلُ الرَّغَآئِبِ
٧١- وَرَاعَتْ بَلِيغُ الآيِ كُلَّ مُجَادِلٍ ⁂ خَصِيمٍ تَمَادىٰ فِي مُرَاءِ الْمُطَالِبِ
٧٣- وَسَمَّاهُ رَبُّ الْعَرْشِ أَسْمَاءَ مَدْحِهِ ⁂ تُبَيِّنُ مَا اَعْطٰى لَهُ مِنْ مَنَاقِبِ
٦٩- وَشَاهَدَ أَرْوَاحَ النَّبِيِّينَ جُمْلَةً ⁂ لَدىٰ الصَّخْرَةِ الْعُظْمٰى وَفَوْقَ الْكَوَاكِبِ
٧٠- وَشَاهَدَ فَوْقَ الْفَوْقِ أَنْوَارَ رَبِّهِ ⁂ كَمِثْلِ فَرَاشٍ وَّافِرٍ مُّتَرَاكِبِ
٦٧- وَشَقَّ لَهُ جِبْرَئِيلُ بَاطِنَ صَدْرِهِ ⁂ لِغُسْلِ سَوَادٍ بِالسُّوَيْدَاءِ لَازِبِ
٩٩- وَصَلَّىٰ عَلَيْكَ اللهُ يَاخَيْرَ خَلْقِهِ ⁂ وَيَاخَيْرَ مَأْمُولٍ وَّيَاخَيْرَ وَاهِبِ
٤٠- وَعَنْ حُكْمِ رَبِّ الْعَرْشِ فِيمَا يُعَنِّهِمْ ⁂ وَعَنْ حِكَمٍ تُرْوىٰ بِحُكْمِ التَّجَارِبِ
٥٦- وَقَدْ سَاخَ فِي أَرْضٍ حِصَانُ سُرَاقَةَ ⁂ وَفِيهِ حَدِيثٌ عَنْ بَرَاءِ بنِ عَازِبِ
٥٧- وَقَدْ فَاحَ طِيباً كَفُّ مَنْ مَّسَّ كَفَّهِ ⁂ وَمَا حَلَّ رَأْساً جَسَّ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
٤٦- وَقَدْ كَانَ نُورَ اللهِ فِينَا لِمُهْتَدٍ ⁂ وَصَمْصَامَ تَدْمِيرٍ عَلٰى كُلِّ نَاكِبِ
٦٤- وَكَلَّمَهُ الْأَحْجَارُ وَالْعُجْمُ وَالْحَصٰى ⁂ وَتَكْلِمُ هٰذَا النَّوْعِ لَيْسَ بِرَائِبِ
٥٤- وَكَمْ مِنْ مَّرِيضٍ قَدْ شَفَاهُ دُعَاءُهُ ⁂ وَإِنْ كَانَ قَدْ اَشْفٰى لِوَجْبَةِ وَاجِبِ
١٠٧- وَلَيْسَ مَلُوماً عَيُّ صَبٍّ أَصَابَهُ ⁂ غَلِيلُ الْهَوىٰ فِي الْأَكْرَمِينَ الْأَطَائِبِ
٢٤- وَمَا زَالَ يَدْعُوا رَبَّهُ لِهُدَاهُمْ ⁂ وَإِنْ كَانَ قَدْقَاسىٰ أَشَدَّ الْمَتَاعِبِ

٢٥- وَمَا زَالَ يَعْفُو قَادِراً عَنْ مُسِيئِهِم   كَمَا كَانَ مِنْهُ عِنْدَ جَبْذَةِ جَاذِبِ
٧- وَمُعْتَصَمَ الْمَكْرُوبِ فِيْ كُلِّ غَمْرَةٍ   وَمُنْتَجَعَ الْغُفْرَانِ مِنْ كُلِّ تَائِبِ
٥٠- وَمَكَارِمُ أَخْلاقٍ وَإِتْمَامُ نِعْمَةٍ   نُبُوَّةُ تَأْلِيفٍ وَّسُلْطَانُ غَالِبِ
١٥- وَمَنْ أَخْبَرُوْا عَنْهُ بِأَنْ لَيْسَ خُلْقُهُ   بِفَظٍّ وَّفِيْ الأَسْوَاقِ لَيْسَ بِصَاخِبِ
٣٧- وَمِنْ قَبْلِ هٰذَا لَمْ يُخَالِطْ مَدَارِسَ   الْيَهُوْدِ وَلَمْ يَقْرَأْ لَهُمْ خَطَّ كَاتِبِ
٨٦- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ بَيَّنُوا شَرْعَ رَبِّنَا   وَمَا كَانَ فِيْهِ مِنْ حَرَامٍ وَّوَاجِبِ
٨٨- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ فَسَّرُوْهُ بِعِلْمِهِمْ   وَهُمْ عَلَّمُوْنَا مَا بِهِ مِنْ غَرَائِبِ
٨٩- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ لِلْحَدِيْثِ تَوَلَّعُوْا   وَمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ صَحِيْحٍ وَّذَاهِبِ
٩٠- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ مُّخْلِصُوْنَ لِرَبِّهِمْ   بِأَنْفَاسِهِمْ خِصْبُ الْبِلادِ الأَجَارِبِ
٨٧- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَّدْرُسُوْنَ كِتَابَهُ   بِتَجْوِيْدِ تَرْتِيْلٍ وَحِفْظِ مَرَاتِبِ
٨٤- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَّدْفَعُوْنَ عَدُوَّهُمْ   بِسُمْرِ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ الْقَوَاضِبِ
٨٥- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَّغْلِبُوْنَ عَدُوَّهُمْ   بِأَقْوَىٰ دَلِيْلٍ مُّفْحِمٍ لِلْمُغَاضِبِ
٩١- وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يَّهْتَدِيْ بِعِظَاتِهِمْ   فِئَامٌ إِلَىٰ دِيْنٍ مِّنَ اللّٰهِ وَاصِبِ
١٠٠- وَيَا خَيْرَ مَنْ يُّرْجَىٰ لِكَشْفِ رَزِيَّةٍ   وَمَنْ جُوْدُهُ قَدْ فَاقَ جَوْدَ السَّحَائِبِ
٣١- وَيَا وَيْلَ قَوْمٍ حَرَّفُوْا دِيْنَ رَبِّهِمْ   وَافْتَوْا بِمَصْنُوْعٍ لِحِفْظِ الْمَنَاصِبِ
٣٣- وَيَا وَيْلَ قَوْمٍ قَدْ أَبَارَ نُفُوْسَهُمْ   تَكَلُّفُ تَزْوِيْقٍ وَّحُبُّ الْمَلَاعِبِ
٣٤- وَيَا وَيْلَ قَوْمٍ قَدْ أَخَفَّ عُقُوْلَهُمْ   تَجَبُّرُ كِسْرَىٰ وَاصْطِلامُ الضَّرَائِبِ
٩٦- وَيَبْدُوْا مُحَيَّاهُ لِعَيْنِيْ فِيْ الْكَرَىٰ   بِنَفْسِيْ أُفَدِّيْهِ إِذًا وَّالأَقَارِبِ
٩٧- وَيُدْرِكُنِيْ فِيْ ذِكْرِهِ قُشَعْرِيْرَةٌ   مِنَ الْوَجْدِ لا يَحْوِيْهِ عِلْمُ الأَجَانِبِ
١١- هُنَاكَ رَسُوْلُ اللّٰهِ يَنْحُوْ لِرَبِّهِ   شَفِيْعاً وَّفَتَّاحاً لِبَابِ الْمَوَاهِبِ
٨٣- يُؤَيِّدُ دِيْنَ اللّٰهِ فِيْ كُلِّ دَوْرَةٍ   عَصَائِبُ تَتْلُوْا مِثْلُهَا مِنْ عَصَائِبِ
٧٦- يَقُوْمُ لِدَفْعِ الْبَأْسِ أَسْرَعَ قَوْمَةٍ   بِجَيْشٍ مِّنَ الأَبْطَالِ غُرِّ السَّلَاهِبِ

الفهارس الفنية

☆ - فهرس الآيات

☆ - فهرس الأحاديث

☆ - فهرس الأشعار

☆ - فهرس الأعلام

☆ - فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأشعار(١)

١- أشعار وردت في المتن ما عدا أشعار الدراسة.

فهرس الأعلام

المصادر والمراجع

(العربية)

☆ آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا،الدكتور حسام الخطيب، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٢م.

☆ أبجد العلوم ، نواب صديق حسن خان القنوجي،دار ابن حزم ، بيروت لبنان، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ .

☆ الثقافة الإسلامية في الهند ، عبدالحي الحسيني ، دمشق .

☆ الأدب المقارن ، ماربوس فرانسو جويار ، ترجمة محمد غلاب ، ١٩٥٦م.

☆ الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسي والأمريكي عبدالحكيم حسان ،مجلة فصول المجلد الثالث ، العدد الثالث ، ابريل يونيو ١٩٨٣ .

☆ الأدب وفنونه ، الدكتور محمد مندور ، دار النهضة مصر ، القاهرة .

☆ الأدب وفنونه ونقد الأدب الشعري ، عز الدين إسماعيل ، دارالفكر العربي ، القاهرة، ١٩٨٨م .

☆ الأدب المقارن ،الدكتور محمد غنيمى هلال ، دارالعودة ، بيروت.

☆ الأدب المقارن دراسات تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي ،الدكتور محمد السعيد جمال الدين، دار ثابت للنشر والتوزيع، بيروت .

☆ أساس البلاغة ، الزمخشري، دار الصادر ، بيروت .

☆ أصول النقد الأدبي ،أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

☆ أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم ،الشاه ولي الله الدهلوي، ضياء القرآن ببلكيشنز، لاهور ، ١٩٧٥م .

☆ الإمام ولي الله حياته و دعوته ، مولانا محمد بشير ، دارالعلم ، اسلام آباد ، ١٩٩٣م.

☆ الإمداد في مآثرالآجداد ،الشاه ولي الله، المجتبائي ، دهلي .

☆ البلاغة تطور وتاريخ ،الدكتور شوقي ضيف، الطبعة السابعة ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٥م .

☆ البلاغة الواضحة ، على الجازم ومصطفى أمين، دارالمعارف ، مصر .

☆ تاريخ الأدب العربي ،عمر فروخ ، دارالعلم للملايين ، بيروت .

☆ تاريخ الأدب العربي ، احمد حسن الزيات ، دارالمعرفة .

☆ تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، دار الكتاب الاسلامى قم- ايران .

☆ تذكره علماء هند ،مولوي رحمان علي، باكستان هستاريكل سوسائتي ، كراتشي ، ١٩٦١م .

☆ جواهر الأدب ،أحمد هاشمى ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

☆ حولية الجامعة الإسلامية العالمية ، مجلة علمية العدد الأول ، ١٩٩٣م .

☆ حولية الجامعة الإسلامة العالمية ، مجلة علمية العدد الرابع ، ١٩٩٦م .

☆ حضارات الهند ، الدكتور غوستاف بولون ، تعريب ،عادل زعيتير- دار إحياء الكتاب العربية ، ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م .

☆ ديوان الأعشى ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .

☆ ديوان البوصيري ، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبع مصطفى البابي وأولاده ، مصر ، ١٣٩٣هـ.

☆ دلائل النبوة ، أبو نعيم الأصفهاني ، دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٢٠هـ .

☆ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ،أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، المكتبة الأثرية ، لاهور .

☆ ديوان الإمام الشافعي ، إعداد : محمد إبراهيم سليم ، دار فراس للنشر والتوزيع ، القاهرة.

☆ الروض الأنف في تفسير النبوية لابن هشام ، أبو القاسم عبدالرحمن السهيلي ، دار

الكتب العلمية ، بيروت .

☆ سبحة المرجان في آثار هندوستان ،غلام على آزاد البلگرامي ،بومبائي ، ١٣٠٣هـ .

☆ السيرة النبوية ،إبن هشام ، حققها مصطفى الشقا ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٩٥م .

☆ شذرات الذهب ،ابن العماد الحنبلي ، مكتبة القدسي ، مصر ، ١٣٥١هـ.

☆ شرح البردة و نهج البردة للإمام البوصيري حققه فتحي عثمان ، دار المعرفة، القاهرة.

☆ شرح البردة للإمام البوصيري حققه عبدالرحمن حسن محمود، مكتبة الأداب ، القاهرة.

☆ شرح قصيدة البردة ، شيخ الأزهر إبراهيم الباجوري ، مكتبة الآداب ، القاهرة .

☆ شرح قصيدة البردة للبوصيري ،الشيخ جمال بن نصير الجنابي، تحقيق د/ خالق داد ملك ، جامعة بنجاب ، لاهور .

☆ شرح المواهب اللدنية ، علامه محمد بن عبدالباقي الزرقاني، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ،١٣٢٥ه.

☆ الشعر في شبه القارة الهندية ،الدكتور عبدالكبير محسن ، مجمع البحوث الإسلامية إسلام آباد ، ١٩٨٩ م.

☆ الشعر والشعراء ،أبو محمد عبدالله مسلم بن قتيبة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ١٩٧٦م .

☆ صبح الأعشى ، أحمد بن علي القلقشندي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٧م .

☆ صحيح البخاري ،الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ،المكتبة الإسلامية ، استانبول،١٩٨١ .

☆ العصر الإسلامي ،الدكتور شوقي ضيف ،الطبعة الثامنة ، دارالمعارف، القاهرة .

☆ العصر العباسي الأول،الدكتور شوقي ضيف، الطبعة السابعة ، دارالمعارف، القاهرة .

☆ عصيدة الشهدة (شرح القصيدة البردة)، عمر أحمد الخربوتي،أصح المطابع كراتشي.

☆ العمدة في شرح البردة ، ابن حجر الهيتمي ، حققه بسام محمد بارود ، دار الفتح ، دار الفقيه . للنشر والتوزيع ، دبئى .

☆ فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية .

☆ فصول في الشر ونقده ،الدكتور شوقي الضيف ،دارالمعارف ، القاهرة .

☆ الفنون الأدبية في العصر العباسي ،الدكتور شعبان مرسي ، دارالثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٥م.

☆ فوات الوفيات، محمد شاكر الكتبي ، مطابع دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م.

☆ القراء ة الفنية لنهج البردة الإمام البوصيري (رسالة الماجستير) لكمال علي، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، ٢٠٠٣م.

☆ كشف الظنون ،حاجي خليفة ،مكتبة المثنى ، بيروت.

☆ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين الهيثمي ، دار الكتاب ، بيروت ، ١٩٦٧م.

☆ محمد ﷺ في الشعر الحديث ، د/حلمي القاعود ، دار الوفاء ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ.

☆ المدائح ، ذكي مبارك ، مطبعة الشعب ، القاهرة .

☆ مدارج النبوة ،عبد الحق المحدث الدهلوي ،مكتبة الرضوية ، لاهور.

☆ المدائح النبوية في شبه القارة الهندية ،محمد هزاروي،مجمع البحوث الإسلامية .

☆ المديح من فنون الأدب العربي ،سامي الدهان،دار المعارف ، القاهرة .

☆ المسند ، الإمام احمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت .

☆ مفاهيم نقدية ، رينيه ويليك ، ترجمة محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، ١٩٨٧م.

☆ نـزهة الـخـواطر وبهجة المسامع والنواظر ،عبد الحي بن فخر الدين الحسيني ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٥٧م.

☆ الوفاء باحوال المصطفى ، ابن جوزي، المكتبة النورية الرضوية ، فيصل آباد باكستان.

(المراجع الأردية)

☆ اردو دائره معارف إسلامية ، جامعة بنجاب ، لاهور ، ١٩٧٥م.

☆ تاريخ أدبيات مسلمانان پاك وهند ، جامعة بنجاب ، لاهور ، ١٩٧٢م.

☆ تاريخ دعوت وعزيمت ، أبو الحسن علي الندوي ، مجلس نشريات إسلام ،كراچی، ١٩٧٦م .

☆ تذكرة مجمع النفائس ، شيخ سراج الدين، حيدر آباد دكن ، ١٨٦٧م .

☆ حسن الجردة شرح قصيدة البردة ، مولانا عبدالمالك كهوروي ،بركاتي ببلشرز ، كراتشي.

☆ رود كوثر ، شيخ محمد إكرام ، إداره ثقافت إسلامية ، لاهور ، ١٩٧٩م .

☆ طيب الوردة شرح قصيدة بردة ، علامة أبو الحسنات محمد أحمد قادري، ضياء القرآن ببلكيشنز ، لاهور ، ١٩٩٨م .

☆ عربي أدبيات ميں پاك وهند كا حصه ،د/ زبيد أحمد، ترجمة شاهد حسين رزاقي ، ادارة ثقافت إسلامية كلب رود ، لاهور .

(المعاجم)

☆ تاج العروس ، محمد مرتضى الزبيدي ،دار مكتبة الحياة.

☆ لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، نشر أدب الحوزة ، إيران ، ١٤٠٥هـ.

☆ مجمل اللغة ، ابن فارس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

☆ مختار الصحاح، الشيخ محمد بن ابي بكر الرازي ، مكتبة لبنان .

☆ مصباح اللغات ، أبو الفضل مولانا عبدالحفيظ بلياري، مدينة ببلشنك كمبني،

كراتشي ، ١٩٨٢م .

☆ المنجد الأبجدي ، احمدى ، مؤسسة الفقهية للطبعة والنشر ، تهران ، ايران- ١٣٤٣هـ.

☆ المنجد ، لويس معلوف، نشر يرتو ، إنتشارات بيراسته .

☆ معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت.

☆ معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

☆ المعجم الوسيط ، ابراهيم انيس ، طبعه ونشره عبدالله ابراهيم الانصاري ، لدولة قطر.

☆ موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ، خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، غالم التراث ، بيروت.

فهرس المحتويات

الباب الثاني:

الفصل الأول:

Qaseeda Al-Burda By Buseeri and Atyab Al-Nagham By Shah Wali Allah

(A Comparative Study)

A THESIS SUBMITTED TO
THE UNIVERSITY OF THE PUNJAB
IN FULFILMENT OF THE REQUREMENTS
FOR THE DEGREE OF
M.PHIL IN ARABIC

BY:

Hafiz M. Ismail Tabish

SUPERVISOR:

Dr. Haris Mubin

DEPARTMENT OF ARABIC
ORIENTAL COLLEGE, UNIVERSITY OF THE PUNJAB
LAHORE, PAKISTAN.

2003 - 2005